رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

دفاعاً عن الحق المعتقد ودفعاً للباطل المنتقد:

الانتصار

بشرح عقيدة أئمة الأمصار

وهو المسمى
«قرة العينين بشرح عقيدة الرازيين»
وهما الإمامان:
أبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤ هـ) وأبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧ هـ)
رحمهما الله

شرحها
د. محمد بن موسى آل نصر
أحسن الله عاقبته

الدار الأثرية
عمان - الأردن

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الانتصار
بشرح
عقيدة أئمة الأمصار

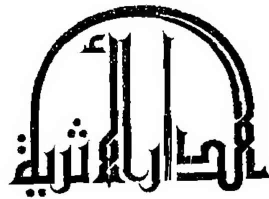
بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

رقم الإيداع :

٢٠٠٨/٣١٠٤



عمّان - الأردن تليفاكس : ٠٠٩٦٢/ ٦٥٦٥٨٠٤٥

خلوي : ٠٠٩٦٢/ ٧٩٥٩٤٣٤٥٦ - ص.ب : ٩٢٥٥٩٥ - الرمز البريدي : ١١١٩٠

الرمز الإلكتروني : alatharya1423@yahoo.com

دفاعاً عن الحق المعتقد ودفعاً للباطل المنتقد:

الانتصار بشرح عقيدة أئمة الأمصار

وهو المسمى

«قُرة العَينين بشرح عقيدة الرَّازيَّين»

وهُما الإمامان:

أبو زرعة الرازي وأبو حاتم الرازي

(ت ٢٦٤ هـ) (ت ٢٧٧ هـ)

رحمهما الله

شرحها

د/ محمد بن موسى آل نصر

أحسن الله عاقبته



بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضلُ زادٍ في المعادِ عقيدةٌ على منهجٍ في الصدقِ والصبرِ لاحبِ[1]
عقيدةُ أصحابِ الحديثِ فقد سمتْ بأربابِ دينِ اللهِ أسنى المراتبِ

الإمام أبو الحسن الكرجي (ت: ٥٣٢).

---

(١) أي: منهج واضح.

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مقدمة الشارح

الحمد لله معزِّ التوحيد وناصره، مذلّ الشرك وقاهره، الممكّن لأوليائه، الخافض لأعدائه، الجزيل ثوابه لعباده الموحدين، الشديد عقابه للكافرين والمبتدعين، الذي تنزهت عن الأشباه ذاتُه، وتقدست عن النقص صفاتُهُ، الذي لا شريك له ولا نظير له ولامضاد، المتنزه عن الأنداد النافذ حكمه في جميع العباد، المتفرد بصفات التمجيد والكمال، المتوحد بنعوت الجلال والجمال، فلا يمثل بمخلوقاته، ولا تمثل صفاتهم بصفاته، الذي شهدت له بالربوبية جميع الموجودات، وأذعن له بالألوهية والإخلاص خلاصة المخلوقات، الذي لا رب غيره، ولا إله بحق سواه، المحمود على كل ما قدره وقضاه، عالم الغيب والشهادة، نافذ القضاء والإرادة، الذي ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، الغني بذاته المغني لجميع مخلوقاته.

تعالى في إلهيته وربوبيته، وتقدس في أحديته وصمديته، وجلَّ في بقائه وديموميته وتعاظم في علوه وقيوميته.

أحمده حمد الحامدين على جزيل إنعامه وإفضاله، وأشكره شكر الشاكرين على جليل إحسانه ونواله.

وأصلي وأسلم على مختاره ومصطفاه، ونبيه ومجتباه، إمام الموحدين، المرسل بالهدى واليقين، المؤيد بالدلائل والبراهين، الذي جاء بالحق المبين والدين المتين، خافض الشرك وقامع الباطل والإفك، نبي الرحمة، كاشف الغمة، مزيل الظلمة بالوحيين: الكتاب والحكمة.

فصلى الله عليه وسلَّم ما دار في السماء فَلَكٌ، وما سبح في الملكوت مَلَكٌ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بحق جند الله المفلحين، وحزبه الذين هُدوا النهج القويم والصراط المستقيم الطائفة الناجية المنصورة، القائمين بنصرة الدين[1]، وإصلاح ما أفسد الناس من سنة سيد المرسلين، ومن سلك سبيلَهم ونهجَهم إلى يوم الدين، صلاة وسلاماً تنطق بالإخلاص تسعى بقائلها إلى الخلاص.

وبعد:

فإن العقيدة التي رواها الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي عن أبيه الإمام، والإمام أبي زرعة الرازي، المسماة: «أصل السنة واعتقاد الدين»؛ من أنفع العقائد وأعذب الموارد، وأجلِّ الفوائد، وأجمع الشوارد؛ إذ قد احتوت على أهم مباحث علم الاعتقاد السلفي، وما زالت حتى الآن بكْراً لم يفتض ختامها، وحمىً لم يحم حوله أحدٌ بالشرح عليها والإنابة إليها -فيما أعلم- مع جلالتها وجلالة صاحبيها، وتطاول الأزمان من حين إملائها، ولما كانت محتاجةً في كثير من مواضعها إلى شرح يحل ألفاظها ومبانيها، ويكشف عن معانيها، ويزيح الستار عن مكنون جواهرها، ويبرزُ محاسنها وغررها، ويتمّم مقاصدها، ويجمع متباعدها، ، ويوضح مُشكلها ويفتح مُقفلها، ويبين خفيّها وأصولها ويقرب قصيّها وفصولها؛ -رأيت رغم قلة الوسائل وكثرة العوائق والشواغل، وتشتت الأفكار وتغير الأوطار -أن أشرحها- مستعيناً بالله- شرحاً ليس بطويل ممل[2]، ولا قصير مخل،

---

(١) والله ينصر من يقوم بنصره ... والله يخذل ناصر الشيطان

(٢) فإن طال فحاله كما قال ابن الرومي:

إن طال لم يملل وإن أوجزته ... ود المحدَّث أنه لم يوجز

لا معضل فيه ولا مشكل، والشروح إنما تتفاضل بمجموع ما احتوت من اللطائف لا بتكثير الصحائف، وبفخامة ما تضمنت من الأسرار لا بضخامة الأسفار.

وقد وفقني الله أن شرحتُ هذه العقيدة المباركة في الدورة الشرعية الرابعة المنعقدة في «معهد الإرشاد العالي» بسورابايا في «أندونيسيا» التي انتهت يوم الجمعة (٢٧ شوال ١٤٢٥هجرية/ الموافق١٠-١٢-٢٠٠٤ إفرنجية)، فالحمد للمولى على ما أولى.

وقد أكثرت فيه من إيراد الشواهد والبراهين من كتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين وأقوال أئمة السلف المتبعين ليكون الناظر فيه على بصيرة ويقين.

وقد وسمته بِـ «الانتصار بشرح عقيدة أئمَّة الأمصار» سائلاً ربي أن يكون قرةً لعيون الموحدين منيراً السبيل للمسترشدين.

مع الاعتراف بقصر الباع وقلة الاطلاع فلست أدعي بلوغ الغاية والكمال، فإنّ دركه في هذا المجال محال، فإنما هو جهد مقل جاد بالذي وجد، فإن أصبت فمن الله ذي الجلال، والحمد لله على توفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وما أبرئ نفسي، وقد أردت به وجه الله والدار الآخرة.

عسى أن يشفع لي حُسْن قصدي، ما قصر عنه علمي، وشرد عنه ذهْني، فإننا بشر نخطيء ونصيب، فلا يُعجل علينا باللوم والتثريب، فلسنا متحاشين عن الخلل، ولا معصومين عن الزلل، والكمال لله وحده، والعصمة لرسوله ﷺ، ويأبى الله إلا أن يتم كتابه، وكلٌ مأخوذ من قوله ومتروك، ومن ألقى معاذيره فهو عند كرام الناس معذور، واستغفر الله ممّا زلّ به القدم، وندّ به القلم، ونبّ به الفهم.

وعلى كل قارئ كريم عثر بشيء مما كبا فيه الشارح وعثر أن يستر الزلل ويقيل العثار، ويسد الخلل والعوار، بالنصح والإرشاد لا بالتشهير والإفساد، وأنا له من الشاكرين ولمنته من المتقلدين، فمن طلب عيباً وجدّ وجد، ومن افتقد زلل أخيه بعين الرضا والإنصاف فقدْ فقدَ، فاربأ بنفسك أن تكون ممن إذا رأى حسناً ستره وأخفاه، وإذا رأى عيباً أظهره ونشره وأبداه.

والله المسؤول أن يجعلنا من المتبعين للسنن كيفما دارت، والمتباعدين عن الإهواء والبدع حيثما مالت، المتمسكين بعروة السنن الوثيقة، السالكين سنن الطريقة العتيقة، وأن يوفقنا لحسن النية، وأن يعصمنا من كل عقيدة بدعية، وأن يحفظنا من كل سيرة غير مرضية، وأن يجنبنا الأهواء المضلة والآراء المضمحلة وأن يميتنا على ذلك، وأن يمدنا بالإصابة، وأن يجزل لنا الأجر والإثابة، وأن يجعل ما كتبت خالصاً لوجهه الكريم، مقرباً إليه في جنات النعيم، مدخراً لديه في اليوم العظيم، وأن يلحقنا بنبيه وخيرته من خلقه محمد ﷺ المبعوث بالكتاب الكريم، المنعوت بالخُلق العظيم، وآله وصحبه المستحقين لكل تبجيل وتكريم، وأن يجمعنا معهم في دار كرامته، وأن يمن علينا بالرضى والقبول، إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول[١].

قاله وكتبه:

أبو أنس

محمد بن موسى آل نصر

غفر الله زلَله وأصلح خلله وتقبل عمله وبلّغه أمله

---

(١) (بعض) كلمات هذه المقدمة مقتبسة من كلمات لبعض أهل العلم -رحمهم الله تعالى- في مصنفاتهم.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ترجمة مختصرة للإمام الحافظ أبي زرعة الرازي

۞ **اسمه ونسبه:** هو الإمام الحافظ الناقد الحجة شيخ القراء والمحدثين في خراسان أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فرّوخ بن داود الرازي.

۞ **مولده:** ولد سنة أربع وتسعين ومائة على الأظهر.

۞ **أشهر من روى عنهم:** أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو نعيم الفضل بن دكين وأبو الوليد الطيالسي ويحيى بن عبد الله بن بكير وأحمد بن يونس وعبد الله بن صالح العجلي وخلاد بن يحيى وأبو الحسن الترمذي وأحمد بن منيع وأبو الربيع العتكي وعبد الله بن مسلمة القعنبي ومحمود بن غيلان وغيرهم كثير.

۞ **أشهر الرواة عنه:** أبو حاتم الرازي ومسلم بن الحجاج وأبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النسائي، وابن ماجه القزويني وإسحاق بن موسى الأنصاري والربيع بن سليمان، ويونس بن عبد الأعلى، وإبراهيم الحربي وأبو زرعة الدمشقي، وعبد الله بن أحمد، وعبد الرحمن بن أبي حاتم وأبو عوانة الاسفرائيني، وأبو بكر بن أبي داود وأبو يعلى الموصلي، وعبد الله بن محمد بن وهب الدينوري وعلي بن الحسن بن الجنيد وغيرهم.

۞ **ثناء العلماء و الأئمة عليه:**

قال الإمام أحمد بن حنبل:«ما عبر جسر بغداد أحفظ من أبي زرعة».

وقال:«يحفظ هذا الشاب –يعني أبا زرعة– سبعمائة ألف حديث».

وقال لما نزل عنده أبو زرعة:«ما صليت غير الفرض، استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على النوافل».

وقال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: يا أبت من الحفاظ؟ قال:«يا بني، شباب كانوا عندنا من أهل خراسان، وقد تفرقوا» قلت: من هم يا أبتي؟ قال:«محمد بن إسماعيل ذاك البخاري، وعبد الله بن عبد الكريم ذاك الرازي، وعبد الله بن عبد الرحمن ذاك السمرقندي، والحسين بن شجاع ذاك البلخي».

وقال أبو حاتم الرازي:«حدثني أبو زرعة، وما خلّف بعده مثله علماً وفقهاً وفهماً وصيانة وصدقاً، ولا أعلم في المشرق والمغرب من كان يفهم هذا الشأن مثله».

وقال:«إذا رأيت الرازي يبغض أبا زرعة فاعلم أنه مبتدع».

وقال:«أورع من رأيت أربعة: آدم وأحمد بن حنبل وثابت بن محمد الزاهد، وأبو زرعة الرازي».

قال إسحاق بن راهويه:«كل حديث لا يعرفه أبو زرعة الرازي فليس له أصل».

وقال يونس بن عبد الأعلى -وذكر أبا زرعة الرزاي- فقال:«أبو زرعة آية، وإذا أراد الله أن يجعل عبداً من عباده آية جعله».

وقال محمد بن يحيى:«لا يزال المسلمون بخير ما أبقى الله لهم مثل أبي زرعة».

وقال ابن أبي شيبة:«ما رأيت أحفظ من أبي زرعة».

وقال علي بن الحسن بن الجنيد:«ما رأيت أحداً أعلم بحديث مالك بن أنس مسندها ومنقطعها من أبي زرعة وكذلك سائر العلوم».

وقال صالح بن محمد عن أبي زرعة أنه قال:«أنا أحفظ عشرة آلاف حديث في القراءات».

وقال أبو يعلى الموصلي:«ما سمعنا يذكر أحد في الحفظ إلا كان اسمه أكبر من رؤيته إلا أبا زرعة الرازي، فإن مشاهدته كانت أعظم من اسمه، وكان قد جمع الأبواب والشيوخ والتفسير، كتبنا بانتخابه بواسط ستة آلاف حديث».

وقال الخطيب البغدادي:«كان إماماً ربانياً حافظاً متقناً مكثراً، جالس أحمد بن حنبل وذاكره».

وقال الذهبي:«كان من أفراد الدهر حفظاً وذكاءً وديناً وإخلاصاً وعلماً وعملاً».

وقال:«كان إمام أهل الحديث في زمانه رأساً في العلم والعمل ومناقبه جمّة».

۞ **وفاته:** توفي يوم الإثنين سلخ ذي الحجة سنة أربع وستين ومائتين.

فرحم الله إمامنا أبا زرعة ورضي عنه وجمعنا به -برحمته وإحسانه وفضله ورضوانه- في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والأئمة المرضيين.

۞ **مصادر الترجمة:**

«الجرح والتعديل» (١/ ٣٢٨)، و«تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٦٢)، و«تاريخ دمشق» (٣٨/ ١١)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٦٥)، و«العلو للعلي العظيم» (٢/ ١١٥٨).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ترجمة مختصرة للإمام الحافظ أبي حاتم الرازي

۞ **اسمه ونسبه:** هو الإمام الحافظ الناقد الحجة أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الرازي الحنظلي الغطفاني.

۞ **مولده:** ولد سنة خمس وتسعين ومائة .

۞ **أشهر من روى عنهم:** روى عن الكثير حتى قال الخليلي: قال لي أبو حاتم اللبان الحافظ:«قد جمعت من روى عنه أبو حاتم الرازي فبلغوا قريباً من ثلاثة آلاف».

ومن أشهرهم: أبو نعيم الفضل بن دكين وزهير بن عباد ويحيى بن بكير وعبيد الله بن موسى وآدم بن أبي إياس وثابت بن محمد الزاهد وعبد الله بن صالح العجلي وعبد الله بن صالح الكاتب ومحمد بن عبد الله الأنصاري وقبيصة.

۞ **أشهر الرواة عنه:** أبو زرعة الرازي ويونس بن عبد الأعلى وأبو بكر بن أبي الدنيا، وموسى بن إسحاق الأنصاري، وأبو داود السجستاني وأبو عبد الرحمن النسائي وأبو عوانة الاسفرائيني، وأبو الحسن القطان وأبو بشر الدولابي وغيرهم كثير.

۞ **ثناء العلماء و الأئمة عليه:**

قال أبو زرعة لأبي حاتم:«ما رأيت أحرص على طلب الحديث منك».

قال يونس بن عبد الأعلى:«أبو زرعة وأبو حاتم إماما خراسان».

ودعا لهما وقال:«بقاؤهما صلاح للمسلمين».

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت موسى بن إسحاق القاضي يقول:«ما

رأيت أحفظ من والدك» وكان قد لقي أبا بكر ابن أبي شيبة، وابن نمير وابن معين ويحيى الحمّاني.

وقال أحمد بن سلمة النيسابوري:«ما رأيت بعد إسحاق ومحمد ابن يحيى أحفظ للحديث من أبي حاتم الرازي، ولا أعلم بمعانيه».

وقال عثمان بن خرزاذ:«أحفظ من رأيت أربعة: محمد بن المنهال الضرير، وإبراهيم بن عرعرة، وأبو زرعة وأبو حاتم».

وقال الخليلي:«كان أبو حاتم عالماً باختلاف الصحابة وفقه التابعين ومن بعدهم، سمعت جدي وجماعة سمعوا علي بن إبراهيم القطان يقول:«ما رأيت مثل أبي حاتم» فقلنا له: قد رأيت إبراهيم الحربي وإسماعيل القاضي؟ قال:«ما رأيت أجمع من أبي حاتم ولا أفضل منه».

وقال أبو القاسم اللالكائي:«كان أبو حاتم إماماً حافظاً متثبتاً».

وقال الخطيب البغدادي:«كان أبو حاتم أحد الأئمة الحفاظ الأثبات».

وقال الذهبي:«كان من بحور العلم، طوّف البلاد وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنف وجرّح وعدل وصحح وعلل».

وقال:«كان أحد الأعلام ومن كبار أئمة أهل الأثر ... وكان جارياً في مضمار قرينه وقريبه الحافظ أبي زرعة».

۞ **وفاته:** توفي في شهر شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين.

فرحم الله إمامنا أبا حاتم ورضي عنه وجمعنا به -برحمته وإحسانه وفضله ورضوانه- في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والأئمة المرضيين.

۞ مصادر الترجمة:

«الجرح والتعديل» (١/ ٣٤٩)، و«تاريخ بغداد» (٢/ ٧٣)، و«تاريخ دمشق» (٣/٥٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٤٧)، و«العلو للعلي العظيم» (٢/ ١١٦٣).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

متن
«أصلُ السُّنَّةِ واعتقادُ الدِّين»

قالَ الإِمَامُ أبو مُحمدٍ عبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي حاتِمٍ:

«سَألتُ أبي وأبَا زرعةَ رضي الله عنهما عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّة في أُصُولِ الدِّينِ، وَمَا أَدْرَكَا عَلَيْهِ العُلَمَاءَ في جَمِيعِ الأَمْصَارِ، وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقَالاَ:

«أَدْرَكْنَا العُلَمَاءَ في جَمِيعِ الأَمْصَارِ حِجَازاً وَعِرَاقاً وَمِصْراً وَشَاماً وَيَمَناً، فَكَانَ مِن مَذهَبِهِم أَنَّ:

[١] الإيمانَ قولٌ وَعملٌ، يَزِيدُ وَيَنقُصُ.

[٢] والقُرآنَ كَلاَمُ اللهِ غَيرُ مخلُوقٍ بجميعِ جِهَاتِهِ.

[٣] والقَدرَ خَيرَهُ وَشَرَّهُ من اللهِ عز وجل .

[٤] وخَيرَ هذه الأُمَّةِ بعد نَبِيِّهَا: أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ثُمَّ عُثْمَانُ بنُ عفانَ ثُمَّ عَلِيُّ بنُ أَبي طَالِبٍ رضي الله عنهم، وهُمْ الخُلفاءُ الرَّاشدُونَ المَهدِيونَ.

[٥] وأَنَّ العشرةَ الذين سَمَّاهم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وشَهِدَ لهم بِالجَنَّةِ على ما شَهِدَ بِهِ، وقَولُهُ الحَقُّ.

[٦] وَالتَّرحُّمُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَالكَفُّ عمَّا شَجَرَ بَينَهُمْ.

[٧] وَأَنَّ اللهَ عز وجل عَلَى عَرشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم بِلاَ كَيفٍ.

[٨] أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً.

[٩] ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

[١٠] واللهُ -تَبارَكَ وتَعَالى- يُرَى في الآخِرَةِ، ويَرَاهُ أَهْلُ الجَنَّةِ بِأَبصَارِهِمْ.

[١١] ؤيَسمَعُونَ كَلاَمَهُ كَيفَ شَاءَ وكَمَا شَاءَ.

[١٢] وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لاَ يَفْنَيَانِ أَبداً، فَالجَنَّةُ ثَوابٌ لأَوْلِيَائِهِ وَالنَّارُ عِقَابٌ لأهْلِ مَعْصِيتِهِ إلا من رَحِمَ.

[١٣] وَالصِّرَاطُ حَقٌّ.

[١٤] وَالمِيزَانُ الذي لَهُ كِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيهِ أَعمَالُ العِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقٌّ.

[١٥] وَالحَوْضُ المُكرَّمُ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ حَقٌّ.

[١٦] وَالشَّفَاعَةُ حَقٌّ، وأَنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ التَّوحِيدِ يَخرُجُونَ مِنَ النَّارِ بالشَّفَاعَةِ حَقٌّ.

[١٧] وَعَذابُ القَبرِ حَقٌّ.

[١٨] وَمُنكَرٌ وَنَكِيرٌ حَقٌّ.

[١٩] وَالكِرَامُ الكَاتِبُونَ حَقٌّ.

[٢٠] وَالبَعثُ مِن بَعدِ المَوْتِ حَقٌّ.

[٢١] وَأَهلُ الكَبَائِرِ في مَشِيئَةِ اللهِ ﷻ؛ لاَ نُكَفِّرُ أَهلَ القِبلَةِ بِذُنُوبِهِم، وَنَكِلُ سَرَائِرَهم إلى اللهِ ﷻ.

[٢٢] وَنُقِيمُ فَرضَ الجِهادِ وَالحَجِّ مَعَ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ في كُلِّ دَهرٍ وَزَمَانٍ.

[٢٣] وَلاَ نَرَى الخُرُوجَ عَلَى الأَئِمَّةِ، وَلاَ القِتَالَ في الفِتنَةِ، وَنَسْمَعُ وَنُطِيعُ لِمَن

وَلاَّهُ اللهُ أَمرَنَا، وَلاَ نَنزِعُ يَداً مِن طَاعَةٍ.

[٢٤] وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ، وَنجتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالخِلاَفَ وَالفُرقَةَ.

[٢٥] وَأَنَّ الجِهَادَ مَاضٍ مُنذُ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ مَعَ أُولِي الأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ لاَ يُبطِلُهُ شَيءٌ، وَالحَجُّ كَذَلِكَ.

[٢٦] وَدَفعُ الصَّدَقَاتِ مِنَ السَّوَائِمِ إلى أُولِي الأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ.

[٢٧] وَالنَّاسُ مُؤمِنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِثِهِمْ، وَلاَ يَدْرِي مَا هُمْ عِندَ اللهِ، فَمَنْ قَالَ إِنَّه مُؤمِنٌ حَقاً فَهُوَ مُبتَدِعٌ، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ مُؤمِنٌ عِندَ اللهِ فَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ، وَمَنْ قَالَ: إِنِي مُؤمِنٌ بِاللهِ فَهُوَ مُصِيبٌ.

[٢٨] وَالمُرْجِئَةُ مُبْتَدِعَةٌ ضُلاَّلٌ.

[٢٩] وَالقَدرِيةُ مُبتَدِعَةٌ ضُلاَّلٌ، وَمَنْ أَنكَرَ مِنهْمَ أَنَّ اللهَ يَعلَمُ مَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَافِرٌ.

[٣٠] وَأَنَّ الجَهمِيةَ كُفَّارٌ.

[٣١] وَالرَّافِضَةَ رَفَضُوا الإِسْلاَمَ.

[٣٢] وَالخَوَارِجَ مُرَّاقٌ.

[٣٣] وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْراً يَنقِلُ عَنِ المِلَّةِ، وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ مِمَّن يَفْهَمُ فَهُوَ كَافِرٌ.

[٣٤] وَمَنْ شَكَّ فِي كَلاَمِ اللهِ فَوَقَفَ فِيهِ شَاكاً، يَقُولُ: لاَ أَدرِي؛ مَخْلُوقٌ أَمْ غَيرَ مَخْلُوقٍ؛ فَهُوَ جَهْمِيٌ، وَمَنْ وَقَفَ فِي القُرآنِ جَاهِلاً عُلِّمَ وَبُدِّعَ وَلَمْ يُكَفَّرْ.

[٣٥] وَمَن قَالَ: لَفْظِي بِالقُرآنِ مخلُوقٌ، أَو: القُرآنَ بِلَفظِي مخلُوقٌ؛ فَهُوَ جَهْمِي.

قَالَ أَبو محمَّد: سمعتُ أَبِي رحمه الله يَقُولُ:

عَلاَمَةُ أَهلِ البِدَعِ: الوقِيعَةُ في أَهْلِ الأَثَرِ.

وَعَلاَمَةُ الزَّنَادِقَةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ حَشْوِيةً؛ يُرِيدُونَ إِبطَالَ الآثَارِ.

وَعَلاَمَةُ الجَهْمِيَّةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَةً.

وَعَلاَمَةُ القَدرِيةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُجْبِرَةً.

وَعَلاَمَةُ المرْجِئَةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُخَالِفَةً وَنقْصَانِيَةً.

وَعَلاَمَةُ الرَّافِضَةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ نَابِتَةً وَنَاصِبَةً.

وَلاَ يَلْحَقُ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلاَّ اسْمٌ وَاحِدٌ! وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمعَهُمْ هَذِهِ الأَسَامِي!!

قَالَ أَبو محمَّد: سَمِعْتُ أَبِي وأَبَا زُرْعَةَ: يَأْمُرَانِ بِهُجْرَانِ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالبِدَعِ، وَيُغَلِّظَانِ رَأْيهُمَا أَشَدَّ التَّغْلِيظِ، وَيُنْكِرَانِ وَضْعَ الكُتُبِ بِالرَّأْيِ فِي غَيْرِ آثَارٍ.

وَيَنْهَيَانِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الكَلاَمِ وَعَنْ النَّظَرِ في كُتُبِ المُتَكَلِّمِينَ، وَيَقُولاَنِ: لاَ يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلاَمٍ أَبداً.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالِمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا محمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّم تَسْلِيماً».

قَالَ أَبو محمَّدٍ: «وَبِهِ أَقُولُ»[1].

---

(١) أخرجه الإمام اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٢٨٦) برقم (٣٢١) بتمامه، والإمام أبو العلاء الهمذاني في «فتيا في ذكر الاعتقاد» (ص٩٠) برقم (٣٠)، والإمام ابن قدامة في «اثبات العلو» (ص: ١٢٥) برقم (١١٠)، وذكره الإمام نصر المقدسي في «مختصر كتاب الحجة على تارك المحجة» (٢/ ٦١٨) برقم (٣٧٦)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٤٠-٤١) و«درء تعارض النقل =

= والعقل» (٢/ ٢٥٧) و«مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٢٢)، والإمام ابن قيم الجوزية في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٢٣٣) و«الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٩١)، والإمام الذهبي في «العلو للعلي العظيم» (٤٦٦) و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٨٤)، وهو صحيح ثابت عنهما كما في «مختصر العلو» (٢٠٤) لشيخنا الإمام محمد ناصر الدين الألباني -رحم الله الجميع-.

وهذا أوان بذل المجهود للوصول إلى المقصود بعون الرب المعبود:

(أَصْلُ السُّنَّةِ واعتِقَادُ الدِّين):

(أَصْلُ): الأصل في اللغة: ما يبنى عليه غيره.

وفي الاصطلاح: يطلق على ستة أمور[١]:

١- **الدليل:** كقولهم:«أصل وجوب الصوم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ.. ﴾[البقرة:١٨٣] »، أو قولهم:«أصل هذه المسألة الكتاب والسنة» أي: دليلها.

٢- **الراجح والغالب:** كقول أهل البلاغة:«الأصل في الكلام الحقيقة لا المجاز».

٣- **القاعدة المستمرة:** كقول النحاة:«الأصل في الفاعل الرفع» أو قول الفقهاء:«تباح الميتة للمضطر على خلاف الأصل».

٤- **المقيس عليه:** وهو ما يقابل (الفرع) في باب (القياس)، كقولهم:«الخمر أصل النبيذ» فالنبيذ مقيس والخمر مقيس عليه.

٥- **الاستصحاب:** وهو استدامة إثبات ما كان ثابتاً أو نفي ما كان منفياً كقولهم:«الأصل في الأشياء الإباحة»، «الأصل براءة الذمة».

٦- **مخرج مسائل المواريث، كقول الفرضيين:**«أصل المسألة كذا».

---

(١) انظر «روضة الناظر» (١/ ٦٠)، و«شرح الكوكب المنير» (١/ ٣٩)، و«البحر المحيط» (١/ ١٧).

(السُّنَّة) : السنة في اللغة: الطريقة والسيرة -حميدة كانت أو ذميمة-[١].

وفي الاصطلاح: تعرّف بحسب العلم الذي تبحث فيه:

☑ ففي علم العقيدة تعني:«ما كان عليه رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون والسلف الصالح من الاعتقادات قبل ظهور البدع والمقالات».

وهذا المعنى هو المتعين هنا.

☑ وعند المحدثين تعني:«ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء قبل البعثة أو بعدها»[٢] إذ غرضهم معرفة ما كان عليه النبي ﷺ في أحواله كلها.

☑ وعند الفقهاء:«ما يرادف المستحب»[٣].

☑ وعند الأصوليين:«ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير»[٤] وذلك لأنهم عُنوا بمصادر الشريعة.

فَـ «السنة» في مسمى هذا المتن تعني: الاعتقاد؛ فَـ «أصل السنة» أو «أصول السنة» هنا تعنيان الأصول الرئيسة التي يقوم عليها علم الاعتقاد.

وهذا كقول ابن مسعود وأبي بن كعب وأبي الـدرداء رضي الله عنهم:«اقتصاد في سنة

---

(١) انظر «المصباح المنير» (ص:٢٩٢).

(٢) انظر «فتح الباري» (١٣/ ٢٥٩)، و«قواعد التحديث» (ص:٦١-٦٢).

(٣) انظر «العدة» لأبي يعلى (١/ ١٦٦)، و«فتح الباري» (١٣/ ٢٤٥-٢٤٦)، و«إرشاد الفحول» (ص٦٧).

(٤) انظر «الإحكام» للآمدي (١/ ١٥٦)، و«إرشاد الفحول» (ص:٦٧).

خير من اجتهاد في بدعة».[١] [٢]

وكما روي عن الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله (ت:١٩٨):«السنة عشرة فمن كن فيه استكمل السنة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان: قول وعمل، والقرآن كلام الله، والبعث يوم القيامة، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم» [٣].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله (ت٢٠٤):«القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم، مثل: سفيان ومالك، وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله -تعالى- ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء..»[٤].

ومن هنا؛ ألَّف الإمام أبو بكر الحميدي (ت٢١٩) «أصول السنة»، والإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله (ت٢٤١) «كتاب السنة»، وابنه عبد الله (ت٢٩٠) «كتاب السنة»، والإمام حرب الكرماني (ت٢٨٠) «السنة»، والإمام أبو بكر الخلال (ت٣١١) «كتاب السنة»، والإمام إسماعيل المزني «شرح السنة»، وكذا الإمام أبو بكر ابن أبي عاصم (ت٢٨٧)، والإمام محمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤)، وألَّف الإمام الحسن البربهاري (٣٢٩) «شرح السنة»، والإمام ابن

---

(١) رواه اللالكائي برقم (١٠، ١٣، ١٤، ١١٤، ١١٥).

(٢) انظر حديث:«لا يزني الزاني حين يزني...» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ص:٥٤-٥٥).

(٣) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٣١٦).

(٤) «اجتماع الجيوش الإسلامية» للإمام ابن قيم الجوزية (ص:٥٩).

جرير الطبري (ت٣١٠) «صريح السنة»، والإمام محمد القصّاب الكرجي(ت٣٦٠) «السنة»، والإمام ابن أبي زمنين (ت٣٩٩)«أصول السنة»، والإمام الحسن بن البنا الحنبلي (ت٤٧١) «المختار في أصول السنة» وغيرهم.

(اعتِقَادُ): على وزن افتعال: مصدر: اعتقد كذا إذا اتخذه عقيدة من العقد والربط كعقد الحبل.

والعقد هنا: هو العقد على القلب والربط عليه، فالاعتقاد والعقيدة:«حكم الذهن الجازم»، واعتقادنا نحن معشر أهل السنة والجماعة مطابق للواقع موافق للحق.

ويرادف هذه الكلمة:«التوحيد»، «السنة»، «الشريعة»، «الفقه الأكبر»[1]، «العلميات»، «أصول الدين».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -تغمده الله برحمته-:«ومن شأن المصنفين في العقائد المختصرة -على مذهب أهل السنة والجماعة- أن يذكروا ما يتميز به أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعين: فيذكرون: إثبات الصفات، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى يُرى في الآخرة، خلافاً للجهمية من المعتزلة وغيرهم.

ويذكرون: أن الله خالق أفعال العباد، وأنه مريد لجميع الكائنات، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، خلافاً للقدرية من المعتزلة وغيرهم.

ويذكرون: مسائل الأسماء والأحكام، والوعد والوعيد، وأن المؤمن لا يكفر

---

(١) أما كتاب «الفقه الأكبر» المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله فلا تصح نسبته إليه من جهة الإسناد وغيره.

بمجرد الذنب، ولا يخلد في النار، خلافاً للخوارج والمعتزلة.

ويحققون القول في الإيمان، ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملاً، خلافاً للمرجئة.

ويذكرون: إمامة الخلفاء الأربعة، وفضائلهم، خلافاً للشيعة من الرافضة وغيرهم»[١].

والعقيدة توقيفية لا يجوز تلقيها من غير الوحيين وما أجمع عليه السلف، فلا تدركها العقول استقلالاً ولا تحيط بها الأوهام فهي غيبية في تفصيلاتها.

فالواجب في العقيدة: التسليم لله -تعالى- واتباع رسول الله ﷺ، وهذا هو منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:«والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أن يكون أصل قصده: توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً إلا لرسول الله ﷺ، ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا، فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف: أصحاب عالم من العلماء، فإنهم قد يجمعون على خطأ»[٢].

وقال:«وأصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف: الإعراض عن فهم

---

(١) «شرح العقيدة الأصفهانية» (ص:٣١).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٦١-٢٦٢).

كتاب الله كما فهمه الصحابة والتابعون، ومعارضة ما دل عليه بما يناقضه، وهذا من أعظم المحادة لله ولرسوله، وكان على وجه النفاق والخداع..»[١].

فما ضل أهل البدع الصوابَ والهدى، ووقعوا في مهالك البدعة والردى، وسدت عليهم أبواب الرشد والحق في الآخرة والأولى، إلا بسبب اتباعهم الهوى، وتنكبهم سبيل النبي المجتبى ﷺ، ومنهج سادات الورى.

ورحم الله القائل:

مـن كـان يرغـب في النجـاة فمـا لـه ... غـير اتبـاع المصـطفى فيمـا أتـى

ذاك السـبيل المسـتقيم وغـيره ... سـبل الضـلالة والغوايـة والـردى

فـاتبع كتـاب الله والسـنن الـتي ... صـحت فـذاك إن اتبعـت هـو الهـدى

ديـن كمـا قـال الرسـول وصـحبه ... والتـابعون، ومـن منـاهجهم قفـا

(الدِّين): في اللغة الذل والانقياد، وشرعاً: ما يَدين به المرء، وهو الإسلام بالاستسلام لله ظاهراً وباطناً اعتقاداً وعبادة ومعاملة وأخلاقاً بفعل الأوامر واجتناب النواهي والزواجر مع إخلاص الدين لله كما قال ﷺ -في آخر حديث جبريل- عن الإيمان والإسلام والإحسان وأمور الساعة: **«فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»**[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهو يجمع معنيين؛ أحدهما: الانقياد

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٨).

والاستسلام، والثاني: إخلاص ذلك وإفراده»[١].

وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله:«فدين الإسلام هو ما شرعه الله -سبحانه وتعالى- لعباده على ألسنة رسله»[٢].

وقال الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله (ت١٣٥٩هـ):«الإسلام: إنما هو في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه سلفها من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على لسان الصادق المصدوق»[٣].

(سَأَلتُ أبي وأبَا زرعةَ رضي الله عنهما عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ في أُصُولِ الدِّينِ، وَمَا أَدْرَكَا عَلَيْهِ العُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الأَمْصَارِ، وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذلِكَ؟ فَقَالاَ ...) :

(مَذَاهِبِ): جمع مذهب، والحق أن عقيدة أهل السنة والجماعة ليس فيها تعدد مذاهب، فكلها حق وما عداها باطل، ولا سيما أن إمامينا أبا حاتم وأبا زرعة قد ذكرا الإجماع على هذا المعتقد في مطلعه؛ إلا أن يكون (المذهب) هنا بمعنى الأصل كما هو أحد معانيه في اللغة[٤].

(أَهْلِ السُّنَّة) والجماعة:«هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي ﷺ والعمل بها ظاهراً وباطناً في الاعتقادات والأقوال والأعمال، وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم، ومن سلك سبيلهم وسار على نهجهم، من أئمة الهدى، ومن

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٣٥).

(٢) «شرح الطحاوية» (ص:٥١٨).

(٣) «آثار ابن باديس» (٥/ ٧٣).

(٤) انظر «القاموس المحيط» مادة (ذهب) (ص:١١١) ط. مؤسسة الرسالة.

اقتدى بهم من سائر الأمة أجمعين».

فيخرج بهذا المعنى كل طوائف المبتدعة وأهل الأهواء.

وجُمع بين لفظي (السنة) و(الجماعة) لأن هناك من يدعي السنة ولا يكون مع الجماعة بل مع الفرقة، وهناك من يدعي الجماعة ولا يكون متبعاً للسنة بل للبدعة.

وإذا أطلق لفظ (أهل السنة) فيراد به أحد معنيين[1]:

١- من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة.

وهذا المعنى هو المتبادر عند العوام لا غيرهم.

٢- وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله -تعالى- ويثبت القدر، وأن القرآن غير مخلوق وأن الله يُرى في الآخرة وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والإيمان بأشراط الساعة.. وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة.

وهذا المعنى هو المقصود هنا والمتعين في كلام أهل العلم.

ولأهل السنة والجماعة عدة مسميات، منها: أهل الحديث، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، السلفيون، وغير ذلك.

ولا يدخل في أهل السنة والجماعة -على المعنى الثاني-: الأشاعرة أو الماتريدية؛ لأنهم قد خالفوا أهل السنة والجماعة في أكثر من ست عشرة مسألة،

---

(١) انظر «منهاج السنة» (٢/ ٢٢١).

منها: أنهم في مسائل الصفات من أهل الكلام المذموم وعلى طريقة أهل التعطيل والتحريف، وإهمالهم لتوحيد الألوهية (العبادة) مع أنه أساس دين الإسلام، وتقديمهم العقل على النقل، وردهم لأحاديث الآحاد في العقيدة، وقولهم: بأن الإيمان هو التصديق فقط، وميلهم إلى مذهب الجبرية في القدر، ونفيهم لعلو الله على خلقه، وقولهم بالكلام النفسي الذي حقيقته القول بخلق القرآن، ونفيهم لحكمة الله ﷻ وغيرها.

ولقد كان ظهور هذا الاسم (أهل السنة) بعد فتنة قتل عثمان ﷺ، وفتنة خروج الخوارج على علي ومعاوية ﷺ وتكفيرهما واستحلال الدماء والأموال، وظهور بدع: التشيع والرفض والإرجاء والقدر، أي: بعد الخلفاء الراشدين الذين أمر النبي ﷺ بالتمسك بسنتهم عند حدوث الاختلاف والفتن[1].

قال ابن عباس ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦] : «تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة»[2].

وقال الإمام ابن سيرين ﷺ (ت:١١٠): «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّوا لنا رجالكم؟ فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[3].

فالفتنة هنا ظهور البدع والمبتدعة، ليست الفتنة التي وقعت بين علي

---

(١) انظر «المفهم» للقرطبي (١/ ١٢٢-١٢٣)، وانظر «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٥٤-٣٦٢) لمزيد بيان.

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٢٠٧٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٧٤)، وغيرهما.

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه» (١/ ١٥).

ومعاوية رضي الله عنهما كما قد يظن، فلا يقول سني -فضلاً عن إمام من كبار التابعين-: «إن من الصحابة أهل بدع يُرد حديثهم وأهل سنة يقبل حديثهم».

(أُصُولِ الدِّينِ): ما يخالف الفروع والعمليات، وهو لفظ يدل على العقيدة أو الفقه الأكبر؛ وهذا اللفظ يعبر به أهل السنة عن العقيدة، بينما يعبر أهل البدعة عن العقيدة بـِ علم الكلام.

واعتقاد أهل السنة والجماعة السلفيين في جميع تفصيلاته وجزيئاته هو الأصوب والأثوب والأسلم والأعلم والأحكم والأقوم والأغنم؛ لقيام الدليل من الكتاب والسنة عليه.

فأهل السنة والجماعة علموا الحق الذي يكونون به موافقين للسنة وسلموا لله وصدقوا رسوله ﷺ وانتهوا عما نهى عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:«إن العلم ما قام عليه الدليل، والنافع ما جاء به الرسول: فالشأن في أن نقول علماً هو النقل المصدق والبحث المحقق، فإن ما سوى ذلك وإن زخرف مثله بعض الناس: خزف مزوق، وإلا فباطل مطلق»[١].

و«كم رُد من الحق بتشنيعه بلباس من اللفظ قبيح»[٢]، «وأكثر المعاني المشوهة تستر بالعبارات المموهة»[٣].

(الأَمْصَارِ): جمع مِصْر بالكسر، اسم لكل بلد ممصور أي: محدود.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٨٨).

(٢) «مفتاح دار السعادة» للإمام ابن القيم (١/ ٤٤٤).

(٣) «العواصم والقواصم» لابن الوزير اليماني (٤/ ١٧٩).

📖 (أَدْرَكْنَا العُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الأَمْصَارِ حِجَازاً وَعِرَاقاً وَمِصْراً وَشَاماً وَيَمَناً، فَكَانَ مِن مَذهَبِهِم أَنَّ:...):

يشير كلام الشيخين هنا إلى إجماع أهل السنة والجماعة على اعتقادهما الذي سيذكراه على وجه الخصوص، وإلى توافق اعتقاد أهل السنة والجماعة مهما اختلفت بلدانهم وأزمانهم فهو على وتيرة واحدة ونمط واحد.

قال الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله (ت٤٨٩):«ومما يدل على أن أهل الحديث على الحق: أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة، أولها وآخرها، قديمها وحديثها، وجدتها مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون عنها، قلوبهم في ذلك على قلب واحد، ونقلهم لا ترى فيه اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد وهل على الحق دليل أبين من هذا؟!

وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف»[1].

وهذا الحال بخلاف حال أهل البدع؛ مَن أذهانهم بعيدة عن الصواب، وقلوبهم طريدة عن الحق إلى الارتياب، وعقولهم شريدة إلى الاضطراب، فهم مختلفون لا مؤتلفون، مفترقون لا متفقون.

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٢٥)، و«صون المنطق والكلام» للسيوطي (ص: ١٦٥-١٦٦).

قال الإمام ابن قتيبة الدينوري رحمه الله (ت٢٧٦هـ):«وقد كان يجب -مع ما يدعونه من معرفة القياس، وإعداد آلات النظر- أن لا يختلفوا كما لا يختلف الحسَّاب والمساح والمهندسون، لأن آلاتهم لا تدل إلا على عدد واحد، وإلا على شكل واحد.. فما بالهم أكثر الناس اختلافاً، لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين»[١].

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله:«وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين شيعاً وأحزاباً، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضاً، بل يركنون إلى التكفير، يكفر الابن أباه، والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبداً في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولمَّا تتفق كلماتهم، ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾[الحشر:١٤] ، أو ما سمعت أن المعتزلة مع اجتماعهم في هذا اللقب يكفر البغداديون منهم البصريين، والبصريون منهم البغداديين، ويكفر أصحاب أبي علي الجُبَّائي ابنه أبا هاشم، وأصحاب أبي هاشم يكفرون أباه أبا علي؟!..، وكان السبب [في ذلك أن] أهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف...»[٢] إلى آخر ما قال رحمه الله من كلام يكتب بماء العيون.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :«ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء: إنه ليس لواحدٍ منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوَّز وأوجب!! ما يدعي الآخر أن العقل أحاله!

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص:١٤٠).

(٢) «صون المنطق والكلام» (ص:١٦٦ -١٦٧).

فيا ليت شعري: بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟!

فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال:«أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل؛ تركنا ما جاءنا به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء[١]» [٢].

«بل المقدمة التي تدعي طائفة من النظار صحتها، تقول الأخرى هي باطلة، وهذا بخلاف مقدمات أهل الإثبات الموافقة لما جاء به الرسول ﷺ، فإنها من العقليات التي اتفقت عليها فطر العقلاء السليمي الفطرة، التي لا ينازع فيها إلا من تلقى النزاع تعليماً من غيره، لا من موجب فطرته، فإنما يقدح فيها بمقدمة تقليدية، أو نظرية لا ترجع إلى العقل الصريح، وهو يدعي أنها عقلية فطرية.

ومن كان له خبره بحقيقة هذا الباب، تبين له أن جميع المقدمات العقلية التي ترجع إليها براهين المعارضين للنصوص النبوية إنما ترجع إلى تقليد منهم لأسلافهم لا إلى ما يعلم بضرورة العقل ولا إلى الفطرة»[٣].

ولهذا «إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالاً من قول إلى قول، وجزماً بالقول في موضع، وجزماً بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم يقين؛ فإن الإيمان كما قال قيصر لما سأل أبا سفيان عمن أسلم مع النبي ﷺ:«هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطةً له بعد أن يدخل فيه؟ قال:لا»، قال:«وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، لا يسخطه أحد»[٤]، ولهذا قال بعض السلف -عمر بن عبد العزيز أو غيره-:«من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل».

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٥٨٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٤)، وغيرهما.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٩).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٤/ ٢٧٨-٢٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧، ٥١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم، ولا صالح عامتهم، رجع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء واتباعهم من المتقدمين، كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف هذه الأمة والصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة..»[١].



---

(١) «نقض المنطق» (ص:٤٢-٤٣).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حد الإيمان

📖 (فَكَانَ مِن مَذهَبِهِم أَنَّ:[١] الإيمانَ قولٌ وَعملٌ، يَزِيدُ وَيَنقُصُ...):

📄 (الإيمان): في اللغة مشتق من الأمن وهو بمعنى الإقرار.

قال تعالى:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾[يوسف:١٧]، وقال: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ ﴾[العنكبوت:٢٦]، وليس هو التصديق كما قالت الأشاعرة وغيرها، وذلك لوجوه[١]:

١- الإيمان قدر زائد عن التصديق من الإقرار والإذعان، فالإقرار متضمن لقول القلب الذي هو التصديق ولعمل القلب الذي هو الانقياد والإذعان.

فقد يكون العبد مصدقاً ولا يكون مقراً ولا مؤمناً.

كما قال أبو طالب:

ولقد علمتُ بأن دين محمد ... من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامةُ أو حِذارُ مسبةٍ ... لرأيتني سمحاً بذاك مبيناً

ولهذا لا يأتي الإيمان بمعنى التصديق في اللغة إلا إذا عدي بنفسه أو بالباء كما قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ...﴾ [البقرة:٢٨٥]، الآية، أي: صدق الرسول.

٢- إن الإيمان يقابله الكفر وليس هو التكذيب فقط بل قدر زائد عليه، وإنما الكذب يقابل التصديق.

---

(١) انظر «الإيمان» (ص:١١٩-١٢٠، ١٢٦-١٣٤، ٢٧٤-٢٨١)، و«مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٦٩-٢٧٦)، و«الإيمان الأوسط» (ص:٤١٣- وما بعدها).

٣- إن هذا التعريف لم يؤيد الشاهد من كلام العرب، أما استدلالهم بقولهم: فلان يؤمن بالشفاعة، وفلان لا يؤمن بعذاب القبر، -أي: لا يصدق- فإن هذا قطعاً ليس من ألفاظ العرب قبل نزول القرآن، وأيضاً فإن التصديق بالشفاعة وعذاب القبر وغيرهما مما يرجى ويخاف، لا يتم تصديقه إلا مع الخوف من عذاب القبر والرجاء للشفاعة ولو صدق بهما من غير خوف ولا رجاء لم يكن مؤمناً كما أن إبليس لا يسمى مؤمناً وإن كان مصدقاً بوجود الله وربوبيته، وكما أن فرعون لا يسمى مؤمناً وإن كان عالماً بأن الله أرسل موسى.. وهكذا.

٤- إن الإيمان مأخوذ من الأمن وهو الطمأنينة، كما أن لفظ الإقرار مأخوذ من قرَّ يقرُّ وهو قريب من أمِن يأمنُ.

وأما الصدق فهو عدم الكذب، ولا يلزم أن يوافقه طمأنينة إلا إذا كان الصادق يطمئن إلى خبره وحاله.

٥- إن معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف:١٧]،: ما أنت بمقر لنا، ولا تطمئن لقولنا ولا تثق به ولا تتأكد منه ولو كنا صادقين؛ فإنهم لو كانوا كذلك فصدقهم لما يتأكد ويطمئن إلى قولهم.

٦- إن لفظ الإيمان يتعدى إلى غيره باللام دائماً نحو قوله تعالى:﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت:٢٦] وقوله في فرعون :﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [الشعراء:٤٩]، وقوله: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ [يونس:٨٣]، وقوله: ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ [المؤمنون:٤٧]، وقوله: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء:١١١] وغيرها.

أما لفظ التصديق وصدق ويصدق فإنه يتعدى بنفسه نحو قوله تعالى: ﴿ قَدْ

صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الصافات:١٠٥]، وقوله: ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الصافات:٣٧]، وقوله: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٧٤]، نجعلها بمقابل الكذب.

فتقول مثلاً: صدقته ولا تقول: آمنته بل تقول: آمنت به وأقررت به.

٧- لو فرض أن معنى الإيمان لغة: التصديق لما وجب أن تختص بالقلب فقط بل يشمل تصديق القلب، وتصديق اللسان، وتصديق الجوارح.

كما قال ﷺ:«**الْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ**»[1].

وهناك وجوه أخرى لم أذكرها خشية الإطالة.

(الإيمانَ قولٌ وَعَمَلٌ):

(قولٌ): ويشمل أمرين:

١- **قول القلب:** وهو الاعتقاد باليقين والتصديق الجازم بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبكل ما جاء به الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ ﴾ [المائدة : ٤١].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) واللفظ له.

وقال النبي ﷺ: «الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

٢- **قول اللسان**: وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بلوازمهما.

قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ ...﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال: ﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [القصص: ٥٣]، وقال: ﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ ﴾ [الشورى: ١٥]، وقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ ﴾ [الفتح: ١١].

وقال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»(٢).

(عَمَلٌ): ويشمل ثلاثة أمور:

١- **عمل القلب**: وهو الانقياد والإخلاص والحب والخشية والتوقير والتعظيم والتوكل والرجاء والخوف والإنابة وغير ذلك من الأعمال القلبية.

قال تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ ﴾

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، وبنحوه البخاري (٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢١)، وأبو داود (٢٦٤٠)، والترمذي (٢٦٠٦)، والنسائي (٣٩٨٦)، وله شواهد كثيرة يصل بها الحديث حد التواتر.
انظر «السلسلة الصحيحة» لشيخنا رحمه الله (٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠).

[الليل : ١٩-٢٠]، وقال:﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان : ٩].

وقال ﷺ:«**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» (١).

٢- عمل الجوارح: وهو عمل الأعضاء كالصلاة والصيام والزكاة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من الأعمال الظاهرة.

قال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج : ٧٨]، وقال: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨]، وقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج : ٧٧]، وقال:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ... ﴾ [المؤمنون:١-٢ وما بعدها].

٣- عمل اللسان: وهو أعمال الخير اللسانية الزائدة على أصل قول اللسان كقراءة القرآن والتسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والثناء على الله والدعاء والصلاة على النبي ﷺ وسائر صنوف الذكر.

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الكهف: ٢٧] ، وقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤١- ٤٢].

ولا يُكتفى بعمل اللسان عن عمل الجوارح.

ويجمع هذه الثلاثة -عملَ القلب، عملَ اللسان، عملَ الجوارح- قولُ النبي ﷺ:«**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً: أَعْلاهَا: قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا:**

---

(١) حديث متفق على صحته: أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، وغيرهما.

إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[١].

«فجعل الإيمان شعباً: بعضها باللسان، وبعضها بالقلب، وبعضها بسائر الجوارح»[٢].

عن منصور بن سلمة الخزاعي قال: قال مالك وشريك وأبو بكر ابن عياش وعبد العزيز بن أبي سلمة وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد:«الإيمان: المعرفة والإقرار والعمل»[٣].

وقال الإمام أحمد رحمه الله:«بلغني أن مالك بن أنس وابن جريج وشريكاً وفضيل ابن عياض قالوا: الإيمان قول وعمل»[٤].

وقال عبيد بن عمير الليثي رحمه الله:«ليس الإيمان بالتمني، ولكن الإيمان: قول يُفعل وعمل يعمل»[٥]، وقال الإمام الشافعي رحمه الله:«الإيمان قول وعمل واعتقاد القلب، ألا ترى قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾[البقرة :١٤٣]، يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس؟ فسمى الصلاة إيماناً وهي: قول وعمل وعقد»[٦].

وقد استدل بهذه الآية على دخول الأعمال في مسمى الإيمان -كذلك- الإمام

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، وأبو داود (٤٦٧٦)، والترمذي (٢٦١٤)، وغيرهم.

(٢) «الإيمان» للإمام ابن مندة (١/ ٣٣٢).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» برقم (٦١٢) بسند صحيح.

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في« السنة» برقم (٦٣٨).

(٥) «السنة» للإمام أحمد (ص:٧٦).

(٦) «الانتقاء» (٨١).

أحمد والإمام البخاري رحم الله الجميع[١].

وعن إسحاق بن إبراهيم -ابن هانئ- قال: سمعت أبا عبد الله -يعني الإمام أحمد- يقول:«الإيمان قول وعمل ونية صادقة»[٢].

وقال الإمام أبو عبد الله البخاري ﷺ (ت: ٢٥٦): «وهو قول وفعل»[٣].

وقال الإمام محمد بن الحسين الآجري ﷺ (ت: ٣٦٠):«ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب، والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة القلب ونطق اللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمناً»[٤].

وقال الحافظ ابن عبد البر ﷺ (ت:٤٦٣):«أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان»[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ (ت : ٧٢٨):«كان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان، والإيمان من العمل..، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه، وصدق بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه، ولم يصدق بعمله كان في الآخرة من الخاسرين، وهذا معروف عن غير واحد من السلف والخلف، أنهم يجعلون العمل مصدقاً

---

(١) انظر «فتح الباري» (١/ ٩٥)، و«السنة» للخلال رقم (١٠٣٤).

(٢) «السنة» للخلال رقم (١٠٠٣).

(٣) «صحيح البخاري» (١/ ٤٥- فتح).

(٤) «كتاب الشريعة» (١/ ٢٧٤).

(٥) «التمهيد» (٩/ ٢٣٨).

للقول»[١].

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله (ت:٧٩٥):«وأكثر العلماء قالوا: هو قول وعمل.

وهذا كله إجماع من السلف وعلماء أهل الحديث، وقد حكى الشافعي إجماع الصحابة والتابعين عليه، وحكى أبو ثور الإجماع عليه أيضاً.

وقال الأوزاعي:«كان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل».

وحكاه غير واحد من سلف العلماء عن أهل السنة والجماعة[٢].

◘ وقد اختلفت عبارات السلف وأئمتهم في تعريف الإيمان، والمعنى واحد، وما أجمل في عبارة فُصِّلَ في عبارة خوف الاشتباه[٣]:

فتارة يقولون: الإيمان: قول وعمل، كما هي عبارة الشيخين أبي حاتم وأبي زرعة ـ رحمهما الله ـ ، وتارة يقولون: الإيمان: قول وعمل وعقيدة، وأضيفت «العقيدة» لأن دخول العقيدة أو الاعتقاد في القول لا يظهر لكل أحد.

وتارة يقولون: الإيمان: قول وعمل ونية، وأضيفت «النية» لتوقف قبول الأعمال عليها، وإن كانت داخلة في العمل كما قال ﷺ:**«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»**، فإن القول والعمل إذا لم يكن خالصاً لله لم يقبله الله.

وتارة يقولون: الإيمان: قول وعمل ونية واتباع سنة، وأضيف «اتباع السنة» وهي ما أمر الله به ورسوله للتنبيه على اشتراطه لقبول الأعمال كما قال ﷺ:**«مَنْ**

---

(١) «الإيمان» (ص:٢٥٠).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٥).

(٣) انظر «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص:١٤٢-١٤٣).

عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[١].

وتارة يقولون: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان -أي: الجوارح-.

قال التابعي الجليل سعيد بن جبير رحمه الله (ت:٩٥هـ):«لا يقبل قول إلا بعمل، ولا يقبل قول وعمل إلا بنية، ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة» [٢].

وقد سئل سهل بن عبد الله التستري (ت:٢٨٣هـ) عن الإيمان ما هو؟ فقال:«قول وعمل ونيه وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة».

وقد خالف أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان طائفتان[٣]:

١- الوعيدية من الخوارج والمعتزلة: وقالوا: بأن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وبهذا وافقوا أهل السنة وخالفوهم بجعلهم الإيمان شيئاً واحداً لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله بحيث يخرج العبد من الإيمان بارتكابه الكبيرة أو فعله المعصية ثم حكمت الخوارج بكفره، ويوم القيامة يكون مخلداً في النار، وقالت المعتزلة: بأنه في منزلة بين المنزلتين ويوم القيامة يكون مخلداً في النار، أما أهل السنة فأجازوا أن يذهب بعض الإيمان مع بقاء بعضه إذا لم يكن الذاهب ينافي أصل الإيمان كالشهادتين فالخوارج والمعتزلة وافقوا أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان لفظاً وخالفوهم في حقيقته ومعناه.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٦٨).

(٢) رواه اللالكائي برقم (٢٠).

(٣) انظر «الإيمان» (ص:١١٨، ١٣٤-١٣٦، ١٥٧)، و«الفرقان بين الحق والباطل» (ص:٦٢-٦٣)، و«مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٠٧-٥٠٨).

٢- المرجئة: وهم على أربع نِحَل -كلها ضالة-:

أ) الجهمية: الإيمان عندهم هو مجرد المعرفة بالله، أما الكفر فهو الجهل.

وبقولهم هذا يكون إبليس وفرعون ونحوهما من المصدقين المعاندين: مؤمنين، وهذا قول ظاهر الفساد.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

قالوا: وإقرار العباد بأنه ... خلاقهم هو منتهى الإيمان

والناس في الإيمان شيء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان

فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ... والاهم من عابدي الأوثان

اسأل أبا الجن اللعين أتعرف ال ... خلاق أم أصبحت ذا نكران

واسأل كذاك إمام كل معطل ... فرعون مع قارون مع هامان

هل كان فيهم منكر للخالق الر ... ب العظيم مكون الأكوان

فليبشروا ما فيهم من كافر ... هم عند جهم كاملو الإيمان

ب) الكرامية: الإيمان عندهم هو قول اللسان فقط.

وبقولهم يكون المنافقون مؤمنين، مكذبين قول الله -تعالى-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ [البقرة : ٨]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ [المائدة : ٤١].

جـ) الأشاعرة: والإيمان عندهم هو مجرد التصديق، فأخرجوا قول اللسان

وعمل الجوارح من مسمى الإيمان.

د) **مرجئة الفقهاء**: والإيمان عندهم هو اعتقاد القلب وقول اللسان دون عمل الجوارح، وخلاف أهل السنة مع هؤلاء خلاف حقيقي ليس لفظياً فقط أو صورياً، وهذا ما رجحه شيخنا الإمام الرباني المحدث السلفي ناصر السنة محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ [1] (ت:١٤٢١هـ).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«وأصل نزاع هذه الفرقة في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً، إذا زال بعضه زال جميعه وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه.

فلم يقولوا بذهاب بعض وبقاء بعض كما قال النبي ﷺ:«**يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ الإِيمَانِ**[2]» [3].

ونختم الكلام في حد الإيمان بتأصيل بديع لأستاذنا الشيخ العلامة حماد الأنصاري ـ رحمه الله تعالى ـ (ت:١٤١٨هـ) حيث يقول:

«وأما ما يتعلق بمسألة الإيمان، وشرح مذهب السلف فيها.. فخلاصة مذهب السلف أن الإيمان يتألف من خمس نونات:

---

(١) كما قال بهذا القول العلامة شهاب الدين محمود الألوسي (ت:١٢٧٠هـ) في تفسيره «روح المعاني» (٩/ ١٧٦)، والشيخ العلامة عبيد الله الرحماني المباركفوري (ت:١٤١٤ هـ) في «مرعاة المفاتيح» (١/ ٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٩٣)، وأحمد (٣٦٠٠)، والترمذي (٢٥٩٨)، وابن ماجه (١١٤٠) بألفاظ مختلفة.

(٣) «الإيمان الأوسط» (ص:٣٨٣).

أولاً: قول باللسان.

ثانياً: اعتقاد بالجنان.

ثالثاً: عمل بالأركان.

ورابعاً: يزيد بطاعة الرحمن.

وخامساً: ينقص بطاعة الشيطان.

هكذا الإيمان عند السلف.

بخلاف الإيمان عند المبتدعة، كالخوارج، والمعتزلة؛ فالإيمان عند هاتين الطائفتين يتألف من ثلاث نونات؛ هي:

أ- قول باللسان.

ب- واعتقاد بالجنان.

جـ- وعمل بالأركان.

وكذلك المرجئة، يتألف الإيمان عندهم -على اختلاف طوائفهم- على ما يلي:

* **مرجئة الأحناف**: يتألف عندهم الإيمان على نونين فقط:

إحداهما: قول باللسان.

والأخرى: اعتقاد بالجنان.

* **وكذلك مرجئة الأشعرية- الكلابية والماتردية**: فالإيمان عندهم نون واحدة، وهي: التصديق بالجنان فقط.

* **وأما الكرّامية السجستانية**: فالإيمان عندهم كذلك نون واحدة؛ وهي: قول

باللسان فقط.

* **وأما الجهمية** -أتباع جهم بن صفوان الترمذي-، عن الجعد بن درهم، عن أبان بن سمعان الكذاب الرافضي، عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم الساحر اليهودي -الذي سحر النبي ﷺ- فهذه الطائفة الكافرة تحصر الإيمان كذلك في نون واحدة؛ وهي: المعرفة بالجنان»[1].

(يَزِيدُ وينقُصُ): لما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان، كان الإيمان قابلاً للزيادة والنقصان فهو يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان.

وقد دل على هذا الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال:٢].

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وقوله: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة:١٢٤-١٢٥].

---

(١) مقدمته على كتاب «تعظيم قدر الصلاة» (١/٦-٧)، و«المجموع» (٢/ ٤٨٠-٤٨١، ٧٢٣) للفاضل عبد الأول -وفقه الله وسدّده-، نقلاً عن والده شيخنا العلامة حماد الأنصاري رحمه الله.

وقوله: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٢].

وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ ﴾ [الفتح:٤].

ومنها تصريحه بزيادة أفراد الإيمان كالخشوع في قوله: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء:١٠٩].

ومنها تصريحه بزيادة الهدى في قوله: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم:٧٦]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾[محمد:١٧].

ومنها: تصريحه بتفاضل أهل الإيمان: كما قال عن الأنبياء:﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء:٥٥].

وقال:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وكما فاضل بين صحابة رسول الله ﷺ: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ ﴾ [الحديد:١٠].

وكما فاضل بين المجاهدين: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ [النساء:٩٥-٩٦].

وكما فاضل بين درجات العلماء وأهل الإيمان فقال: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[المجادلة:١١].

وكما فاضل بين عباده المؤمنين وقسمهم إلى طبقات: سابقون بالخيرات: وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، ومقتصدون: وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، وظالمون لأنفسهم: وهم الذين تجرءوا على بعض المحرمات وقصروا ببعض الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم.

فقال ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر:٣٢].

ومن السنة: قوله ﷺ: «**يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ -تَعَالَى-: أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[١].

وقوله: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**»[٢].

وقوله: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ..**»[٣].

فسلبه اسم (الإيمان المطلق) -وهو كماله- وإن لم يسلب عنه اسم (مطلق

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٧٣)، وبنحوه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (١٣٢) (٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (١٠٠) (٥٧)، والنسائي (٥٦٥٩)، وابن ماجه (٣٩٣٦).

الإيمان) -وهو أصله- .

وقد سئل الإمام أبو جعفر الباقر[١] محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ عن هذا الحديث؟ فقال:«هذا الإسلام -ودور دارة كبيرة-، وهذا الإيمان ودور دارة صغيرة في وسط الكبيرة، والإيمان مقصور في الإسلام، فإذا زنى وسرق خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر بالله ﷻ »[٢].

وقوله ﷺ:«**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ** »[٣] وغيرها كثير.

ومن أقوال أئمة السلف:

قال أبو هريرة ﷺ :«الإيمان يزداد وينقص»[٤].

قال الصحابي عمير بن حبيب الخطمي ﷺ :«الإيمان يزيد وينقص»، فقيل له: فما زيادته ونقصانه؟ قال:«إذا ذكرنا ربنا وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه» [٥].

وكان معاذ بن جبل ﷺ يقول للرجل من أصحابه:«اجلس بنا نؤمن ساعة»[٦].

---

(١) قال الإمام الذهبي:« كان إماماً مجتهداً كبير الشأن» «السير» (٤/ ٤٠٢).

(٢) أخرجه الخلال في «السنة» (١٠٨٣)، وابن راهويه في «مسنده» (٤١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٧٨) (٤٩).

(٤) رواه الآجري في «الشريعة» (٢٣٧)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٦٢٢).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» برقم (١٤) وعبد الله بن أحمد في «السنة» برقم (٦٢٤).

(٦) أخرجه أبو عبيد في «الإيمان» برقم (٢٠)، وكذا ابن أبي شيبة برقم (١٠٥).

قال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله (ت : ١٩٨هـ):«الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»، فقال له أخوه -إبراهيم بن عيينة-: يا أبا محمد، لا تقولن: يزيد وينقص!! فغضب وقال:«اسكت يا صبي! بلى؛ حتى لا يبقى منه شيء»[١].

قال الإمام عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله (ت:٢١١):«كان معمر وابن جريج والثوري ومالك وابن عيينة يقولون:«الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» »[٢].

وقال الإمام مالك رحمه الله (ت:١٧٩):«الإيمان يزيد وينقص، ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾[الفتح:٤]، و﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[البقرة:٢٦٠]، فطمأنينة قلبه زيادة في إيمانه»[٣].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:«ولو كان هذا الإيمان كله واحداً لا نقصان فيه ولا زيادة، لم يكن لأحد فيه فضل، واستوى الناس، وبطل التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله في الجنة، وبالنقصان من الإيمان دخل المفرطون النار»[٤].

وعن صالح بن الإمام أحمد أن أباه قال:«الإيمان بعضه أفضل من بعض، يزيد وينقص وزيادته في العمل، ونقصانه في ترك العمل»[٥].

= وإسناده صحيح على شرط الشيخين كما قال شيخنا الألباني رحمه الله.

(١) رواه الإمام الحميدي في «أصول السنة» (٢/ ٥٤٧- مسنده).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» (٧٢٦)، وانظر «شرح صحيح مسلم» (١/ ١٤٦).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» برقم (١٧٤٢).

(٤) «مناقب الشافعي» البيهقي (١/ ٣٩٣).

(٥) رواه الخلال في «السنة» برقم (١٠٠٨).

قال الإمام البخاري رحمه الله (ت:٢٥٦):«لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار؛ فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص»[١].

كما بوب في «الصحيح»:«باب زيادة الإيمان ونقصانه».

وقال الحافظ ابن أبي داود السجستاني رحمه الله (ت:٣١٦):

وقل إنما الإيمان: قول ونية   وفعل على قول النبي مصرح
وينقص طوراً بالمعاصي وتارة   بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله (ت:٤٤٩ هـ):«ومن مذهب أهل الحديث: أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»[٢].

وقال شيخ الإسلام:«إذا كان العبد يفعل بعض المأمورات، ويترك بعضها كان معه من الإيمان بحسب ما فعله، والإيمان يزيد وينقص»[٣].

ولزيادة الإيمان أسباب، أهمها:

- تحقيق توحيد الله بألوهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى.
- النظر في آيات الله الكونية والشرعية:

قال تعالى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ

(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» برقم (٣٢٠)، وانظر «الفتح» (١/ ٦٠-٧١).

(٢) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص:٦٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦١٦).

رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠].

وقال:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ [يونس:١٠١].

وقال:﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ ﴾ [الذاريات : ٢١].

» تدبر كتاب الله ﷻ ، وتعلمه، وتلاوته وحفظه، والعمل به، والتحاكم إليه.

قال الإمام ابن قيم الجوزية ﷫ (ت:٧٥١):

تدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

» تجريد المتابعة للنبي ﷺ مع معرفة هديه وسنته وسيرته وشمائله وأخلاقه.

» ترك المعاصي والبدع تقرباً إلى الله ﷻ ، واجتناب ما يوصل إليها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷫ :«الناس إذا وقعوا في البدع والمعاصي نقص عليهم إيمانهم.. ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم من أبعد الناس عن الذنوب والبدع لاستغنائهم بالعلم والإيمان بالله وما تلقوه عن الرسول ﷺ، ولا تجد أحداً وقع في بدعة إلا لنقص أتباعه للسنة علماً وعملاً»[1].

» فعل الطاعات -فرضاً كانت أو نفلاً- والإكثار منها.

» الإقبال على الدار الآخرة والسعي لها، والزهد في الدنيا.

» سؤال الله والتضرع إليه بالهداية والثبات وحسن العاقبة.

---

(١) «شرح حديث «لا يزني الزاني..»» (ص:٣٥).

◀◀ قراءة سير الصحابة والسلف مع الاقتداء بهم واقتفاء أثرهم، لأنهم القوم لا يشقى متبعهم.

وأسباب نقص الإيمان عكس هذه وأضدادها و«بضدها تتبين الأشياء».

وقد خالف أهل السنة والجماعة في هذا الأصل الأصيل من اعتقادهم طائفتان:

١- الوعيدية من الخوارج والمعتزلة: قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأنه لا يتبعض، فإذا نقص ذهب كله، ومنعوا تفاضله.

وقالت الإباضية من الخوارج بأن الإيمان يزيد ولا ينقص بل ينهدم ويذهب كله.

٢- المرجئة: وقالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأن الأعمال ليست سن الإيمان حتى يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها.

فالإيمان عند أهل السنة والجماعة يتفاضل أهله فيه ويتفاوتون فيه تفاوتاً عظيماً، فليس إيمان من نفى الله عنه الإيمان كإيمان أبي بكر ﷺ، فمن في قلبه مثقال ذرة من إيمان لم يدخل جميع الإيمان في قلبه، وإنما دخل في قلبه شيء منه، فهذا يثاب على أعماله وهو مسلم ومعه إيمان، ولم يدخل كمال الإيمان في قلبه بل إيمانه ناقص؛ فالفاسق معه إيمان ناقص نقصاً هو نقص جزء واجب، وما كان كذلك فإنه ينفى، وإن كان قد أثيب على فعل ما فعل لكن ما تبرأ ذمته ولا يعاقب عقوبة من لم يفعل شيئاً، كمن ترك بعض واجبات العبادة فيقال له: صل فإنك لم

تصل، ولا يكون من ترك الطمأنينة كمن ترك جميع الصلاة[١].

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الفساق -الذين ليسوا منافقين- معهم شيء من الإيمان يخرجون به من النار هو الفارق بينهم وبين الكفار والمنافقين، لكن إذا كان معه بعض الإيمان لا يلزم أن يدخل في الاسم المطلق الممدوح[٢].

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله:«والإيمان مراتب بعضها فوق بعض، فليس الناقص منها كالكامل»[٣] .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:

«إن أعمال القلوب مثل: محبة الله ورسوله، وخشية الله -تعالى-، ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الإيمان، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف، وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلاً عظيماً»[٤].

☑ فالإيمان منه (الإيمان المطلق): وهو الإيمان الكامل الذي يمنع من دخول النار، وصاحبه هو الذي أدى الواجبات وترك المحرمات، وهو الوارد في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ [الأنفال:٢] ونحوها.

و(مطلق الإيمان): وهو أصل الإيمان الذي يمنع من الخلود في النار، وصاحبه

---

(١) انظر «شرح حديث «لا يزني الزاني.. »» لشيخ الإسلام (ص:٢٧).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٥٧).

(٣) «التمهيد» (٩/ ٢٤٤).

(٤) «الإيمان» (ص:٢٢٢).

من تجرأ على بعض المحرمات وترك بعض الواجبات، فهو مؤمن ناقص الإيمان وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات:٩]، وقوله: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء:٩٢].



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

القرآن كلام الله غير مخلوق

📖 [٢] (والقُرآنَ كَلاَمُ اللهِ غَيرُ مَخلُوقٍ بجميعِ جِهَاتِهِ):

(والقُرآنَ): القرآن في اللغة: مصدر قرأ قرْءاً وقرْآناً على وزن «فُعلان» مثل: غفر غفْراً وغفراناً، فهو مصدر بمعنى اسم المفعول: مصدر «تلا» بمعنى «متلو».

وقيل: هو مشتق من «القِران» بمعنى: الجمع كما يقال: قرأت الماء في الحوض، أي: جمعته، فيكون مصدر بمعنى مجموع لجمعه السور والآيات وضم بعضها لبعض في المصاحف والصدور أو لجمعه الأخبار والأحكام، ولكونه ثمرة الكتب السماوية كلها فقد جمع كل خير متقدم وزاد عليه.

وقيل: هو مشتق من «القرائن» وهي الأشياء التي يشبه بعضها بعضاً فالآيات يصدق بعضها بعضاً ويشبه بعضها بعضاً.

وقيل: هو جامد غير مشتق، فهو موضوع في أول الأمر على الكلام المنزل[(١)].

ثم اعلم -أرشدك الله- أن القرآن عندنا معشر أهل السنة والجماعة -الفرقة الناجية المنصورة- هو:«كَلاَمُ اللهِ، غَيرُ مَخلُوقٍ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ، مِنهُ بَدأَ وَإِلَيهِ يَعُودُ، المُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِهِ وَخَاتَمِ أنبيائِهِ محمَّد، بِوَاسِطَةِ أَمِينِ الوَحْيِ جِبرِيل ﷺ، المُتَعبَّدُ بِتِلاوَتِهِ، المَبْدُوءُ بِسُورَةِ الفَاتِحةِ، المَختُومُ بسُورةِ النَّاسِ، المُعجزُ بلفظِهِ وَمَعَانِيهِ وَجَمِيعِ خَصَائِصِهِ، المُتحدَّى بِأقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ، المَنقُولُ إلينَا بِالتَّواتُرِ، المجمُوعُ بَينَ دَفَّتي المُصحَف، المحفوظُ بالصُّدُورِ، المتلوُّ بِالألسِنَةِ».

---

(١) انظر مقدمات رسالتي للدكتوراة:«اختيارات الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام ومنهجه في القراءة»، وكتابي «البدايات لمريد علم القراءات» يسر الله إتمامه ونشره.

ونشرع في شرح هذه المفردات التي بمجموعها يكون معنى القرآن العظيم.

(القرآن: كَلاَمُ اللهِ...):

لفظه ومعانيه، وإضافة الكلام إلى الله ﷻ هنا إضافة وصف، لا إضافة خلق وملك.

قال ابن القيم:

وكـــذلك القـــرآن عـــين كلامـــه ال مســـموع منـــه حقيقـــة ببيـــان

هـــو قـــول ربـــي كلـــه لا بعضـــه لفظـــاً ومعنًـــى مـــا همـــا خلقـــان

تنزيـــل ربّ العـــالمين ووحيـــه اللفـــظ والمعنـــى بـــلا روغـــان

لأن المضافات إلى الله -تعالى- نوعان:

الأول: مضاف إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف: وهي التي لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بموصوف، كصفة الكلام، والعلم، والقدرة، والرّضا فهذه لا تكون إلا إضافة صفة إلى الله فتكون قائمة به سبحانه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[١]، فالكلام لا يقوم بنفسه إلا بالمتكلم، فإضافته إلى المتكلم إضافة صفة إلى موصوفها، وكقوله تبارك وتعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾[٢] ، وكقوله: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ

(١) التوبة: ٦.

(٢) النساء: ١٦٦.

أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[١].

وكقول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ»[٢].

وهذا النوع ينكره الجهمية والمعتزلة لتعطيلهم صفات الله ﷻ كلّها[٣]، وفي المقابل تجعل غلاة الصوفية جميع ما يضاف إلى الله من هذا النوع؛ ليصلوا إلى القول بالحلول ووحدة الوجود -تعالى الله عمّا يقول الظالمون الزائغون علوًّا كبيراً-.

الثاني: مضاف إلى الله من باب إضافة الخلق إلى الخالق أو الملك إلى المالك: وهي كل ما يضاف إلى الله ويكون عيناً قائمة بنفسها، أو حالاً في ذلك القائم بنفسه، كناقة الله وبيت الله، ومنه: قوله تعالى: ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾[٤] فإضافة النّاقة إلى الله مضافة إضافة الملك والتشريف فالنّاقة عين قائم بنفسها.

وكقوله: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[٥].

وكقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴾[٦]، والرّوح هنا هو جبريل عليه السلام.

---

(١) السجدة: ١٣.

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٢).

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» (٦/١٤٧-١٤٨).

(٤) الشمس: ١٣.

(٥) الحج: ٢٦.

(٦) مريم: ١٧-١٩.

وكقولـه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[1]، وهنا وإن كان خلق ما في السموات وما في الأرض مضافاً إلى الله ولكن يلحق به؛ لأنه أتى بصيغة (من الله).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ:«إن المضاف إن كان شيئاً قائماً بنفسه أو حالاً في ذلك القائم بنفسه، فهذا لا يكون صفة لله، لأن الصفة قائمة بالموصوف.

فالأعيان التي خلقها الله قائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها تمتنع أن تكون صفات لله؛ فإضافتها إليه تتضمن كونها مخلوقة مملوكة، لكن أضيفت لنوع من الاختصاص المقتضي للإضافة لا لكونها صفة، والرّوح الذي هو جبريل من هذا الباب، كما أن الكعبة والنّاقة من هذا الباب، ومال الله من هذا الباب، وروح بني آدم من هذا...»[2].

قال ابن القيم:

والله أخـــبر في الكتـــاب بأنـــه منـــه ومجـــرور بمـــن نوعـــان

عـــينٌ ووصـــفٌ قـــائم بـــالعين فالأعيـــان خلْـــقُ الخـــالقِ الرحمـــان

والوصـــف بـــالمجرور قـــام لأنـــه أولى بـــه في عـــرف كـــل لســـان

ونظـــير ذا أيضـــاً ســـواءً مـــا يضـــاف إليـــه مـــن صـــفة ومـــن أعيـــان

فإضـــافة الأوصـــاف ثابتـــة لـــمن قامـــت بـــه كـــإرادة الرحمـــان

---

(١) الجاثية: ١٣.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ١٥١)، وانظر «شرح الأصفهانية» (ص:٦٦-٦٧)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٢٢٠-٢٢١).

وإضافة الأعيان ثابتة له ملكاً وخلقاً ما هما سيّان
فانظر إلى بيت الإله وعلمه لما أضيفا كيف يفترقان
وكلامه كحياته وكعلمه في ذي الإضافة إذ هما وصفان
لكن ناقته وبيت إلهنا كعبيده أيضاً هما ذاتان
فانظر إلى الجهمي لما فاته الـ حق المبين وواضح الفرقان
كان الجميع لديه باباً واحداً والصبح لاح لمن له عينان

يقول الإمام ابن قدامة رحمه الله (ت٦٢٠):«إذا لم يكن هذا قول الله فأين كتاب الله؟ وأين القرآن المجيد؟ وبم يصلي المسلمون؟ وبأي شيء يخطب الخاطبون؟ وبم تثبت الأحكام؟ وأين معجزة النبي وأين القرآن الذي أنزل على محمد سيد المرسلين وتحدى الخلق بالإتيان بمثله فعجزوا؟ وأين القرآن الذي زعم الكفار أنه شعر وأنه أساطير الأولين وأن النبي افتراه وأنه إنما يعلمه بشر؟ وأين القرآن المبين والكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»[(١)].

(غَيرُ مَخلُوقٍ):

سيأتي تفصيل الكلام عليها.

(مِنهُ بَدَأَ):

أي هو المتكلّم به، فمنه بدأ لا من بعض مخلوقاته كما قال تعالى :﴿ تَنزِيلُ

(١) «الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم» (ص:٢٠).

ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[(١)]، وقوله:﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[(٣)]، وكقوله :﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[(٤)].

أمَّا إضافة القرآن لجبريل كما في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾[(٥)]، وإضافته إلى محمد ﷺ في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾[(٦)]، فهي إضافة إليهما لأنهما يبلغانه لا لأنهما ابتدأاه.

وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة خلافاً للمعتزلة والجهمية ومن ضاهاهم من الأشعرية القائلين بأنه خُلق في الهواء أو في اللوح المحفوظ أو في محل ما أو في جسم ما، فبدأ كلام الله من غيره.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:«و إن قول السلف: (منه بدأ) لم يريدوا أنّه فارق ذاته، وحل في غيره، فإن كلام المخلوق، بل وسائر صفاته لا تفارقه وتنتقل إلى غيره، فكيف يجوز أن يفارق ذات الله كلامُه أو غيره من صفاته»[(٧)].

---

(١) الزمر : ١.

(٢) السجدة : ١٣.

(٣) النحل : ١٠٢.

(٤) التوبة : ٦.

(٥) التكوير : ١٩-٢٠.

(٦) الحاقة: ٤٠-٤١.

(٧) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٢٧٤).

قال ابن القيم:

وتكايست أخرى وقالت إنه نقل من اللوح الرفيع الشان
في اللوح مبدؤه ورب اللوح قد أنشأه خلقا فيه ذو الحدثان

(وَإِلَيهِ يَعُودُ):

في معناه وجهان - كلاهما صحيح- :

١- يُرفع في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف[١].

فعن شداد بن مغفل قال: قال ابن مسعود:«إنَّ أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون منه الصلاة، وسيصلّي قوم لا دين لهم، وإنَّ هذا القرآن الذي بين أظهركم يوشك أن يُرفع»، قال: قلت: يا أبا عبد الرحمن، وكيف ذاك، وقد أثبته الله -جل وعز- في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا؟ قال: «يسرين عليه في ليلة واحدة ؛ فلا يترك منه في صدر رجل، ولا في مصحف ، ثمّ قرأ :﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ الآية[٢] »[٣].

وعنه رضي الله عنه أيضاً:«ليُسرينّ على القرآن ذات ليلة، فلا يترك آية في مصحف،

(١) كما صح بذلك الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، انظر «السلسة الصحيحة» (٨٧).

(٢) الإسراء : ٨٦.

(٣) أخرجه الدارمي في «سننه» (٣٦٠٧).

ولا قلب أحد إلا رُفعت»(١).

٢- يعود إليه وصفاً، أي أنه لا يوصف به أحد سواه ﷻ فهو المتكلم بالقرآن، الموصوف به.

وإن قول أهل السنة والجماعة بأن القرآن من الله، وإليه يعود، هو المأثور، الثابت عن السلف ومنه:

قول عمرو بن دينار ﵀ -من التابعين- (ت: ١٢٦):«أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق، وما سواه مخلوق إلا القرآن ؛ فإنه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ ، وإليه يعود»(٢).

قال الإمام إسحاق بن راهويه ﵀ (ت:٢٣٨)-معلقاً على هذا الأثر- :«قد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب رسول الله ﷺ من البدريين والمهاجرين والأنصار، مثل: جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأجلة التابعين، وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة»(٣).

قال الإمام أحمد ﵀:«لقيت الرجال والعلماء والفقهاء بمكة والمدينة والبصرة

---

(١) أخرجه عبد الرَّزَّاق (٣/ ٣٦٢) وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣٤) والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٥٣) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٣٦٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٨٩) بسند حسن.

(٢) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٣٤٤)، والبيهقي في «سننه» (١٠/ ٢٠٥) و«في الأسماء والصفات» (٢٤٥)، والطبري في «صريح السنة» (١٦)، واللالكائي (٣٨١) بسند صحيح.

(٣) أورده البيهقي عقب قول عمرو بن دينار.

والشام والثغور وخراسان، فرأيتهم على السنة والجماعة، وسألت عنها الفقهاء، فكلٌ يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق؛ منه بدأ إليه يعود»[1].

(المُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِهِ وَخَاتِمِ أَنبِيائِهِ مُحَمَّد ﷺ): على أنه وحيه وكلامه بواسطة أمينه عليه:

قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾[2].

وقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

وقال: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾[4].

وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[5].

وقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[6].

وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾[7].

والأدلة في ذلك من كتاب الله كثيرة جداً.

---

(١) «اختصاص القرآن بعودهِ إلى الرحيم الرحمان» للضياء المقدسي (ص:٢١).

(٢) الأنعام: ١٥٥.

(٣) الإسراء: ٨٢.

(٤) النحل: ١٠٢.

(٥) الشعراء: ١٩٢-١٩٥.

(٦) الحجر: ٩.

(٧) القدر: ١.

وثبوت نزول القرآن من عند الله -تعالى- دليل على أنه كلامه، ودليل على علو الله على خلقه، لأن النزول يكون من الأعلى، كما إنه دليل على نزول القرآن منجماً مفرقاً كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[1]، وهو بخلاف الكتب السماوية الأخرى التي نزلت جملة واحدة.

(خَاتَمِ أنبيائِهِ):

بفتح التاء وكسرها، ففي الفتح يكون معناه: آخر أنبيائه، وبالكسر يكون معناه: زينة أنبيائه فهاتان قراءتان في قوله تعالى: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب:٤٠].

(المُتعبَّدُ بتِلاوَتِهِ):

قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾[2]، وقال: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾[3].

وقال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ: (الم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ، حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»**[4].

وهذا دليل كذلك على أنَّ كلامه تعالى بحرف كما أنَّه بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرب، قال شيخ الإسلام: «لم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو

---

(١) الفرقان :٣٢.

(٢) المزّمّل: ٤.

(٣) المزّمّل: ٢٠.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، والدارمي (٣٣٠٨)، وصححه شيخنا الإمام المحدث محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ في «صحيح الجامع» (٦٣٤٥).

بحرف»[(١)].

(المَبْدُوءُ بِسُورَةِ الفَاتِحَةِ، المَخْتُومُ بسُورةِ النَّاسِ):

وهذا الترتيب لسور القرآن وآياته توقيفي.

قال الإمام البغوي رحمه الله (ت: ٥١٦):«إن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً...، فأمر (خليفة رسول الله ﷺ) بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم؛ فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ، من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه عن رسول الله ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا، بتوقيف جبريل -صلوات الله عليه- إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في السورة التي يذكر فيها كذا...

فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد، لا في ترتيبه فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا أنزله الله -تعالى- جملة واحدة في شهر رمضان ليلة القدر إلى السماء الدنيا كما قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[(٢)]، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ ﴾[(٣)] ثم كان ينزله مفرقاً على رسول الله مدة حياته عند الحاجة، وحدوث ما شاء الله عز وجل، قال تعالى:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٠٥).

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) القدر: ١.

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[1] فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة.

وكان هذا الاتفاق من الصحابة سبباً لبقاء القرآن في الأمة، ورحمة الله ﷻ على عباده، وتحقيقاً لوعده بحفظه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2] ...»[3].

قال الإمام ابن وهب (ت:١٩٧): سمعت مالكاً يقول: «إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله»[4].

(المُعجزُ بلفظِهِ وَمَعَانِيهِ وَجَميعِ خَصَائِصِهِ، المُتحدَّى بِأَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ):

لَمَّا تحدى الله العرب وهم أهل الفصاحة والبيان والشعر والمعلقات وأسواق الشعر، بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ثم بعشر سور من مثله، ثم بأقصر سورة منه فلم يستطيعوا وعجزوا؛ وصف القرآن بأنه معجزٌ؛ فالقرآن وصفه أنه معجز، لا أن الله أعجز الإنس والجن على الإتيان بمثله، فالله لم يسلبهم هممهم بل أعطاهم كامل قدراتهم بخلاف ما يقال بأن الله صرف هممهم وهو ما يسمونه بـ«الصُّرفة»، وكيف لا يكون القرآن معجزاً وهو كلام الله الذي لا يشبه كلام البشر؟

سبحان من رفع السماء بلا عماد للنظر فزينت بالساطعات اللامعات وبالقمر

---

(١) الإسراء: ١٠٦.

(٢) الحجر: ٩.

(٣) «شرح السنة» (٤/ ٥٢١-٥٢٢).

(٤) «المقنع» لأبي عمرو الداني (ص:١٨)، و«المرشد الوجيز» لأبي شامة (ص:٤٦).

مـا قـال خلـق خلقـه القـرآن إلا قـد كفـر   لكـن كـلامٌ منـزل مـن عنـد خـلاّق البشـر

(المَنقُولُ إلينَا بِالتَّواتُرِ):

والتواتر: هو نقل جماعةٍ كثيرين للعلم عن مثلهم يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب، وأسندوه إلى شيء محسوس.

و خرج من هذا القيد: القراءات الشاذة والقراءات الأحادية التي لم تصل إلى حد التواتر، وكذا ما نسخت تلاوته.

فالمنقول إلينا بالتواتر هو الذي استقر في العرضة الأخيرة التي عليها نسخ عثمان رضي الله عنه المصاحف.

(المجمُوعُ بَينَ دَفَّتي المُصحَف):

وأول من قام بجمع القرآن بين دفتين أبو بكر الصديق رضي الله عنه بإشارة من عمر الفاروق رضي الله عنه لما اشتد القتل في القرّاء، وقد كان القرآن على عهد النبي ﷺ مفرقاً مكتوباً على اللخاف وهي الأحجار الرقاق، وجلود الأنعام والعظام وعسيب النخل وغير ذلك.

وفي قولنا:«المجموع بين دفتي المصحف» رد على الرّافضة الزاعمين ـ قاتلهم الله ـ أن كتاب الله محرف ناقص.

(القرآنُ كَلاَمُ اللهِ غَيرُ مخلوقٍ بجميعِ جِهَاتِه):

(غَيرُ مخلوقٍ) : أي ليس من مخلوقات الله التي خلقها.

وهذه العقيدة هي الفرقان بين أهل السنة وأهل البدعة، وهي: أن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه ليس الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، غير

مخلوق، صفة من صفاته.

وقد دلّ على هذا الأصل: الكتاب والسنة والعقل وإجماع سلف الأمة:

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، أي: حتى يسمع القرآن -بالاتفاق-.

وقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾[2].

و في هذه الآية إثبات أن القرآن كلام الله حيث وعد الله أهل الحديبية بأن يعوضهم من غنيمة مكة بغنيمة خيبر وفتحها وأن يكون ذلك مختصاً بهم دون غيرهم، فأراد المخلَّفون من الأعراب أن يبدلوا كلام الله فيخرجوا مع رسول الله ﷺ ليشاركوا في أخذ المغانم، فقال تعالى: ﴿ قُل ﴾ يا محمد لهم ﴿ لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾ أي: لا تتبعونا في خيبر، وفيها: إثبات القول لله ﷻ .

وقوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[3]، فجعل الله الخلق شيئاً، والأمر شيئاً آخر، لأن العطف يقتضي المغايرة.

فالخلق: هو فعله جلاله ، **والأمر**: قوله جلّ ذكره.

---

(١) التوبة : ٦.

(٢) الفتح : ١٥.

(٣) الأعراف : ٥٤.

والقرآن من أمره -الذي هو قوله- قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]، فإذا كان القرآن أمراً -وهو قسيم الخلق-؛ صار الأمر غير مخلوق.

قال الإمام أحمد رحمه الله:«قلت: قال الله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ ففرق بين الخلق والأمر»[2]، وقال فيما كتبه إلى المتوكل لما سأله عن القرآن:«وقد قال الله -تعالى-: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾، وقال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ فأخبر بالخلق، ثم قال:﴿ وَٱلْأَمْرُ ﴾ فأخبر أن الأمر غير مخلوق»[3].

وقال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله:«ما يقول هذا الدُّوَيبَّة» -يعني بشراً المريسي- قالوا: يا أبا محمد، يزعم أن القرآن مخلوق، فقال:«خلق الله -تبارك وتعالى-، والأمر القرآن»[4].

قال الإمام اللالكائي - معلقاً-:«وكذلك قال أحمد بن حنبل، ونعيم بن حمّاد، ومحمد بن يحيى الذهلي، وعبد السلام بن عاصم الأزدي، وأحمد بن سنان الواسطي، وأبو حاتم الرّازي».

وقال ابن القيم رحمه الله:

---

(١) الشورى : ٥٢.

(٢) رواه حنبل بن إسحاق في «المحنة» (ص:٥٢).

(٣) رواه صالح بن الإمام أحمد في «المحنة» (ص:١٢٠-١٢١).

(٤) رواه الآجري في «الشريعة» برقم (١٨٤)، واللالكائي (٣٥٨).

ولقد أتى الفرقان بين الخلق والـ أمر الصريح وذاك في الفرقان
وكلاهما عند المنازع واحد والكل خلق ما هنا شيئان

ومن الأدلة:

قوله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ ﴾(١).

ففرَّقَ تعالى بينَ علمهِ وخلقِه، وعلمه تعالى غير مخلوق.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٥ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ۝٣٧ ﴾(٤).

فسمى الله القرآن علماً، وعلمه تعالى غير مخلوق، إذ لو كان مخلوقاً -والعياذ بالله- لكان الله متصفاً بضده قبل خلقه -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «قال عز وجل: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣

---

(١) الرحمن: ١-٣.

(٢) البقرة : ١٢٠.

(٣) البقرة : ١٤٥

(٤) الرعد : ٣٧.

عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[الرحمن:١-٤]، فأخبر تبارك وتعالى أنَّ القرآن من علمه» ثم احتجَّ بالآيات السابقة، ثمَّ قال:«فالقرآن من علم الله -تعالى-، وفي هذه الآيات دليل على أنَّ الذي جاءه ﷺ هو القرآن، لقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[البقرة:١٢] »[١].

وقالَ رحمه الله في حكاية مناظرته للجهمية في مجلس المعتصم:«قال لي عبد الرحمن القزّاز[٢]: كان الله ولا قرآن، قلتُ له: فكان الله ولا علم؟! فأمسكَ، ولو زعَمَ أنَّ الله كان ولا علم لكفر بالله»[٣] والمقصود بالقرآن في كلامه رحمه الله عموم كلام الله الذي هو قديم لا آحاده فإنه متجدد وتابع للمشيئة.

وقيل له رحمه الله: قوم يقولون: إذا قال الرجل: كلام الله ليس بمخلوق، يقولون: مَن إمامك في هذا؟ ومن أين قلت: ليس بمخلوق؟ قال:«الحجة قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[آل عمران:٦١]، فما جاءه غير القرآن».

قال:«القرآن من علم الله، وعلم الله ليس بمخلوق، والقرآنُ كلامُ الله ليس بمخلوق، ومثل هذا في القرآن كثيرٌ»[٤].

وقال رحمه الله:«القرآن علمٌ من علم الله، فمن زعم أنَّ علم الله مخلوق فهو كافر»[٥].

---

(١) رواه صالح في «المحنة» (ص:١٢١)، وعبد الله في «السنة» رقم (١٠٧).

(٢) أحد مناظري الإمام أمام المعتصم.

(٣) رواه حنبل في «المحنة» (ص:٤٥).

(٤) رواه صالح في «المحنة» (ص:٦٩).

(٥) رواه ابن هانئ في «المسائل» (٢/١٥٣-١٥٤).

وقولـه تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾[١]، ففي هذه الآية إثبات أن الله يتكلم حقيقة مكلِّماً من شاء، وهذه الآية من أقوى الأدلة حيث أكد الكلام بالمصدر ﴿ تَكۡلِيمٗا ﴾ المثبت للحقيقة النافي للمعنى المجازي.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «قال الله -تعالى-: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ فأثبت الكلام لموسى كرامة منه لموسى ثم قال تعالى يؤكد كلامه: ﴿ تَكۡلِيمٗا ﴾»[٢].

وقد حاول معطلة صفات الله ﷻ تحريف هذه الآية بنوعي التحريف: اللفظي والمعنوي؛ فاللفظي: تحريفهم الآية إلى (وكّلم اللهَ موسى تكليماً) بنصب اسم الجلالة (اللهَ) ليكون التكليم من موسى.

ومن ذلك قول بعض المعتزلة لأبي عمرو ابن العلاء[٣] أحد القرّاء السبعة: أريد أن تقرأ: (وكلَّم اللهَ موسى تكليماً) بنصب لفظ الجلالة ليكون موسى هو المتكلم لا (اللهُ)، فقال أبو عمرو رحمه الله: «هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[٤]؟ فبهت المعتزلي»[٥].

والمعنوي: تحريفهم معنى الآية إلى: جرحه بأظافر الحكمة أو بمخالب الحكمة.

---

(١) النساء: ١٦٤.

(٢) «درء التعارض» (٢/ ٣٨).

(٣) انظر ما انفرد به هذا الإمام عن القرّاء التسعة من وجوه في القراءات في كتابي «ما انفرد به القرّاء» يسر الله نشره.

(٤) الأعراف : ١٤٣.

(٥) انظر«الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٣٧).

قالوا: لأن الكلْم في اللغة الجرح، متجاهلين الفرق بين كَلَم وكلَّم.

فيا لله العجب! ما أعمى عين (الهوى) عن (الهدى)!!

عمـوا عـن الحـق والأبصـار سـالمة ورُب أبصـار قـوم دون إبصـار

وهكذا هو شعار المعطلة على الدوام، يحاولون جهدهم تعطيل صفات الله بأي طريقة، ومن أمكنه منهم تعطيلها من لسانه عطلها فلا يذكرها ولا يذكر آية تتضمنها ولا حديثاً يصرح بشيء منها، ومن لم يمكنه تعطيل ذكرها؛ سطا عليها بالتحريف ونفي حقيقتها، أو جعلها لا معنى لها، أو معناها من جنس الألغاز والأحاجي[1].

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[2].

وقوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

فأخبر جلَّ ثناؤه -وقوله الحق- أنَّ كلماته لا حد لنهايتها، فلو أن البحار التي خلقَ الله كانت مداداً تكتب به، والشجر الذي خلق الله أقلاماً تخط به، لنفد مدادُ البحور، ولفنيت الأقلامُ، ولم تفن كلماتُ الله.

فلا يشابه كلامُ الله كلامَ المخلوق الفاني المحدود.

---

(١) انظر «الروح» (ص: ٤٤٨).

(٢) الكهف: ١٠٩.

(٣) لقمان: ٢٧.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:«وقد ضرب الله -تعالى- لكلامه واستمراره، ودوامه المثل بالبحر يمده من بعده سبعة أبحر، وأشجار والأرض كلها أقلام فيفنى المداد والأقلام، ولا تنفد كلماته، أفهذا صفة من لا يتكلم ولا يقوم به كلام؟ فإذا كان كلامه وتكليمه، وخطابه، ونداؤه، وقوله، وأمره ونهيه، ووصيته، وعهده، وإذنه، وحكمه، وإنباؤه، وإخباره، وشهادته، كل ذلك مجاز، لا حقيقة له؟! بطلت الحقائق كلها! فإن الحقائق إنما حقت بكلمات تكوينية ﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[(١)]، فما حقت الحقائق إلاَّ بقوله وفعله»[(٢)].

ومن أدلة السنة:

حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل في الموقف، ويقول:«**هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؟ فَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلاَمَ رَبِّي عز وجل** »[(٣)]، أي: القرآن، وما تضمنه من الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده.

وقوله ﷺ:«**فَضْلُ كَلاَمِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلاَمِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى سائِرِ خَلْقِهِ**»[(٤)]، فلو كان كلامه -جل شأنه- مخلوقاً لما ساواه بذاته التي لا تماثل الذوات

---

(١) يونس : ٨٢.

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٢٨٦).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٠)، وأبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٢٧)، وابن ماجه (٢٠١)، وغيرهم، وهو صحيح. انظر «السلسلة الصحيحة» (١٩٤٧)

(٤) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٨٨، ٣٤٠)، وعبد الله بن أحمد (١٢٩)، واللالكائي (٥٥٧).

بأي وجه من الوجوه.

قال الإمام الدارمي رحمه الله (ت:٢٨٠): «ففي هذه الأحاديث بيان أنَّ القرآن غير مخلوق، لأنَّه ليس شيء من المخلوقين من التفاوت في فضلِ ما بينهما كما بين الله وبينَ خلقهِ في الفضل، لأنَّ فضل ما بين المخلوقين يُستدرك، ولا يُستدرك فضل الله على خلقه، ولا يحصيه أحدٌ، وكذلك فضل كلامهِ على كلام المخلوقين، ولو كان مخلوقاً لم يكن فضل ما بينه وبين سائر الكلام كفضل الله على خلقه، ولا كعشر عشر جزء من ألف ألف جزء، ولا قريباً؛ فافهموه، فإنه ليس كمثله شيء، فليس كَكَلامه كلام، ولن يُؤتى بمثله أبداً»[1].

وقوله ﷺ:«**إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلاً فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لاَ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، قال:«**أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ**»[3].

فكلمات الله ليست مخلوقة، إذ لو كانت مخلوقة لما استعاذ بها رسول الله ﷺ -أعلم النَّاس بربِّه وما يجوز في حقه-.

قال الإمام نُعيم بن حمَّاد رحمه الله (ت٢٢٨) -شيخ البخاري-:«ولا يستعاذ

= وهو حسن -إن شاء الله- له شاهد عند الترمذي (٢٩٢٦)، والدارمي في «السنن» (٣٣٥٩).

(١) «الرد على الجهمية» (ص:١٦٢-١٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨)، وأحمد (٦/ ٣٧٧، ٤٠٩)، والترمذي (٣٤٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٩)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥١)، وأحمد (٢٧٠٩).

بالمخلوق، ولا بكلام العباد، والجن، والإنس، والملائكة».

قال البخاري -معلقاً-:«في هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق وأن ما سواه خلقه»[١].

وكما أن كلام الله صفة من صفاته يجوز الاستعاذة بها؛ يجوز الاستعاذة بغيرها من الصفات كما قال ﷺ:«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سُخْطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[٢].

قال ابن القيم :

ورسوله قد عاذ بالكلمات من لدغ ومن عين ومن شيطان

أيعاذ بالمخلوق حاشاه من الـ إشراك وهو معلم الإيمان

بل عاذ بالكلمات وهي صفاته سبحانه ليست من الأكوان

أما دلالة العقل فمن وجوه:

١- لو كان القرآن مخلوقاً لبطل مدلول الأمر والنهي والخبر والاستخبار فيه؛ لأن هذه الصيغ ستكون مخلوقة لا دلالة لها على معناها؛ بل هي مجرد أشكال خُلقت على هذه الصورة كما خلقت الشمس على صورتها والقمر على صورته.

---

(١) «خلق أفعال العباد» (ص:١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦)، وأحمد (٦/٥٨، ٢٠١)، وأبو داود (٨٧٩)، والنسائي (١١٠٠، ١١٣٠)، وابن ماجه (٣٨٤١).

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله :

والله عـــزّ وجـــل مـــوصٍ آمـــرٌ نـــاهٍ مُنَـــبٍ مرسِـــلٍ لبيـــان
ومخاطـــبٌ ومحاســـبٌ ومُنَبِّـــئٌ ومُحَـــدِّثٌ ومُخَبِّـــرٌ بالشـــان
ومُكَلِّـــمٌ مُـــتَكَلِّمٌ بـــل قائـــلٌ ومحـــذرٌ ومبشـــرٌ بأمـــان
هـــادٍ يقـــول الحـــق يُرشـــد خلقـــه بكلامـــه للحـــق والإيمـــان
فـــإذا انتفـــت صـــفة الكـــلام فكـــل هـــذا منتـــفٍ متحقـــق الـــبطلان

٢- إن الحيّ إذا لم يتصف بالكلام، لزم اتصافه بضده وهو الصمم والخرس، وهذه آفة يتنزه الله عنها، فتعين اتصافه بالكلام، فإن قالوا: إن الله غير قابل للكلام أو ضده، فقد ساووه بالجمادات التي ليس من شأنها الكلام فيلزم من نفي صفة الكلام لله إما أن يكون بها أخرساً أو جماداً -تعالى الله عمّا يقول الجاحدون الظالمون علوًّا كبيراً -.

قال ابن القيم:

فـــإذا انتفـــت صـــفة الكـــلام فضـــدها خَـــرَس وذلـــك غايـــةُ النقصـــان
فلـــئن زعمـــتم أن ذلـــك في الـــذي هـــو قابـــلٌ مـــن أمـــة الحَيَـــوان
والـــرب لـــيس بقابـــلٍ صـــفة الكـــلا م فنفيهـــا مـــا فيـــه مـــن نقصـــان
فيقـــال: ســـلبُ كلامـــه وقَبُولـــه صـــفة الكـــلام أتمّ للنقصـــان
إذاً أخـــرسُ الإنســـانِ أكمـــلُ حـــالةً مـــن ذا الجمـــادِ بأوضـــح البرهـــان
فجحـــدتَ أوصـــافَ الكمـــالِ مخافـــة التـــجسيم والتشـــبيه بالإنســـان

ووقعت في تشبيهه بالجامدات النَّاقصات وذا من الخذلان
الله أكبرُ هُتِّكت أستاركم حتى غدوتم ضحكةَ الصبيانِ

ولقد عاب الله -سبحانه- العجل الذي اتخذه قوم موسى إلهاً من بعده لعدم قدرته على الكلام والخطاب والنفع أو الضر، كما قال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾[1]، وقال:﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ:«ويقولون ما جاءت به النصوص النبوية ودلت عليه العقول الزكية الصريحة؛ فلا ينفون عن الله -تعالى- صفات الكمال ﷻ، فيجعلونه كالجمادات التي لا تتكلّم، ولا تبصر، فلا تكلم عابديها، ولا تهديهم سبيلاً، ولا ترجع إليهم قولاً، ولا تملك ضراً ولا نفعاً»[3].

٣ - إذا كان المخلوق المتكلم أكمل من المخلوق غير المتكلم، وكل كمال في المخلوق مستفاد من الخالق فكان الخالق به أحسن وأولى وأحرى.

٤ - إذا قلنا: إن القرآن مخلوق لزم أن يكون كل كلام من البشر وغيرهم حقه وباطله وجده وهزله كلاماً لله -جلَّ شأنه-، لأن كل كلام الخلق مخلوق، وبهذا

---

(١) طه : ٨٨-٨٩.
(٢) الأعراف: ١٤٨.
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ١٧٣)

يكونون قائلين بالحلول والاتحاد كما قال قائلهم ابن عربي -قاتله الله-:

ألا كل قول في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه [١]

و هذا الكلام باطل، وإذا بطل اللازم بطل الملزوم .

قال ابن القيم:

فيكون كل كلام هذا الخلق عين كلامه سبحانه ذي السلطان

إذا كان منسوباً إليه كلامه خلقاً كبيت الله ذي الأركان

هذا ولازم قولكم قد قاله ذو الاتحاد مصرحاً ببيان

٥ - إذا كان الكلام وهو بمعنى لا يقوم إلا بمتكلم مخلوقاً، لزمه أن تكون جميع صفات الله مخلوقة إذ لا فرق بين السمع والبصر والكلام ونحوها.

٦ - لو قلنا إن القرآن مخلوق، لكان الكلام عيناً قائمة بنفسها بائنة عنه، وهذا تعطيلٌ لصفة الكلام إذ أن الصفة إنما تقوم بالموصوف فالكلام صفة للمتكلم به ليست عيناً قائمة بنفسها حتى تكون بائنة من الله.

٧ - لو كان كلام الله مخلوقاً، لصح أن يضاف إلى المكان الذي خلق فيه حقيقة أو مجازاً، وكلاهما ممتنع ولا يصح شرعاً؛ فإنه لم يقل أحد أن قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾[٢] ، وقوله:﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ

(١) «الفتوحات المكية» (١/ ١٤١) له.

(٢) طه : ١٣-١٤.

ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1] أن ذلك كله هو قول الشجرة!

فإن قالوا: نثبت أن الله متكلِّم بكلام قائم في غيره فكلَّم اللهُ -تعالى- موسى بكلام مخلوق قائم بالشجرة لا به!

قلت: إذاً، انتفى الفرق بين قول الشجرة ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وقول فرعون:﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ لأن كلام الشجرة صفتها لا صفة الله، وكلام فرعون صفته، وكلٌّ منهما ادعى الربوبية، فلم يكن موسى محقّاً في إنكاره قول فرعون، وقبوله قول الشجرة وكلاهما قول كفري.

ولكن:

إذا لم يكن للمرء عينٌ صحيحةٌ فلا غروَ أن يرتابَ والصبحُ مسفرُ

وبهذا احتج الإمام أحمد -يرحمه الله- حيث قال:«وهذه قصة موسى، قال الله في كتابه حكاه عن نفسه: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴾ فأثبت الله الكلامَ منه لموسى كرامةً منه لموسى، ثمَّ قال بعد كلامه له ﴿ تَكْلِيمًا ﴾ تأكيداً للكلام، قال الله -تعالى-: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ... إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾، وتنكرون هذا، فتكون هذه الياء تَردُ على غير الله، ويكون مخلوق يدّعي الربوبية ؟! ألا هو الله ﷻ»[2].

---

(١) القصص: ٣٠.

(٢) رواه حنبل في «المحنة» (ص:٥٢).

وقد استحسن ذلك[١] الإمام المقرئ أبو عبيد القاسم بن سلاّم[٢] رحمه الله (ت ٢٢٤).

قال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «وأجمعنا أن موسى سمع كلام الله من الله لا من شجرة ولا من حجر ولا غيره، لأنه لو سمع من غير الله لكان بنو إسرائيل أفضل في ذلك منه، لأنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منه موسى، لكونهم سمعوا من موسى، فلم سمّي إذا كليم الله ؟

فإذا ثبت هذا لم يجز أن يكون الكلام الذي سمعه موسى إلاَّ صوتاً وحرفاً...»[٣].

٨ - وصف الله نفسه بالكلام وهو أعلم بنفسه، ووصفه رسوله ﷺ وهو أعلم بربه، فمن أنكر ذلك فهو مكذب بالقرآن وبما جاء به النبي العدنان.

◘ **أمّا أقوال السلف -رحمهم الله-** هي أكثر من أن تحصر، وقد حاول الإمام اللالكائي أن يجمع أئمة السلف القائلين في القرآن فبلغوا أكثر من خمسمائة نفس كلهم يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومع ذلك لم يستقصِ رحمه الله، قال: «فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمّة المرضيين، سوى الصحابة الخيّرين على اختلاف الأمصار ومضي السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتديّنوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل أقوال المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة، لكنني اختصرت

(١) «خلق أفعال العباد» (٥٩).

(٢) انظر ترجمة مستفيضة له في رسالتي للدكتوراه «اختيارات الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام ومنهجه في القراءة»، وهي مطبوعة.

(٣) «الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم» (ص:٤٦-٤٧).

وحذفت الأسانيد للإختصار، ونقلت عن هؤلاء عصراً بعد عصر، ولا ينكر عليهم منكر، ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه، أو صلبوه»[١].

فمن ذلك :

قال الإمام السُّني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المعروف بـ «الصادق»[٢] رحمه الله (ت: ١٤٨) لمّا سئل عن القرآن: مخلوق هو؟:«ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله»[٣].

قال عبد الله بن نافع:كان مالك يقول:«كلَّم اللهُ موسى -ويقول:- القرآن كلام الله»، ويستفظع قولَ من يقول: القرآن مخلوق[٤].

وقال إسماعيل بن أبي أويس: سمعت خالي مالك بن أنس وجماعة من العلماء بالمدينة وذكروا القرآن، فقالوا:«كلام الله ﷻ ، وهو منه، وليس من الله ﷻ شيء مخلوق»[٥].

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٤٤٥-٤٤٦).

(٢) قال الإمام الذهبي عنه:«بر صادق كبير الشأن» «ميزان الاعتدال»(١/ ٤١٤)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:«كان هو وأبوه وجده من أعيان الأئمة علماً وديناً» «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٨١).

وقد قيل: إنه ما كذب على أحد مثل ما كُذب عليه رحمه الله.

(٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» برقم (١٠٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٣٤٥)، وعبد الله بن أحمد (١٣٢،١٣٤)، وأبو داود في «المسائل» (ص:٢٦٥)، وغير هم.

(٤) رواه صالح في «المحنة» (ص ٦٦) بإسناد صحيح.

(٥) رواه عبد الله في «السنة» (١٤٥)، واللالكائي (٤١٠)، والآجري (١٧٨)، وعلّقه =

سئل الإمام سفيان بن عيينة عن القرآن؟ فقال:«كلام الله، وليس مخلوق»[١].

وقال الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك رحمه الله (ت: ١٨١) :«القرآن كلام الله ﷻ ، ليس بخالق ولا مخلوق»[٢].

وقال الإمام المزني رحمه الله (ت:٢٦٤):«كان مذهب الشافعي أن كلام الله غير مخلوق»[٣].

وقال الإمام وكيع بن الجراح رحمه الله (ت:١٩٧):«القرآن كلام الله ﷻ ليس بمخلوق»[٤].

وقال الإمام يحيى بن سعيد القطّان رحمه الله (ت:١٩٨):«كيف يصنعون بـ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص:١]؟، كيف يصنعون بهذه الآيــة ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾[طه: ١٤]؟ يكون مخلوقاً؟!»[٥].

و قال الإمام أحمد رحمه الله:«وقد رُوِي عن غير واحد ممّن مضى من سلفنا رحمهم الله أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله ﷻ ، وليس بمخلوق، وهو الذي أذهبُ إليه، ولستُ بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلاّ ما كان في كتاب الله ﷻ ، أو في حديث عن النبي ﷺ، أوعن أصحابه، أو عن التابعين، فأمّا غير ذلك فإنّ الكلامَ فيه غير محمود»[٦].

= البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٦٠٥).

(١) أخرجه أبو داود في «المسائل» (ص:٢٦٥).

(٢) أخرجه عبد الله (١٤٤)، واللالكائي (٤٢٦) بإسناد صحيح.

(٣) «العلو للعلي العظيم» (١٧٧- مختصره).

(٤) أخرجه عبد الله (١٥١).

(٥) أخرجه عبد الله (١٥٧) بإسناد صحيح.

(٦) رواه صالح في «المحنة» (ص: ١٢٢)، وعبد الله (١٠٨).

وغيرها كثير ...

(غَيرُ مخلوقٍ بجميعِ جِهَاتِهِ):

أي هو كلامه -سبحانه- غير مخلوق في الأحوال كلها سواء تُلي بالألسن أو حُفظ في الصدور أو تصرف في الدفتين أو رُقِم في السطور أو سُمع بالآذان، فلا يخرج بذلك عن أن يكون كلامه تعالى، فالكلام ينسب إلى من قاله ابتداء وهو الله -لا لمن نقله أداء وهو العبد- فالكلام كلام الباري والصوت صوت القاري وقد قال النبي ﷺ:«زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»[1] ، فنسب الصوت للقارئ.

فالكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً.

قال الإمام أحمد رحمه الله:«لم يزل الله ﷻ متكلماً، والقرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق، وعلى كل جهة»[2].

وقال الإمام الهمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله (ت:٣١٠):«الصواب من القول في ذلك عندنا أنه كلام الله غير مخلوق، كيف كتب وحيث يتلى، وفي أي موضع قرىء، في السماء وجد وفي الأرض، حيث حفظ في اللوح المحفوظ كان مكتوباً، وفي ألواح صبيان الكتاتيب مرسوماً؛ في حجر نُقش، أو في ورق خط، أو في القلب حُفظ، وبلسان لُفظ» [3] .

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٣/٤)، وأبو داود (١٤٦٨)، والنسائي (١٠١٥)، وابن ماجه (١٣٤٢)، والدارمي (٥٥٦/٢)، وغيرهم، وانظر«الصحيحة» لشيخنا الإمام الألباني رحمه الله (٧٧١).

(٢) رواه حنبل بن إسحاق في «المحنة» (ص:٦٨).

(٣) «صريح السنة» (ص: ٢٦).

قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله (ت:٣٧١):«ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه كيفما يُصرف بقراءة القارئ له بلفظه ومحفوظاً في الصدور، ومتلواً بالألسن، مكتوباً في المصاحف غير مخلوق»[1].

أما كتابة العباد وأصواتهم وحركة ألسنتهم والورق الذي كتب عليه القرآن والمداد الذي كتب به، فهذه كلها مخلوقة، لأن جميع ما يرجع إلى العباد وأفعالهم وأوصافهم مخلوقة.

فهناك فرق بين التلاوة والمتلو، والكتابة والمكتوب، والحفظ والمحفوظ؛ فالمحفوظ والمتلو والمكتوب واحد لا يختلف، فهو كلام الله وقوله بآياته وحروفه.

وقال الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله :«يتوجه العبد لله -تعالى- بالقرآن بخمسة أوجه، وهو فيها غير مخلوق: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بآذان، ونظر ببصر، وخط بيد، فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق، والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق»[2].

قال ابن القيم رحمه الله:

وتلاوة القرآن أفعال لنا وكذا الكتابة فهي خط بنان

كما المتلو والمكتوب والمحفوظ قول الواحد الرحمن

---

(١) «اعتقاد أئمة أهل الحديث» (ص:٥٧).

(٢) نقله العلاّمة حافظ الحكمي رحمه الله في «معارج القبول» (١/ ٣٧٣)، وانظر:«المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (١/ ٢٤٤).

العبد يقرؤه بصوت طيب وبضده فهما له صوتان
وكذاك يكتبه بخط جيد وبضده فهما له خطان
أصواتنا ومدادنا وأداتنا والرق ثم كتابه القرآن
ولقد أتى في نظمه من قال قو ل الحق فيه وهو غير جبان
إن الذي هو في المصاحف مثبت بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربي آيه وحروفه ومدادنا والرق مخلوقان
فشفى وفرق بين متلو ومصـ نوع وذاك حقيقة العرفان
الكل مخلوق وليس كلامه الـ متلو مخلوقاً هنا شيئان

وأول من أنكر التكليم: الجعد بن درهم الخراساني (ت:١٢٤ وقيل: ١١٨) في أوائل المائة الثانية، تبعاً لبعض فلاسفة النصارى واليونان، وقد حكم بقتله الحسن البصري وغيره من أئمة التابعين خوفاً على الأمة من بدعته فهرب من بني أمية فسكن الكوفة، حتى قتله قصاب الزنادقة خالد بن عبد الله القسري (ت:١٢٦هـ) -والي واسط في العراق- في يوم عيد الأضحى فقال في خطبته: «أيُّها النّاس ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد ابن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، -تعالى الله عمَّا يقول الجعد علواً كبيراً-»، ثمَّ نزل فذبحه.

قال ابن القيم:

ولأجل ذا ضحى بجعدٍ خالدُ الـ قسري يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

ثم ما إن خمدت بدعته حتى دعا إليها آخر عصر التابعين تلميذه الجهم بن صفوان[1] أبو محرز السمرقندي (ت:١٢٨)، ودعا إلى خلق القرآن وجحد صفات الله وأن في السماء رباً، فقتله سَلم بن الأحوز -الذي كان على شرطة خراسان- وقد قال حين أخذه:«يا جهم، إني لست أقتلك لأنك قاتلتني، أنت عندي أحقر من ذلك، ولكني سمعتك تتكلّم بكلام، أعطيت الله عهداً إن لا أملكك إلا قتلتك»، فضرب عنقه فاسودّ وجهه[2].

وقد فطن النّاس لكفرهما حتى كانوا يسمّونهم الزنادقة.

ثم لم يزل قولهما طامساً دارساً بعد قتلهما حتى درج العلماء وقلت الفقهاء، ونَشأ نشؤٌ من أبناء اليهود والنصارى في أواخر المائة الثانية مثل بشر بن غياث المريسي المعتزلي (ت:٢١٨)، فحمل لواء القول بخلق القرآن في زمن الخليفة هارون الرّشيد رحمه الله[3]؛ فمازال متوارياً أيام هارون نحواً من عشرين سنة حتى مات هارون الرّشيد، فظهر ودعا إلى الضلالة؛ فتصدّى له الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم يرحمه الله (ت:١٨٢ هـ) صاحب أبي حنيفة، وكسر شوكته ومن معه.

فلم يزل المعتزلة أذلة مقموعين لا يقبل لهم قول ولا يلتفت لهم إلى رأي إلى

---

(١) «الضال المبتدع رأس الجهمية» كما وصفه الإمام الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٤١)، وانظر «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٦).

(٢) انظر «فتح الباري» (١٣/ ٣٥٨).

(٣) الذي قال:«بلغني أن بشر بن غياث يقول: القرآن مخلوق، والله عليّ لئن أظفرني به لأقتلنه قتلة ما قتلها أحد قط» كما في «المناقب» لابن الجوزي (ص: ٤١٦).

بعد زمن الأمين رحمه الله فركنوا إلى المأمون الذي لم يجالس العلماء وقد عرَّب كتب اليونان وأنشأ دار الحكمة ببغداد التي جمع فيها كل ما وصلت إليه يده من كتب الفلسفة والمنطق، فخالطوه وحسنوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد في حمل الناس على ذلك ويراقب بقايا الأئمة لئلا تثار عليه الفتنة[1]، ثمّ قوي عزمه على ذلك فحمل النّاس عليه فاستفحل القول في عهده حتى امتحن أهل السنة امتحاناً شديداً، فلم يمهله الله فمات من سنته، ثم في عهد المعتصم تقلّد الدعوة إلى هذا المذهب مستشاره أحمد بن أبي دؤاد الجهمي البغيض عدو أحمد بن حنبل الذي ابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى أهلكه الله سنة (٢٤٠ هـ) ثم في عهد الواثق بن المعتصم فكان من نتيجة المحنة أن ضُرب إمام أهل السنة والجماعة أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله وطيف به، فصبر فنصر الله به الإسلام كما نصره بأبي بكر رضي الله عنه يوم الردة، وحدث بلاء عظيم على الإسلام وعلماء السنة فقُتل من الأئمة من قُتل وسُجن من سُجن، وضُرب وأهين من أُهين، وأُذي كل من لم يسلّم لهم بمقالتهم ولم ينتحل مذهبهم، فكل من أظهر مخالفتهم أو ذم مذهبهم أو اتهم بذلك أُحضر، فإن وافقهم ودخل في كفرهم وأجابهم إلى ما يدعونه إليه، وإلا قتلوه سرّاً أو سجنوه وجلدوه.

حتى أعزّ الله الدين وأظهر السنة في خلافة المتوكل رحمه الله سنة (٢٣٢) وما بعدها، فقمع المعتزلة والجهمية وسجنهم ولاحقهم وكبتهم وطمس آثارهم وقمع أنصارهم، وتحبب إلى أهل السُّنَّة، وتقرب إلى علمائهم وأرسل إلى الإمام أحمد كتاباً يسأله فيه عن القرآن سؤال استبصار لا سؤال امتحان واختبار، حتى استقام

---

(١) ومن ذلك قوله: «لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت: القرآن مخلوق».

أكثر النّاس على السنة الأولى والمنهج الأول.[١]

ومع ذلك حمل مقالة الجهمية والمعتزلة طوائف وتلقّفها عنهم أقوام أُخر، فحمل مضمونها بعض الطوائف التي تُظهر الرد عليهم كالأشاعرة والماتريدية، وهذا ما سيأتي وجهه.

🗗 وقد خالف أهل السنة والجماعة في مسألة الكلام والقرآن طوائف كثيرة، أشهرها سبع:

١- الكرّاميّة: أتباع محمد بن كرّام السجستاني (ت:٢٥٥هـ) وقولهم: إن كلام الله حروف وأصوات، غير مخلوق، يتكلم بمشيئته وقدرته وهذا هو قول أهل السنة ولكنهم خالفوهم في القول بحدوث كلامه تعالى بعد أن لم يكن، وعندهم أنَّ الله لم يزل متكلماً ولكن بمعنى أنه لم يزل قادراً على الكلام، وإلا فوجود الكلام الأزلي ممتنع عندهم لعدم وجود الحادث، وهم أقرب الطوائف إلى أهل السنة في هذا المسألة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -تغمده الله برحمته-:«والكلابية وكذلك الكرامية فيهم قرب إلى أهل السنة والحديث، وإن كان في مقالة كل من الأقوال ما يخالف أهل السنة والحديث»[٢].

لكنهم -أي الكرامية- كما يقول ﷫ :«وأما في الصفات والقدر والوعيد فهم

---

(١) مستفاد بتصرف وزيادة من:«النقض على بشر المريسي» (ص:٤٦٦) للدارمي، و«مناقب أحمد» لابن الجوزي (ص: ٤١٦-٤١٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٣٦-٢٣٧) للذهبي، و«مجموع الفتاوى» (١٢/ ٢٦-٢٧)، و«الحيدة» للكناني.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٥).

أشبه من أكثر طوائف الكلام التي في أقوالها مخالفة للسنة»[١].

٢- **السالمية**: ينسبون إلى محمد بن أحمد بن سالم البصري (ت:٢٩٨هـ) وابنه أحمد (ت:٣٥٠ هـ) وقولهم: إن كلام الله صفة قديمة قائمة لم يزل ولا يزال يتكلّم، ولكن لا تعلق لكلامه بمشيئته وقدرته، وكلامه:حروف وأصوات مقترنة بعضها ببعض في الأزل ليس لأحدها تقدم بالزمان على غيرها؛ فلا تعاقب ولا ترتيب إذ لا يوجد قبل وبعد في الأزل فـ«السين» من (بسم الله الرحمن الرحيم) تكون مقترنة بـ«الباء» و«الميم» في آن، لا مسبوقة بهما -ولهذا سّموا بـ «الاقترانية»-، وإنما يكون الترتيب بين الحروف وتعاقبها عند السمع بالآذان إذ لا تطيق الأسماع إدارك الحروف على سبيل الاجتماع ... إلى آخر هذيانهم.

وكل أقوالهم مبتدعة إلا قولهم بأن كلام الله لا تعلق له بالمشيئة، فقد قال به الأشاعرة والكلابية والماتريدية ولم يوافقوا أهل السنة إلا بقولهم بعدم خلق القرآن، وفي الجملة فقولهم خير من قول الأشعرية.

٣- **الفلاسفة وبعض غلاة الصوفية أتباع أرسطو كابن سينا**: القائلون بأن كلام الله لا وجود له خارج نفس الرّسول ﷺ، وإنما هو فيض على النفوس الفاضلة من العقل الفعّال بحسب استعدادها وقبولها فيوجب لها تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه وهذه التصورات والتصديقات المتجلية تقوى حتى تصور الشيء المعقول والمعاني صوراً نورانية وحروفاً وألفاظاً مجسمة يخاطبها بالكلام تسمعه الآذان، ولشدة صفاء نفس النبي ﷺ فهو كالمرآة المجلوة تنعكس المعاني من العقل الفعال على نفسه وتنطبع عليه، فالنبي ﷺ إنما يرى صوراً ويسمع أصواتاً

(١) «الرسالة التدمرية» (ص: ٥٣).

من داخل نفسه لا من خارجه، فكلام الله محدث في نفس محمد ﷺ كما أن الكلام الذي سمعه موسى كان موجوداً في نفسه لا خارجه.

وهذا القول مناقض أشد المناقضة للشريعة والنصوص الصريحة من الكتاب والسنة الدالة على أن الرسول ﷺ كان يوحى إليه إمّا بتكليم الله مباشرة أو بواسطة ملك من الملائكة منفصل عنه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[1].

قال شيخ الإسلام :«وهذا القول أبعد عن الإسلام ممن يقول: القرآن مخلوق»[2].

وقال ابن القيم:

وأتى ابن سينا القرمطي مُصَانعاً للمسلمين بإفك ذي بهتان

فرآه فيضاً فاض من عقل هو الـ فعال علةُ هذه الأكوان

حتى تلقاه زكي فاضل حسن التَّخيُّل جيد التبيان

فأتى به للعالمين خطابة ومواعظاً عَرِيَت عن البرهان

ما صرحت أخباره بالحق بل رمزت إليه إشارةً لمعاني

---

(١) الشورى : ٥١.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ١٦٣).

٤- الإتحادية وأهل وحدة الوجود:

القائلون بأن كل كلام في الوجود فهو عين كلام الله من حق أو باطل ومن هزل أو جد ومن كذب أو صدق ومن سحر أو كفر، بناءً على أنه لا وجود إلا وجود واحد هو عين وجود الله، فليس ثَمَّ وجودان متغايران: وجود واجب، ووجود ممكن.

قال ابن القيم:

وأتت طوائف الاتحاد بملة   طمت على ما قال كل لسان

قالوا: كلام الله كل كلام هـ   ذا الخلق من جن ومن إنسان

نظماً ونثراً زورُه وصحيحُه   صدقاً وكِذْباً واضحَ البطلانِ

فالسبُّ والشتمُ القبيح وقذفهم   للمحصنات وكل نوع أغاني

والنوْح والتعزيم والسحر المبيـ   ـن وسائر البهتان والهذيان

هو عينُ قول الله جل جلاله   وكلامه حقّاً بلا نكران

هذا الذي أدّى إليهم أصلهم   وعليه قام مُكَسِّحُ البنيان

٥- المعتزلة والجهمية: قالوا: القرآن الذي جاء به جبريل هو كلام حقيقة لكنه مخلوق ليس من صفات الله كالأرض والسماوات والناقة خلْقه في غيره، ومنهم من صرح بنفي صفة الكلام عن الله وقالوا: بأن كلام الله هو الألفاظ دون المعاني، فهو حروف مخلوقة سمّاها الله كلاماً ونسبها إليه تشريفاً وتعظيماً أو على سبيل المجاز.

وأشير إلى ما توهموه، وأُزيّف ما تصوروه ورسموه بما أنقله من كلام أئمة أهل السنة[١] ، وبالله التوفيق:

فمن شبهاتهم:

* قالوا: قال الله: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[٢]، والقرآن شيء فهو داخل في هذا العموم فيكون مخلوقاً.

فالجواب من وجوه:

الأول: يلزم من هذا الاستدلال أن يكون كل شيء ذكر في القرآن أنه شيء مخلوق، وأول هذه الأشياء: الله ﷻ ، قال تعالى:﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[٣].

فإمّا أن يساووا بين المتماثلات ويكفوا عن القول بخلق القرآن، وإمّا يفرقوا بين المتماثلات فيصفوا الله بالبهتان فيكفروا.

وبهذا يخرج من العموم في هذه الآية: الله وأسماؤه وصفاته التي منها الكلام.

ثانياً: إذا كان الله خالق كل شيء بمفهومهم، يلزم منه أن يكون القرآن مخلوقاً فلماذا ينكرون أن تكون أفعال العباد مخلوقة لله؟! وقد قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ

---

(١) استفدت في هذا المبحث كثيراً من كتاب «العقيدة السلفية في كلام رب البرية» لعبد الله الجديع، ومقدمة تحقيق الدكتور علي الشبل لـ«الرسالة الواضحة» لابن الحنبلي.

(٢) الزمر: ٦٢.

(٣) الأنعام: ١٩.

وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١] .

فالمعتزلة تعتقد أن أفعال العباد مخلوقة للعباد ليست خلقاً لله، فصرفوا قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ عما هو له واحتجوا به على ما ليس له، وهذا تناقض بيِّن.

ثالثاً: إنّ «كلّ» وعمومها إنما هو بحسبه في كل موضع ترد فيه.

فقد قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[٢]، فهل نفس الله وذاته داخلة في عموم الأنفس الذائقة للموت؟!!

ولذا فإن معنى الآية: كل نفس تقبل الموت فإنها تموت، كما أن معنى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾: الله خالق كل شيء مخلوق، أما غير المخلوق فلا تتناوله كصفات الله وذاته وأسمائه.

وقال تعالى في ريح عاد: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾[٣] فهي لم تدمّر سوى أهلها فلم تدمر الجبال والمنازل والمساكن . وقال عن ملكة سبأ: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾[٤] مع أنها لم تؤت ملك سليمان فالمعنى: أوتيت من كل شيء يحتاجه الملوك في ملكهم.

---

(١) الصافات : ٩٦ .

(٢) آل عمران : ١٨٥ .

(٣) الأحقاف: ٢٥.

(٤) النمل : ٢٣.

* قالت الجهمية والمعتزلة في الشبهة الواهية الثانية:

قال الله:﴿ إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[١]، والمجعول مخلوق فيكون القرآن مخلوقاً.

فالجواب أن يقال:

١- لو كانت «جعل» في القرآن كلها بمعنى: خلق، لصار المعنى قبيحاً شرعاً وعقلاً فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَنِكُمْ ﴾[٢] فهل يقول عاقل فضلاً عن مسلم أن معنى الآية لا تخلقوا الله.

وقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَتِ سُبْحَنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾[٣]، فهل معناها: يخلقون لله البنات؟! وقال لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[٤].

وقال تعالى عن اليهود: ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾[٥]، فهل خلق اليهود التوراة ؟ وهذا ما لا تقوله المعتزلة.

٢- «جعل» في اللغة لها ثلاثة أحوال:

---

(١) الزخرف : ٢.

(٢) البقرة : ٢٢٤ .

(٣) النحل : ٥٧ .

(٤) الإسراء : ٣٩ .

(٥) الأنعام : ٩١ .

الأول:

أن تتعدى بنفسها إلى مفعول واحد ولم توصل بما بعدها، فتكون بمعنى خلق كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[3].

الثاني:

أن تتعدى بنفسها إلى مفعول واحد وتوصل بما بعدها فلا تكون بمعنى: خلق، كما في قوله تعالى:﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[4]، قوله:﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾[5].

قال الإمام أحمد رحمه الله: «فقد قال الله -تعالى-:﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ أفخلقهم؟»[6].

---

(١) الأنعام : ١.

(٢) النحل : ٧٢.

(٣) الأنبياء : ٣٠.

(٤) الفيل : ٥.

(٥) الأنعام : ١٠٠.

(٦) رواه صالح في «المحنة» (ص:٥٣)، وابن الجوزي في «المناقب» (ص:٤٣٤).

الثالث:

أن تتعدّى إلى مفعولين فلا يكون معناها: خلق أبداً ، إنما يكون معناها: صيّر ونحوها وذلك في قولـه تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ﴾[1]، فمعناها: صيرناه ونزلناه وبيّناه، وقولـه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ﴾[2]، وقولـه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾[3].

وقولـه: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾[4].

* **قالوا: القرآن محدث،** كما قال تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ ﴾[5] وقال: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝ ﴾[6].

فالجواب أن يقال:

إن معنى (المحدث): الجديد لا المخلوق لأن الحدوث: هو كون الشيء بعد أن لم يكن، فقد كان القرآن ينزل منجماً على حسب الوقائع على نبينا محمد ﷺ فكان جديداً على النّاس، فالقرآن محدث إليهم حين يأتيهم.

---

(١) الزخرف: ٣.

(٢) الإسراء: ٣٩.

(٣) الإسراء: ٢٩.

(٤) الأعراف: ١٤٢ .

(٥) الأنبياء : ٢.

(٦) الشعراء : ٥.

وقد قال النبي ﷺ :«إِنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ لِنَبِيِّهِ مَا شَاءَ، وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ لِنَبِيِّهِ: أَنْ لاَ تَكَلَّمُوا فِي الصَّلاَةِ»(١).

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلاّم رحمه الله :«(محدث) حدث عن النبي ﷺ وأصحابه لما علّم الله ما لم يكن يُعلم»(٢).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله :«(المحدث) في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزل جديداً؛ فإن الله كان يُنزل القرآن شيئاً بعد شيء، فالمنزَّل أولاً هو قديم بالنسبة إلى المنزَّل آخراً، وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب»(٣).

* **قالوا: عيسى كلمة الله** كما في قول الله:﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ ﴾(٤)، وعيسى مخلوق فتكون الكلمة مخلوقة.

والرد على هذه الشبهة من وجهين:

الأول:

ليس عيسى هو الكلمة بل الكلمة هي ﴿ كُن ﴾ كما قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٧ ، ٤٣٥، ٤٦٣)، وأبو داود (٩٢٤)، والنسائي(١٢٢١)، وابن حبان (٢٢٤٣)، وعلقه البخاري (١٣/٤٩٦)، وصححه شيخنا في «صحيح أبي داود» (٨٥٧).

(٢) «خلق أفعال العباد» (ص:٣٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥٢٢).

(٤) النساء : ١٧١.

يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾[(١)]، وقال: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[(٢)]، فكان عيسى بكلمة الله، وقوله﴿ كُن ﴾ فليس عيسى هو ﴿ كُن ﴾، ولكن بـ ﴿ كُن ﴾ كان .

قال الإمام الجليل قتادة بن دعامة السدوسـي رحمه الله:«قوله ﴿ كُن ﴾، فسماه الله ﷻ كلمته، لأنه كان عن كلمته كما يقال لما قدّر الله من شيء: هذا قدر الله وقضاؤه، يعني به: هذا عن قدر الله وقضائه حدث»[(٣)].

ويكثر في القرآن إطلاق الصفة على متعلّقها، فمن ذلك قوله سبحانه:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾[(٤)]، المراد بالرحمة هنا بالاتفاق: المطر وهو متعلق الرحمة.

ثانياً:

يلزم من هذا القول أن تكون كلمة الله حلت في مريم وتغذت بالدم، وأحاط بها الرحم!! وهذا قول أهل الحلول والاتحاد والنصارى.

٦- **الكُلاّبية**: قالوا: إن كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته ولا قدرته، لا يسمع على الحقيقة، وهو أربعة معانٍ في نفسه: أمر، ونهي، وخبر، واستخبار كلها أنواع لهذا المعنى النفسي.

---

(١) آل عمران : ٤٧.

(٢) آل عمران : ٥٩.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٦٩) بسند صحيح.

(٤) الأعراف : ٥٧.

وهذا الكلام إن عُبر عنه بالعبرانية صار التوراة، وإن عُبر عنه بالسريانية صار إنجيلاً وإن عُبر عنه بالعربية صار قرآناً.

أمّا القرآن فليس هو كلام الله بل هو حكاية عن كلام الله، وهذه الحكاية المتمثلة بحروف وأصوات مخلوقة لتدل على ذلك المعنى القائم بنفس الله، فالمعنى القائم بنفسه غير مخلوق أما الألفاظ المكونة من حروف وأصوات فهي مخلوقة.

٧- **الأشاعرة**: قالوا: إنَّ كلامه معنى واحد قائم بنفسه لازم لذاته في الأزل، ليس بحرف ولا صوت، ولا يتعلق بقدرته ولا مشيئته وهو معنى واحد في الأزل فالأمر والنهي والخبر والاستخبار كل واحد منها هو عين الآخر وليس أنواعاً للكلام.

أمّا القرآن فليس هو كلام الله بل هو عبارة عن كلام الله، فالأصوات والحروف المتلوة مخلوقة، وهي عبارة دالة على كلام الله غير المخلوق.

والفرق بين قول الأشاعرة والكلاّبية من وجهين:

١- إنه عند الأشاعرة عبارة وعند الكلابية حكاية.

٢- إنه عند الأشاعرة معنى واحد فقط، وعند الكلاّبية أربعة معان.

فالقولان إن لم يكونا متفقين فهما متقاربان، وهاتان الطائفتان -الأشاعرة والكلاّبية-، وإن أظهروا الرد على المعتزلة وعلى القول بخلق القرآن، فهم قائلون به لا محالة، إلا أنهم يريدون التلبيس والتدليس، فيظهرون الرد على المعتزلة ثم يفسرون كلامهم بقول المعتزلة.

قال الإمام موفق الدين ابن قدامة رحمه الله: «ومدار القوم -أي الأشاعرة- على القول بخلق القرآن، ووفاق المعتزلة، ولكن أحبوا أن لا يُعلم بهم، فارتكبوا مكابرة

العيان، وجحد الحقائق، ومخالفة الإجماع، ونبذ الكتاب والسنة وراء ظهورهم، والقول بشيء لم يقله قبلهم مسلم ولا كافر[١]، ومن العجب أنهم لا يتجاسرون على إظهار قولهم ولا التصريح به إلا في الخلوات ولو أنهم ولاة الأمر وأرباب الدولة.

وإذا حكيت عنهم مقالتهم التي يعتقدونها كرهوا ذلك وأنكروه، وكابروا عليه، ولا يتظاهرون إلاّ بتعظيم القرآن، وتبجيل المصاحف، والقيام لها عند رؤيتها، وفي الخلوات يقولون: ما فيها إلا الورق والمداد، وأي شيء فيها؟! وهذا فعل الزنادقة»[٢].

قال أبو أنس -عفا الله عنه-: بل قد صرح إبراهيم البيجوري الأشعري (ت:١٢٧٧هـ) شارح «جوهرة التوحيد» فقال:«يمتنع أن يقال: إن القرآن مخلوق، إلا في مقام التعليم»[٣].

فالأشعرية والكُلابية أبوا القول بما قاله المعتزلة من أن القرآن كله مخلوق، وقالوا بنصف قولهم عندما قالوا :إن الألفاظ مخلوقة أمّا المعاني المعبر عنها بتلك الألفاظ وهي الكلام النفسي: صفة قديمة قائمة بذات الله؛ فالكلام عندهم نوعان: كلام لفظي: وهو مخلوق وكلام نفسي: غير مخلوق.

ولهذا كان القرآن عند أهل السنة هو كلام الله : الحروف والمعاني لا الحروف

---

(١) قال شيخ الإسلام:«...ما قاله ابن كلاب في مسألة الكلام واتبعه عليه الأشعري، فإنه لم يسبق ابن كلاب إلى ذلك أحد، ولا وافقه عليه أحد من رؤوس الطوائف». «درء تعارض النقل والعقل» (٢/ ٩٩).

(٢) «المناظرة في القرآن الكريم ، وكلام الله القديم» (ص:٣٩-٤٠)، وانظر (ص:٥٧) منه.

(٣) «شرح جوهرة التوحيد» (ص:٦٤-٦٦).

دون المعاني كما قالت الجهمية والمعتزلة[١]، ولا المعاني دون الحروف كما قالت الأشعرية والكلاّبية.

قال الإمام أبو نصر السجزي (ت:٤٤٤) ﵀:«هذه مقالة تبين فضيحة قائلها من غير ردّ عليه، ومن علم منه خرق إجماع الكافة ومخالفة كل عقلي وسمعي قبله لم يناظر بل يجانب ويُقمع»[٢].

ولم تجد الأشاعرة والكلاّبية إلا بيت شعر محرفاً ينسب إلى الأخطل النصراني (ت:٩٠هـ) يحتجون به لصحة بدعتهم فاطّرحوا كلام الله ورسوله والسلف الصالح تصحيحاً لمعنى بيت شعره هذا، وحملوا أقوال الله ورسوله على المجاز صيانةً لبيته عن المجاز.

قال الإمام أبو المعالي أسعد بن المنجا (ت:٦٠٦هـ) ﵀ -شيخ الحنابلة-:«كنت يوماً عند الشيخ أبي البيان (ت:٥٥١هـ) -رحمه الله تعالى-، فجاءه ابن تميم الذي يدعى الشيخ الأمين، فقال له الشيخ بعد كلام جرى بينهما: ويحك، الحنابلة إذا قيل لهم: ما الدليل على أن القرآن حرف وصوت؟ قالوا: قال الله كذا، وقال رسوله كذا، وسرد الشيخ الآيات والأخبار، وأنتم إذا قيل لكم ما الدليل على أن القرآن معنى قائم في النفس؟ قلتم قال الأخطل: إن الكلام لفي الفؤاد...

إيش هذا الأخطل؟ نصراني خبيث، بنيتم مذهبكم على بيت من قوله، وتركتم الكتاب والسنة»[٣].

---

(١) فهم يثبتون أن يكون كلام الله حروفاً وأصواتاً، ولكنها عندهم مخلوقة.

(٢) نقله شيخ الإسلام في «درء تعارض النقل والعقل» (٢/ ٨٦).

(٣) «العلو للعلي العظيم» (ص:٢٨٤-٢٨٥- مختصره).

وبيت الشعر هو:

إن الكــــلام لفــــي الفـــؤاد وإنمـــا جعـــل اللســـان علـــى الفـــؤاد دلـــيلاً [(١)]

١- يحتاجون إلى إثبات هذا الشعر ببيان إسناده ونقل الثقات له، ولا نقنع بشهرته فقد يشتهر الفاسد.

قال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله :«وقد سمعت شيخنا أبا محمد بن الخشاب (ت:٥٦٧ هـ) -إمام أهل العربية في زمانه- يقول: قد فتشت دواوين الأخطل القديمة فلم أجد هذا البيت فيها»[(٢)].

٢- إن المتكلمين -ومنهم الأشاعرة والجهمية- لو استدل عليهم في باب العقيدة بدليل صحيح صريح في «الصحيحين» لردوه، لكونه خبر آحاد، لم يفد عندهم القطع، حتى وإن تلقته الأمة بالقبول علماً وعملاً، وهم في هذه المسألة عوّلوا على بيت شعر رجل نصراني مثلّث خبيث، لم تثبت نسبته إليه.

و قد أنشد فيهم المنشد:

قبحـــاً لمـــن نبـــذ القـــران وراءه فـــإذا اســـتدل يقـــول: قـــال الأخطـــل[(٣)]

قال شيخ الإسلام رحمه الله:«ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في «الصحيحين» عن النبي ﷺ لقالوا: هذا خبر واحد، ويكون مما اتفق العلماء على

---

(١) والبيت الذي قبله:

لا يعجبنك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلاً

(٢) «الصراط المستقيم» (ص:٤٢) وانظر «العلو» (ص:٢٨٥-مختصره).

(٣) نقله شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٢٩٧) وينسب إليه.

تصديقه وتلقيه بالقبول، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح، لا واحد ولا أكثر من واحد ولا تلقاه أهل العربية بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة؟! فضلا عن مسمّى الكلام...»[١].

٣- إن هذا البيت محرف وأصله:

إن البيـــان لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا   جعـــل اللســـان علـــى الفـــؤاد دلـــيلاً

فحرفوه وقالوا:

إن الكـــلام لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا   جعـــل اللســـان علـــى الكـــلام دلـــيلاً

وباللفظ الأول يستقيم المعنى لأن البيان والمعنى يكون في القلب ثم يدل عليه ويعبر عنه باللسان نطقاً وكلاماً.

قال الإمام أبو نصر السجزي (ت:٤٤٤ هـ):«وتعلّقوا بشبه منها: قول الأخطل: إن البيان لفي الفؤاد، فغيروه وقالوا :إن الكلام لفي الفؤاد....»[٢].

٤- بتقدير أن يكون هذا من شعره، فالحقائق العقلية أو مسمى لفظ الكلام الذي يتكلم به جميع بني آدم لا يرجع فيه إلى قول ألف شاعر فاضل، دع أن يكون شاعراً نصرانياً، والنصارى قد عرف أنهم جعلوا المسيح نفس كلمة الله أي جزء منه وهو ابنه.

٥ إن البيت السابق للبيت الذي احتجوا به وهو:

---

(١) «الإيمان» (ص:١٣٢).

(٢) «الرد على من أنكر الحرف والصوت» (ص:٨٢-٨٣).

لا يعجبنـــك مـــن خطيـــب خطبـــة حتـــى يكـــون علـــى الكـــلام أصـــيلاً

أو:

لا يعجبنـــك مـــن أثـــير خطبـــة حتـــى يكـــون علـــى الكـــلام أصـــيلاً

فيه ردّ على قولهم: بأن حقيقة الكلام هو المعنى في النفس فقط، فإن خطبة الخطيب أو الأثير إنما هي ألفاظ تحوي معاني؛ ليست معاني فقط، فالمسموع من الخطيب أو الأثير إنما هو اللفظ، ولهذا كان تمام معنى هذا البيت في البيت الذي احتجوا به فأصبح معناهما: أن الكلام المؤثر من الخطيب يؤثر فيما حواه من معنى في الفؤاد ويقع فيه موقعه.

ومن الوجوه التي أبطل فيها أهل السنة قول الأشاعرة والكلابية:

١- يلزم من قولهم أن يُسمّى الأخرس متكلّماً لقيام المعنى في نفسه ولكنه لا يستطيع التعبير عنه، فهو متكلّم وإن لم يسمع منه الكلام أو ينطق، وهذا ما لا يقوله عاقل.

قال الحافظ أبو نصر السجزي رحمه الله: «...ألجأهم الضيق مما دخل عليهم في مقالتهم إلى أن قالوا: الأخرس متكلّم، وكذلك الساكت والنّائم، ولهم في حال الخرس والسكوت والنوم كلام هم متكلّمون به، ثم أفصحوا بأن الخرس والسّكوت والآفات المانعة من النطق ليست بأضداد الكلام»[1].

٢- يلزم من قولهم إبطال التحدّي والتبليغ والإعجاز بالقرآن والله يقول:

---

(١) نقله شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٨٦).

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1].

فلو كان القرآن الذي لا يستطيعون الإتيان بمثله هو المعنى القائم بنفس الله! فكيف يقول الله إنهم لا يأتون بمثل ما في نفسه وهم لم يسمعوه ولا إمكان للوصول إليه والوقوف عليه؟! فإن قالوا: إن القرآن المشار إليه في الآية هو ما بلغه الرّسول ﷺ.

قلنا: إذاً قدر النبي ﷺ وهو من الإنس أن يأتي بمثل القرآن.

ثبت عن النبي ﷺ قوله: «**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ**»[2]، فكيف يفرق النبي ﷺ بين حديث النفس وحديث اللسان وكلاهما كلام؟! ويقول النبي ﷺ أيضاً: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»[3].

فالذي يبطل الصلاة هو نطق اللسان، أمّا حديث النفس والمعنى النفسي فلا يبطلها ما لم ينطق به باتفاق العقلاء فضلاً عن العلماء.

وغيرها من الوجوه...

وإنما أطلت في الردّ على (هؤلاء) خوفاً من اغترار الجهّال بهذه الضلالات من الأقوال، والله الهادي.

---

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٥٢٨)، ومسلم برقم (٢٠١) (١٢٧)، وأبو داود (٢٢٠٩)، والترمذي (١١٨٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٥٣٧)، وأبو داود (٩٣٠).

وأختم الرد على الأشاعرة ومن قال بقولهم بقصيدة للعلاّمة أبي الحسن علي بن أبي بكر الطرزي ﷺ يقول فيها:

دعوني من حديث بني اللُتَيَّا ... ومن قوم بضاعتهم كلام

تفاريق العصا من كلِّ أوبٍ ... إذا ذكروا وليس لهم إمام

كُسيرٌ أو عوير أو نعْير ... شعارهم السّفاهة والخصام

إذا سئلوا عن الجبّار مالوا ... إلى التعطيل وافتُضح اللئام

وإذا سئلوا عن القرآن قالوا : ... يقول بخلقه بشر كرام

كلام الله ليس له حروف ... ولا في قوله ألف ولام

كأن الله كلّمهم جهاراً ... وقال لهم: كلامي لا يُرام

إذا قبض النبي فكيف تبقى ... نبوته فديتك والسلام

فهذا دينهم فاعلم يقيناً ... وليس على مهجّنهم ملام

لهم زجل وتوحيد جديد ... أبى الإسلام ذلك والأنام

وزمزمة وهيمنة وطيش ... كأنهم دجاج أو حمام

وإزراءٌ بأهل الحق ظلماً ... وتلقيب وتشنيع مُدام

وقول الملحدين وإن تعاووا ... عواء الذئب ليس له نظام

فصبراً يا بني الأحرار صبراً ... فإن الظلم ليس له دوام

وإن الحق أبلج لا يضام   وقول الزور آخره غرام [1]



---

(١) «الرّد على من يقول:(الم) حرف» (٣٦) لابن مندة، و«المناظرة» لابن قدامة (ص:٧٢-٧٣).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإيمان بالقدر خيره وشره

([٣] وَالقَدرَ خَيرَهُ وَشَرَّهُ من الله ﷻ):

الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره من الله -عز وجل شأنه- أحد أركان الإيمان الستة التي لا يقوم إلا باجتماعها فمن أنكره فليس بمؤمن كما لو لم يؤمن بغيره من أركان الإيمان، والإيمان بالقدر من تمام الإيمان بتوحيد الربوبية، فمن آمن بأن الله ﷻ لا يشاركه أحد في نفع أو ضر أو خفض أو رفع أو منع أو إحياء أو إماتة أو تدبير إلى آخر معاني الربوبية؛ كان مؤمناً بالقدر، لأن قدر الله من أفعاله.

عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلاَ مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلاَ مُكَذِّبٌ بِالقَدَرِ**»(١).

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «القدر نظام التوحيد فمن وحد الله -تعالى- وآمن فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحد الله -تعالى- وكذب بالقدر فإن تكذيبه بالقدر نقض للتوحيد»(٢).

(والقَدَرَ): القدر في اللغة: التقدير، وهو بفتح الدال: مصدر قدرت الشيء أقدره وأقدُرُه، قَدراً وقُدراً، إذا أحطت بمقداره(٣).

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]، وقال:﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤١) وإسناده صحيح، انظر «الصحيحة» (٦٧٥).

(٢) أخرجه عبد الله (٩٢٨،٩٢٥)، والآجري (٤٩٦)، واللالكائي (١٢٢٤).

(٣) انظر «المفهم» للقرطبي (١/ ١٣٢).

ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات:٢٣].

وفي الشرع: القدر: تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته، فهو علم الله مقادير الأشياء وعلم أحوالها وأزمانها قبل إيجادها.

☑ **والفرق بين القضاء والقدر أن:**

القدر: تقدير الأمور قبل وقوعها.

والقضاء: إنفاذ ذلك التقدير وخروجه من العدم إلى حد الفعل[1].

وهاتان الكلمتان: القضاء والقدر: إن اجتمعتا ذكراً افترقتا معنى وإن افترقتا ذكراً اجتمعتا معنى فإذا أطلق القدر شمل القضاء أيضاً وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر.

وقد يأتي التقدير بمعنى التسوية كما في قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان :٢].

فهنا وإن قدم القضاء على التقدير فالمعنى هو التسوية كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [الأعلى:٢].

☑ **والتقدير على أربعة أقسام:**

١- **التقدير العام:** وهو التقدير قبل خلق السموات والأرض عندما خلق الله العلم بعلم جميع الأشياء وكتابتها ومشيئتها وخلقها وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ

---

(١) انظر «روح المعاني» للألوسي (١/ ٣٦٨)، و«الدرر السنية» (١/ ٥١٢).

ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ﴾ [الحج:٧٠]، وقوله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾[الحديد:٢٢-٢٣]، وقوله: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾[الطلاق:١٢]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج:١٨]، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الزمر:٦٢].

وقول النبي ﷺ:«كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[١]، وقوله ﷺ:«أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ! قَالَ رَبِّ؛ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[٢].

٢- التقدير العمري: وهو الذي عند تخليق النطفة في رحم الأم بتقدير كل ما يجري للإنسان في حياته وذكوريته وأنوثته وأجله وعمله وكتابة شقاوته أو سعادته ورزقه؛ فلا يزاد في ذلك ولا ينقص منه.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [فاطر:١١]، وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ ﴾ [النجم:٣٢].

وقول النبي ﷺ:«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَكُونُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣١٧)، وأبوداود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، وغيرهم، بإسناد حسن.

فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»[(١)].

٣- **التقدير الحولي (السنوي)**: وهو التقدير الذي يكون في ليلة القدر، فيقدر فيها كل ما يكون في السنة من وقائع.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ ﴾ [الدخان:٤-٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت، وحياة، ورزق، ومطر، حتى الحجاج يقال: يحجُّ فلان ويحج فلان»[(٢)].

٤- **التقدير اليومي**: وهو سوق المقادير من حياة وموت وعز وذل ونحوها إلى مواقيتها التي قدرت فيها من اليوم فيما سبق؛ فهو تحقيق للمقدر على العبد في يومه.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرحمن:٢٩]، وفيه آثار عن السلف كثيرة تراها في مظانها.

(خَيرُهُ وَشَرُّهُ من الله ﷻ): هنا وإن نسب الشر في القدر إلى الله إلا أن القدر إنما هو شر باعتبار المقدور له وهو المخلوق حَسْبُ، أما باعتباره تقديراً من الله فهو خير لاشتماله على الحكمة البالغة ومثال ذلك المعاصي؛ فجميع ما يحدثه الله ﷻ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/١٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٤٤٩)، وغيرهما.

في الوجود من الضرر فليس هو شر بإطلاق وإن كان شراً بالنسبة إلى من تضرر به مع اشتماله للحكمة.

قال تعالى: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل:٨٨]، وقال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة:٧].

ولهذا لا يذكر الشر إلا على أحد ثلاثة وجوه(١):

الأول: أن يدخل الشر في عموم المخلوقات، فيفيد عموم القدرة والمشيئة والخلق وتضمن حكمة تتعلق بالعموم، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ وأسماء الله المقترنة كالمعطي المانع الضار النافع المعز المذل الخافض الرافع فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه، ولا الضار عن قرينه، لأن اقترانهما يدل على العموم.

الثاني: أن يضاف الشر إلى السبب الفاعل: كقوله: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق:٢]، وقوله: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء:٧٩]، وقوله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ [الأعراف :٢٣].

الثالث: أن يحذف فاعل الشر: مثل قول الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن:١٠]، ومنه قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فحذف فاعل الغضب وأضاف الضلال إلى المخلوق.

وقد دل على إثبات هذا الأصل الأصيل والركن السادس من أركان الإيمان: الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٨/ ٩٤-٩٦، ٥١١-٥١٢).

أما الكتاب: قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]، وقال: ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر:١٢]، وقال:﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب:٣٨]، وقال: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة:٥١]، وقال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن:١١]، وقال: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١٦٦]، وقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل:٥-١٠].

فالله قدر قدراً وهدى الخلائق إليه وكل شيء خلقه فقد خلقه بقدر وقدره وقضاه لا يتعداه ولا يقصر دونه.

وأما السنة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:«**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ**»[1]، فالعاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ؛ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[3].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**لاَ تَسْأَلْ الْمَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

(٢) انظر «شرح النووي» (١٦/ ٢٠٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤)، وأحمد (٣٦٦، ٣٧٠).

وَلْتَنْكِحْ، فَإِنَّ لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»[(١)].

وعنه قال: قال النبي ﷺ:«لاَ يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى الْقَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ فَيَسْتَخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ، فَيُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ»[(٢)].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : قول النبي ﷺ له:«وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»[(٣)].

وعن عبد الله بن محيريز الجمحي أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه أخبره أنه بينما هو جالس عند النبي ﷺ جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله؛ إنا نصيب سبياً ونحب المال، كيف ترى في العزل؟ فقال رسول ﷺ:«أَوَ إِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَفْعَلُوا، فَإِنَّهُ لَيْسَتْ نَسَمَةٌ كَتَبَ اللَّهُ أَنْ تَخْرُجَ إِلاَّ هِيَ كَائِنَةٌ»[(٤)].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ ببقيع الغرقد في جنازة فقال:«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ»، قالُوا: يا رسول الله ؛ أفلا نتَّكِلُ على كتابنا وندعُ العمل؟ قال:«اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثمَّ قرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٩).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٢، ١٨٩)، وأبوداود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وصححه شيخنا الألباني في «ظلال الجنة» (١٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٠٣).

لِلْيُسْرَىٰ ﴾»[١].

◘ **أما أقوال السلف** فهي كثيرة وكثيرة جداً، ومنها:

قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طعن:«وكان أمر الله قدراً مقدوراً»[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما :«العجز والكيس من القدر»[٣].

وقال:«إن الرجل ليمشي في السوق، وإن اسمه لفي الموتى»[٤].

قال الحسين بن علي رضي الله عنهما :«رفع الكتاب وجفت الأقلام، وأمور تقضي في كتاب قد خلا»[٥].

وقال طاوس رحمه الله (ت: ١٠٦):«أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر»[٦].

قال التابعي الجليل سعيد بن المسيب رحمه الله (ت: ٩٠هـ) لما سئل عن القدر:«ما قدَّر الله فهو قدر»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٢، ٦٦٠٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» برقم (٨٩٢).

(٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص : ٤٠).

(٤) أخرجه عبد الله (٨٨٧).

(٥) أخرجه عبد الله (٨٧٥، ٨٨١).

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٥٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٩٦)، واللالكائي (١٢٣٤)، وغيرهم.

(٧) أورده معمر بن راشد في «الجامع» (١١/ ١٢٦- «مصنف عبد الرزاق»)، وأخرجه عبد الله (٨٨٣)، وابن بطة في «الإبانة» (١٧٩٩).

وقال التابعي الشهيد -بإذن الله- سعيد بن جبير رحمه الله: ﴿ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ [الأنفال:٢٤]، قال:«يحول بين المؤمن والكافر، وبين الكفر والإيمان»[(١)].

وقال الإمام الشافعي:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكنْ

خلقت العباد على ما علمت ... ففي العلم يجري الفتى والمسنْ

على ذا مننتَ وهذا خذلت ... وهذا أعنت وذا لم تُعنْ

فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حَسَنْ[(٢)]

وقال:«.. وإن القدر خيره وشره من الله -تعالى-»[(٣)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله:«ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ولم يؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها إلا يقال:«لم» ولا «كيف» إنما هو التصديق والإيمان بها»[(٤)].

وإن أقوال أئمة السلف المتكاثرة المتضافرة في الرد على المنكرين للقدر

---

(١) أخرجه عبد الله (٨٨٠)، والطبري (٦/ ٢١٥)، والحاكم (٢/ ٣٢٨)، وغيرهم.

(٢) الأبيات في «مناقب الشافعي» (١/ ٤١٢-٤١٣) للبيهقي، و«الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص٨٠) لابن عبد البر، و«شرح أصول الاعتقاد» (برقم١٣٠٤)، و«البداية والنهاية» (٩/ ٢٥٤) لابن كثير، وغيرها.

(٣) «مناقب الشافعي» (١/ ٤١٥).

(٤) أخرجه اللالكائي(٣١٧).

وحكمهم لهي دالة على إثبات القدر، وسنورد بعضها في موضعها -إن شاء الله تعالى-.

☑ ومن الإيمان بالقدر الإيمان بمراتبه، وهي أربع مراتب:

١- **العلم**: وهي الإيمان بعلم الله الأزلي المحيط بكل ما هو كائن وكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات؛ فالله يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم جميع أحوال خلقه من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال قبل أن يخلقهم ومن منهم من أهل الجنة ومن من أهل النار.

وقد دل على هذه المرتبة: قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٨٢]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء:٣٢]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ [الحشر:٢٢]، وقوله: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر:٧٠]، وقوله: ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق:١٢]، وقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت:١٠]، وقوله: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤].

وقول النبي ﷺ: لما سئل عن أولاد المشركين:«**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[١]، وقوله:«**مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلاَّ وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**»[٢].

٢- **الكتابة**: وهي الإيمان بأن الله قد كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق قبل أن يخلقهم مما سبق به علمه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٤،٦٥٦٧)، ومسلم (٢٦٥٦،٢٦٦٠)، وأبوداود (٤٧١١)، والنسائي (١٩٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (٧) (٢٦٤٧).

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج:٧٠]، وقوله: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:٣٨]، وقوله: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر:٥٢-٥٣]، وقوله على لسان موسى: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝ ﴾ [طه:٥٢]، وقوله: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر:١١].

وقول النبي ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ**»[١]، وقوله: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلاَمُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ**»[٢].

وهاتان المرتبتان أنكرهما غلاة القدرية ومتقدموهم: سيسويه المجوسي وسوسن النصراني وتلميذهما معبد بن عبد الله الجهني البصري المقتول سنة (٨٠هـ) مصلوباً في عهد عبد الملك بن مروان.

٣- **المشيئة**: وهي الإيمان بأن كل ما هو واقع تشمله إرادة الله ومشيئته النافذة، فلا يحصل شيء مطلقاً إلا وقد أراده الله وشاءه، فما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس، وأنه لا يكون في ملكه ما لا يريد، وإن أفعال العباد والطاعات والمعاصي

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٧).

واقعة بتلك المشيئة العامة التي لا يخرج عنها كائن سواء كان مما يحبه الله ويرضاه أو لا.

وبهذا كانت إرادة الله على نوعين(١):

- **إرادة قدرية كونية خلقية =المشيئة:** وهي الإرادة المتعلقة بالحوادث الكونية التي قدرها الله وقضاها مما يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر وأهل الجنة وأهل النار وأولياء الله وأعداؤه، وأصل الطاعة الذين يحبهم ويحبونه ويصلي عليهم هو وملائكته، وأهل معصيته الذين يبغضهم ويمقتهم ويلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فكل الأشياء مخلوقة مدبرة بمشيئته، مقهورة بحكمته.

وهذا النوع مرادف للمشيئة مقترن بالحكمة، وهي الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج:١٦]، وقوله: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾ [الكهف:٨٢]، وقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]، وقوله: ﴿ **وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا** ﴾ [المائدة:٤١]،وقوله: ﴿ **قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا** ﴾ [الفتح:١١]، وقوله على لسان نوح: ﴿ **وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [هود:٣٤]، وقولـه: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴾ [الحج:١٦].

وقول النبي ﷺ:«**مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(٢)، وقوله:«**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَاباً، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ**»(٣)، وقوله:«**إِذَا**

---

(١) انظر «مجموع الفتاوي» (٨/ ٥٨-٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٠٨)، ومسلم (٢٨٧٩).

أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]، وقوله:«إِنَّ اللَّهَ ﷻ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا، حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ»[2].

- إرادة دينية أمرية شرعية مستلزمة للمحبة: وهي الإرادة المتعلقة بالأمور الدينية التي يحبها الله -تعالى- ويرضاها ويثيب أصحابها، ويدخلهم الجنة، وينصرهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويقربها من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين وهذه الإرادة في مثل قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة:٦]، وقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء:٢٦- ٢٨].

وهذه الإرادة مرادفة للمحبة، ولا يستلزم وقوع المراد إلا أن تتعلق بها الإرادة الكونية، وبهذا كانت الإردتان الكونية والشرعية من حيث اجتماعهما وافتراقهما على أربع حالات[3]:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وانظر «الصحيحة» (١٢٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٨٨).

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٨٨-١٨٩).

أ- **ما تعلقت به الإردتان:** وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فإنه أراده شرعاً وكوناً: أراده شرعاً فأمر به وأحبه ورضيه، وأراده كوناً فوقع ولولا ذلك لما كان، وذلك كإرادة إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ب- **ما تعلقت به الإرادة الشرعية فقط:** وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار، فتلك إرادة شرع ودين وهو يحبها ويرضاها سواء وقعت أم لم تقع، وذلك كإرادة إيمان أبي طالب.

جـ- **ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط:** وهو ما قدره الله وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات والمعاصي، فإنه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها إذ هو ﴿ **لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ** ﴾[الأعراف:٢٨]، ﴿ **وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** ﴾[الزمر:٧]، ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴾[البقرة:٢٠٥]، فهذه الأمور لولا مشيئته لها وقدرته وخلقه لها لما كانت ولما وجدت، وذلك كإرادة كفر أبي جهل وأبي لهب.

د- **ما لم تتعلق به الإرادة الكونية ولا الشرعية:** فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي، وذلك كإرادة كفر المؤمن.

وقد دل على مرتبة المشيئة: قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [التكوير:٢٩]، وقوله: ﴿ **كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** ﴾ [آل عمران:٤٠]، وقوله: ﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤]، وقوله ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا** ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقوله: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾ [هود:١١٨]، وقوله: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [يس:٨٢].

أما الأشياء التي لم توجد فالسبب في عدم وجودها: عدم مشيئة الله -تعالى-

لإيجادها لا أنه عجز عنها ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر:٤٤].

٤- **الخلق:** وهي الإيمان بأن الله -تبارك وتعالى- خالق كل شيء ذواتها وصفاتها وحركاتها، لا خالق لها سواه ولا رب غيره، ويدخل فيها خلق الله لأفعال العباد.

وقد دل على هذه المرتبة: قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر:٦٢]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦]، وقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢]، وقوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢]، وقوله: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر:٣]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر:٢٤].

وقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ**»(١).

وهاتان المرتبتان: المشيئة والخلق ينكرهما عامة القدرية ومتأخروهم الذين سماهم النبي ﷺ: «**مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ**»(٢).

ومراتب القدر الأربعة مجموعة في قول بعض أهل العلم شعراً:

علمٌ كتابةُ مولانا مشيئتُه ... وخلقُه وهو إيجادٌ وتكوينُ

---

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٣٩، ١١٧)، والحاكم (١/ ٣١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٥٧، ٣٥٨)، وغيرهم.

(٢) رواه أبوداود (٤٦٩١)، والطبراني في «الأوسط» (٢٤٩٤، ٢٥٦٧)، وقد حسنه شيخنا المحدث الألباني، انظر «ظلال الجنة» (٣٢٨ ، ٣٢٩)، وهو في «صحيح الجامع» (٤٣١٨).

☑ وقد خالف أهل السنة والجماعة في باب القدر طوائف:

١- **القدرية المجوسية:** وهم الذين أنكروا القدر وأقروا بالشرع، وهم الذين شابهوا المجوس وانقسموا إلى طائفتين:

الأولى- غلاة: وهم المتقدمون: الذين أنكروا مرتبتي العلم والكتابة، القائلين: أن الله لا يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها كسيسويه ومعبد الجهني وهؤلاء كفار.

الثانية- مقتصدون: وهم المتأخرون الذين أنكروا مرتبتي الخلق والمشيئة لأفعال العباد، وهم المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة المتأخرين.

ووجه كونهم مجوساً: أنهم شابهوا المجوس القائلين بأن للحوادث خالقين: خالقاً للخير وهو النور، وخالقاً للشر وهو الظلمة، فقالت القدرية: إن الحوادث نوعان: حوادث من فعل الله هي فعله، وحوادث من فعل العبد ليس لله فيها خلق، فهم جعلوا العبد فاعلاً غير الله لما اعتقدوه شراً فأثبتوا خالقاً مع الله؛ وهو العبد الذي يخلق فعل نفسه، بل لعلهم أشر من المجوس، لأن المجوس أثبتوا خالقين فقط، أما هؤلاء فجعلوا خالقين كثيرين مع الله.

٢- **القدرية المشركية = الجبرية:** وهم الذين أثبتوا القدر وغلوا في إثباته حتى سلبوا العبد قدرته ومشيئته واختياره، وقالوا بأنه مجبور على أفعاله كحركة الأشجار والمرتعش، فأفعاله الاختيارية والاضطرارية من نمط واحد، وهؤلاء كفار بل قد يحتجون على معاصيهم بالقدر فيجعلون إثبات القدر موجباً لسقوط الأمر والنهي والوعد والوعيد، فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى، من جنس المشركين القائلين: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:١٤٨]، فلا فرق بين الكافر والمؤمن والبر والفاجر.

وهو قول الجهمية ومن وافقهم من الصوفية، وهؤلاء الجبرية المشركون، أشر من القدرية المجوس، فإن المجوس يقرون بالجزية باتفاق المسلمين، وقد ذهب بعض العلماء إلى حل نسائهم وطعامهم، أما المشركون فاتفقت الأمة على تحريم نكاح نسائهم وطعامهم، ومذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه وغيرهما أنهم لا يقرون بالجزية؛ فمن أثبت القدر واحتج به على إبطال الأمر والنهي شر ممن أثبت الأمر والنهي ولم يثبت القدر[1].

٣- القدرية الإبليسية: هم الذين أقروا بالقدر وأثبتوا الأمر والنهي، ولكنهم جعلوا هذا تناقضاً من الله، فطعنوا في حكمته وعدله، كما قال إمامهم إبليس: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف:١٦].

ومن أقوالهم: قول أبي العلاء المعري مخاطباً ربه:

أنهيتَ عن قتل النفوس تعمداً وبعثتَ أنت لقبضها ملكين

وزعمتَ أن لها معاداً ثانياً ما كان أغناها عن الحالين

ومن أقوالهم: قول الماجنين المعاصرين: كيف يخلق الله الجمال ثم يُحَرِّم النَّظَرَ إليه، وقولهم:

خلقت الجمال وقلت اتقوا فكيف نراه ولا نعشق

٤- مذهب شر أتباع الشيطان: الذين يحتجون بالقدر لأنفسهم ولا يرونه حجة لغيرهم يستندون إليه في الذنوب والمعائب ولا يطمئنون إليه في المصائب، فهم إن فعلوا الطاعة أضافوها ونسبوها إلى أنفسهم؛ فهم في الطاعة مجوس قدريون، وإن فعلوا المعصية احتجوا بالقدر؛ فهم في المعصية مشركون جبريون، وإذا ظُلموا

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٨/ ٩٩-١٠٠).

انتقموا، وإذا ظَلَموا عذروا أنفسهم، وليس هذا مذهباً لطائفة معروفة ولكنه حال عامة المحلولين عن الأمر والنهي[١].

ومن أصول أهل السنة والجماعة في باب القضاء والقدر:

١- كل نعمة من الله فضل، وكل نقمة منه عدل.

٢- كل طاعة يفعلها العبد فهي توفيق من الله له، وكل معصية يفعلها العبد فهي خذلان من الله له وإيكاله لنفسه.

٣- للعبد المؤمن في المقدور حالان:

أ - قبله: بالاستعانة بالله والتوكل عليه، ودعائه.

ب- بعده: بحمد الله في الطاعة، والصبر والرضى في المصيبة، والاستغفار في الذنب، والاستغفار من النقص في الطاعة.

وله في المأمور حالان:

١- **قبله:** بالعزم على الامتثال والاستعانة بالله على ذلك، والصبر على الإخلاص فيها.

٢- **بعده:** بالاستغفار من التقصير، وشكر الله على ما أنعم به من الخير، والصبر على كتمانها وعدم إفشائها طلباً للرياء والسمعة، وعن اتباعها بما يبطلها كالمن والأذى.

٤- العباد مختارون غير مجبورين على أفعالهم، وأعمالهم خيرها وشرها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم التي خلقها الله لهم، وخالق السبب التام خالق للمسبب، فالله

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٤٦).

يخلق الاختيار في المختار والرضا في الراضي، والمحبة في المحب.

أما الكذب والظلم ونحوه والقبائح فلا يتصف بها إلا من كانت فعلاً له، وهو العبد فهي تقوم به أما من كانت مخلوقة له فلا يتصف بها لأنه لا يوصف بشيء من مخلوقاته بل صفاته قائمة بذاته، أما هذه فقد جعلها صفة لغيره قائمة به.

٥- أفعال العباد مخلوقة لله باتفاق سلف الأمة، وقد قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[الصافات:٩٦]، أي: والله خلقكم وعملكم، والله هو خالق القدرة ومودع العزيمة في العبد، وخالق السبب التام خالق للمسبب كما مر.

سئل الإمام مالك عن القدرية: من هم؟ فقال:«الذين يقولون: إن الله لم يخلق المعاصي»[١]، وقال الإمام أحمد:«أفاعيل العباد مخلوقة، وأفاعيل العباد مقضية بقضاء وقدر»[٢].

قال الإمام يحيى بن سعيد القطان رحمه الله (ت: ١٩٨):«ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة»[٣].

قال ابن القيم:

أوَ ليس قد قام الدليل بأن أفـ ـعال العباد خليقة الرحمن

من ألف وجه أو قريب الألف يحـ ـصيها الذي يُعنى بهذا الشان

(١) ذكره القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٢/٤٨)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢/٤٦١) تحت رقم (١٣٠١).

(٢) أخرجه الخلال في «السنة» (برقم٩٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٩٧)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ١١٥) بإسناد صحيح.

أما ثمرات الإيمان بالقدر وفوائده فهي كثيرة، ومنها:

☑ أنه يوجب للعبد سكون القلب وطمأنينة وزوال القلق والضجر ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[الحديد:٢١-٢٢].

☑ به استكمال أركان الإيمان التي لا بد من اجتماعها.

☑ به تمام الإيمان بربوبية الله الذي هو أحد أقسام التوحيد.

☑ يوجب الصبر والتسليم والاحتساب.

☑ يوجب القناعة بما أتاه الله وعدم التكالب على الدنيا.

☑ يوجب شكر الله على وافر النعم، وشكر الله على دفعه للمكروهات والنقم.

☑ به يعرف العبد قدر نفسه، فلا يفخر ويعجب بنفسه بل يتواضع لعلمه بأن الله هو المعطي المانع ﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ ﴾[آل عمران:٢٦].

☑ يوجب إضافة النعم إلى مسديها.

☑ يوجب التوكل واليقين والاعتماد على الله، وتفويض الأمر إليه، والاستسلام لقدره كما في قوله تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[التوبة:٥١]، مع القيام بالأسباب الصحيحة النافعة.

☑ به تعرف حكمة الله البالغة وقدرته الشاملة ورحمته لعباده وعدله التام.

☑ نيل الأجر والثواب لامتثال الأمر بالإيمان بالقدر.

☑ يوجب الكرم والإنفاق في سبيل الله بلا خوف من الفقر والفاقة.



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الخلفاء الراشدون المهديون والمفاضلة بينهم

📖 ([٤] وخيرَ هذه الأُمَّةِ بعد نبيِّها: أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ثُمَّ عُثْمانُ بنُ عفانَ ثُمَّ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهم، وهُمْ الخُلفاءُ الرَّاشدُونَ المَهدِيونَ):

إن الله -تبارك وتعالى- اصطفى محمداً ﷺ من خيرة خلقه، واصطفى له أصحاباً من خيرة الأصحاب، بل هم خير أصحاب لخير نبي، صاحبوه في المنشط والمكره، والعسر واليسر، شاهدوا الوحي والتنزيل، وشهدوا معه الوقائع، واكتحلت أعينهم برؤية وجهه ﷺ، أثنى عليهم ربهم من فوق عرشه في نصوص كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ.. ﴾ [الفتح:٢٩]، وقوله: ﴿.. أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة:٥٤]، ولذلك نالوا الولاية من الله -تعالى-.

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:٩-١٠].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم

غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء..»(١).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله (ت: ٧٧٤):«وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء»(٢).

وقولـه تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد:١٠].

وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:١٨].

وقولـه: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠].

قال شيخ الإسلام رحمه الله :«فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه، فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح، فإنه يذكر في معرض الثناء عليه والمدح له، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك»(٣).

وفيهم أنزل الله خاصة، وفي أمة محمد عامة: قولـه تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

(١) «منهاج السنة» (٢/ ١٨).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٢٠٥).

(٣) «الصارم المسلول» (ص: ٥٧٣).

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمران:١١٠]، وكذلك قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

وقد وعدهم الله ﷻ أن يبيض وجوههم ولا يلحقهم خزي يوم القيامة، لصحبتهم لنبيهم ﷺ قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ ﴾ [التحريم:٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :«وفي الجملة كل ما في القرآن من خطاب المؤمنين والمتقين والمحسنين ومدحهم والثناء عليهم، فهم -أي الصحابة- أول من دخل في ذلك من هذه الأمة، وأفضل من دخل في ذلك من هذه الأمة»[١].

وهم خير الناس؛ لأنهم خير الأصحاب لخير نبي، وقرنهم خير القرون، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ إذ قال:«**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[٢] وهذا حديث متواتر.

ومن الأحاديث الصحيحة في شأن الصحابة رضي الله عنهم والتي تدل على أن أولى الفهوم بالاعتماد لنصوص الكتاب والسنة هو فهمهم، وأحرى السبل بالصواب سبيلهم قوله ﷺ:«**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»[٣].

وبهذا توعد الله -تبارك وتعالى وعز وجل- من يتنكب سبيل الصحابة، فقال:

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٤٩-٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٩)، ومسلم (٢٥٣١).

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾، هذا في الدنيا، وفي الآخرة: ﴿ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

ولهذا يجب اتباع منهج السلف الصالح في التلقي، وفي الفهم، وفي الاستنباط والاستدلال.

ثم إن إجماعهم حجة، فمن أثنوا عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنوا عليه شراً وجبت له النار، كما ثبت عن النبي ﷺ حينما مرت جنازة والصحابة مع نبيهم فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ:«وَجَبَتْ.. وَجَبَتْ.. وَجَبَتْ»، ثم مرت جنازة، فأثنوا عليها شراً فقال النبي ﷺ:«وَجَبَتْ.. وَجَبَتْ.. وَجَبَتْ»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ فقال:«**مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرّاً وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ؛ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ؛ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ**»[1].

وقال رسول الله ﷺ:«**لاَ تَسُبُّوا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»[2]، والمد: ربع الصاع النبوي، ونصيفه أي: نصفه.

ويقول ﷺ :«**يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ** -أي الدين- **مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ : يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، وغيرهما.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ١/ ١٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ٥٩)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٢٩)، والآجري في «الشريعة» (١،٢)، =

وقد جعل ﷺ عبادة أصحابه معياراً لصحة العبادة لمّا ذكر الخوارج فقال: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلاَ صَلاَتُكُمْ إِلَى صَلاَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلاَ صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لاَ تُجَاوِزُ صَلاَتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ»[(١)]، ويقول ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا»[(٢)].

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لا تسبّوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم أربعين سنة»[(٣)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون -أي الصحابة- حسناً فهو عند الله حسن وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء»[(٤)]، وقال: «من كان متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا

= وغيرهم، وهو حديث حسن لغيره.

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٦)، وغيره.

(٢) أخرجه الطبراني (١٠/ ١٩٨)، وغيره، وصححه شيخنا لشواهده، انظر «الصحيحة» (٣٤).

(٣) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٥٧-٥٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٠٦)، وحسنه شيخنا رحمه الله.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩)، والحاكم (٣/ ٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢، ٨٥٨٣، ٨٥٩٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٥)، وصححه العلامة أحمد شاكر، وحسنه شيخنا المحدث الألباني ـ رحم الله الجميع ـ.

أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله -تعالى- لصحبة محمد ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»(١).

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله :«خصلتان من كانتا فيه نجا: الصدق وحب أصحاب النبي ﷺ»(٢).

والصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام سواء طالت مجالسته له أو قصرت أو روى عنه أو لم يرو أو غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو بلا مجالسة، ومثله من لم يره لكونه أعمى.

ويخرج منه من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك من دون لقاء بعد الإسلام، ويخرج منه من لقيه مؤمناً ثم ارتد ومات على الردة -والعياذ بالله- كعبد الله بن جحش وربيعة بن أمية الجمحي وابن خطل.

أما من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ثم أسلم فمات على الإسلام، فهو صحابي سواء لقي النبي ﷺ بعد إسلامه للمرةِ الثانية كعبد الله بن سعد بن أبي السرح أو لم يره كقرة بن هبيرة العامري والأشعث بن قيس الكلبي(٣).

(وخَيرَ هذه الأُمَّةِ بعد نَبِيِّهَا: أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ...):

(الأُمَّةِ): أي: أمة الإسلام -الأمة المرحومة-، وكلمة «الأمة» تأتي على أحد أربعة معان:

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٨١٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤).

(٢) «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٦١٦).

(٣) انظر مقدمة «الإصابة في تمييز الصحابة» للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله .

الأول: الملة والعقيدة والدين، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الأنبياء:٩٢] ، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾[الزخرف:٢٢].

الثاني: الناس المجتمعون على شيء يؤم بعضهم بعضاً فيه كما في قوله:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمران:١١٠].

الثالث: الإمام المقتدى به في الخير، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا.. ﴾ [النحل:١٢٠].

الرابع: الحين كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[يوسف:٤٥]، وقوله:﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾[هود:٨].

(أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ): هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيّم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي، يلتقي مع رسول الله ﷺ في مرة بن كعب.

أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وخليفته في أمته، وخير الأمة بعده، وصاحبه في الهجرة، ونائبه في الصلاة والحج، أمير المؤمنين، أسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة: عثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وهؤلاء الخمسة مع أبي بكر وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة هم الثمانية من الذكور السابقون إلى الإسلام، من مناقبه: إسلام والديه وجميع أولاده، استمرت خلافته سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال، من ١٣ ربيع الأول سنة ١١ للهجرة إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣.

توفي يوم الاثنين في جمادى الآخرة لثلاث ليال بقين من سنة ١٣ للهجرة

المحمدية عن ٦٣ سنة بعد مرض خمسة عشر يوماً، وصلى عليه خليفته الفاروق عمر بن الخطاب، ودفن مع رسول الله ﷺ.

وهو أفضل الصحابة وخيرهم بإجماع السلف وأهل السنة، ومن فضله: ما قاله عز شأنه: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة:٤٠]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٣].

وقد ورد في فضله أحاديث كثيرة منها:

قوله ﷺ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»[١].

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت، قال: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ؛ أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَاباً، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ**»[٣]، وعن عبد الله بن زمعة قال: لما استعز برسول الله ﷺ، وأنا عنده في نفر من المسلمين دعاه بلال إلى الصلاة فقال: «**مُرُوا مَنْ يُصَلِّي لِلنَّاسِ**»، فخرج عبد الله بن زمعة، فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائباً، فقلت: يا عمر قم فصل بالناس، فتقدم فكبر، فلما سمع رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٢، ٦٧٩)، ومسلم (٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٨٧).

صوته وكان عمر رضي الله عنه رجلاً مجهراً قال: **«فَأَيْنَ أَبو بَكْرٍ؟ يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ، يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ»**، فبعث إلى أبي بكر رضي الله عنه، فجاء بعد أن صلّى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس[١].

ومما يدل على سعة علمه وفقهه: قول أبي سعيد الخدري: خطب رسول الله ﷺ وقال: **«إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْداً بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ»**، فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: **«يَا أَبَا بَكْرٍ؛ لا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ إِلاَّ بَابُ أَبِي بَكْرٍ»**[٢].

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: **«مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟»**[٣].

قال ابن القيم رحمه الله:

ويقـــول في مـــرض الوفـــاة يـــؤمكم عـــني أبـــو بكـــر بـــلا روغـــان؟
ويظـــل يمنـــع مـــن إمـــام غـــيره حتـــى يـــرى في صـــورة مـــيلان
ويقـــول لـــو كنـــت الخليـــل لواحـــد في النـــاس كـــان هـــو الخليـــل الـــداني
لكنـــه الأخ والرفيـــق وصـــاحبي ولـــه علينـــا منـــة الإحســـان

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦١)، وابن أبي عاصم (١١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

ويقـــول للصـــديق يـــوم الغـــار لا تحـــزن فـــنحن ثلاثـــة لا اثنـــان

الله ثالثنـــا وتلـــك فضـــيلة ماحازهـــا إلا فتـــى عثمـــان

وأبو بكر ﷺ هو الأحق بخلافة رسول الله ﷺ لفضله وسابقته في الإسلام، وتقديم النبي ﷺ له على جميع الصحابة، مع إجماع الصحابة على ذلك ومبايعته، ولا يجمعهم الله على ضلالة، ولمواقفه العظيمة التي منها: شهود المشاهد كلها، وهجرته مع النبي ﷺ، وثباته يوم أحد ويوم حنين؛ وقد فر الناس، وحراسته للنبي ﷺ يوم بدر وهو في العريش، فمن قدم غيره عليه من صحابة رسول الله ﷺ في الخلافة والفضل فهو ضال زائغ.

وقد نصَّ رسول الله ﷺ على خلافته نصاً يَقْرب من اليقين، وخصه بأمور تشير إلى أنه الخليفة بعده.

(ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب): هو الفاروق أبو حفص ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، يلتقي مع رسول الله ﷺ في كعب بن لؤي.

أسلم في السنة السادسة من البعثة بعد نحو أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة بعد دعاء النبي له، ففرح المسلمون به، وظهر الإسلام بمكة بعده[1].

ثاني الخلفاء وإمام الحنفاء بعد أبي بكر ﷺ، وأول من تسمى بأمير المؤمنين، استخلفه أبو بكر على الأمة بعد مشورة الصحابة وإجماع أهل الحل والعقد على توليته، فقام بأعباء الخلافة خير قيام ونصر الإسلام بيده ولسانه، وكثرت

---

(١) قال ابن مسعود: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»، أخرجه البخاري (٣٦٨٤).

الفتوحات في أيامه.

قتل شهيداً ﷺ بعد طعنة أبي لؤلؤة فيروز المجوسي في صلاة الفجر، فمكث ثلاثة أيام ثم توفي آخر ذي الحجة سنة ٢٣ عن ٦٣ سنة، ودفن مع صاحبيه بوصية منه، بعد خلافة استمرت ١٠ سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام، من ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣ للهجرة النبوية إلى ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣ للهجرة.

ولقد كان قتله باب فتنة كُسر إلى قيام الساعة:

عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: سمعت حذيفة يقول: بينا نحن جلوس عند عمر إذ قال:«أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟»، قال:«**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ**»، قال:«ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر، قال: «ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً»، قال عمر:«أيكسر الباب أم يفتح؟»، قال: «بل يكسر»، قال عمر:«إذاً لا يغلق أبداً»، قلت: «أجل»، قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلم الباب؟ قال:«نعم، كما أعلم أن دون غدٍ ليلة، وذلك أني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط»، فهبنا أن نسأله: من الباب؟ فأمرنا مسروقاً فسأله فقال: من الباب؟ قال:«عمر»[1].

وعن حذيفة ﷺ قال:«ما بينكم وبين أن يرسل عليكم الشر فراسخ إلا موتة في عنق رجل يموتها، وهو عمر»[2].

ولما سمع خالد بن الوليد ﷺ رجلاً يقول له في خلافة عمر:«يا أبا سليمان

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥، ١٤٣٥، ٣٥٨٦، ٧٠٩٦)، ومسلم (٢٦)(١٤٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٦٢٠) بإسناد صحيح.

اتق الله؛ فإن الفتن قد ظهرت»، فرد عليه مستنكراً بقوله:«وابن الخطاب حي؟! إنما تكون بعده»[١].

وقد وردت في فضل عمر أحاديث كثيرة، منها:

قول النبي ﷺ:«رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلاَلٌ، وَرَأَيْتُ قَصْراً بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ»، فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله؛ أعليك أغار؟[٢].

وقوله:«لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ؛ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ؛ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ»[٤].

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:«إِنِّي لاَ أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ، فَاقْتَدُوا

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٩٠)، والطبراني في «الكبير» (٣٨٤١)، و«الأوسط» (٨٤٧٨)، وغيرهم، بإسناد حسن وانظر «الصحيحة» (١٦٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٦)، ومسلم (٢٣٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٨٩)، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٥٤)، ومسلم (٢٣٩٢).

بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي»، وأشار إلى أبي بكر وعمر [(١)].

وسئلت عائشة رضي الله عنها: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لأستخلفه؟ قالت:«أبو بكر»، فقيل لها: ثم من يأتي بعد أبي بكر؟ قالت:«عمر»، قيل لها: من بعد عمر؟ قالت:«أبو عبيدة بن الجراح»[(٢)].

وقال ﷺ:«**اللَّهُمَّ أعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**»، فكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب[(٣)].

وقال ﷺ لعمر رضي الله عنه :«**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجّاً قَطُّ إِلاَّ سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ**»[(٤)].

وقال ﷺ:«**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ؛ إِذْ رَأَيْتُ قَدَحاً أُتِيتُ بِهِ فِيهِ لَبَنٌ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لأَرَى الرِّيَّ يَجْرِي فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**»، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال:«**الْعِلْمَ**» .

وعن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: «أبو بكر» قلت: ثم من؟ قال:«عمر» وخشيت أن يقول عثمان فقلت: ثم أنت؟ قال: «ما أنا إلا رجل من المسلمين»[(٥)].

وقال علي رضي الله عنه لعمر قبل موته: وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله -تعالى-

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٥،٣٨٢)، وأبو داود (٣٦٦٢)، والحاكم (٣/ ٧٥)، وغيرهم.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٩٥)، والترمذي (٣٦٨١)، وصححه شيخنا العلامة رحمه الله .

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٧١).

مع صاحبيك وحسبك أني كنت أسمع النبي ﷺ يقول كثيراً: «**ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»[١].

وقال علي ﷺ: «من فضلني على أبي بكر وعمر جلدته حد المفتري»[٢] وهذا خبر متواتر عنه.

وسأل رجل اسمه سالم الإمام السني جعفر الصادق ﷺ: أتولى أبا بكر وعمر؟ قال: «نعم؟ توهما تولى أبا بكر وعمر»، قال: أوتقول ذلك؟! قال: «ما لي لا أقول ذلك! لا أنالني الله شفاعة محمد ﷺ إن لم أقل ذلك، يا سالم؛ أبو بكر جدي أيسب الرجل جده؟»[٣].

وأبو بكر الصديق جد لجعفر الصادق لأن أمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ولأن جدته لأمه هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عن الجميع.

وعن زيد بن علي بن الحسين بن علي ﷺ (ت: ١٢٢هـ) قال: «البراءة من أبي بكر وعمر: البراءة من علي»[٤].

وعمر الفاروق هو أفضل أمة محمد ﷺ بعد أبي بكر الصديق، وهو خليفة المسلمين بعده لأنه عهد بالخلافة إليه، ولإجماع الصحابة على ذلك.

(ثُمَّ عُثْمَانُ بنُ عفانَ...): هو أبو عبد الله ذو النورين ابن أبي العاص بن أمية

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٥)، ومسلم (٢٣٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٣).

(٣) أخرجه اللالكائي (٢٤٦٥)، والآجري (١٨٥٦، ١٨٥٧).

(٤) رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٤٦٩).

بن عبد شمس بن عبد مناف الذي يلتقي به مع الرسول ﷺ.

أسلم قديماً قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، هاجر الهجرتين، زوج ابنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم، ولا يعلم أحد تزوج بنتي نبي غيره، كان غنياً سخياً صوّاماً قوّاماً، كثير التلاوة لكتاب الله، ذا حلم وحياء، جهز جيش العسرة، ووسع الحرمين، نسخ المصحف بما يوافق العرضة الأخيرة التي عرضها جبريل على رسول الله ﷺ، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى، وهم المذكورون في قول بعض أهل العلم شعراً:

علــي وعثمــان وســعد وطلحــة زبــير وذو عــوف رجــال المشــورة

واستمرت خلافته اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، من ١ محرم سنة ٢٤ إلى ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ للهجرة، أقام فيها العدل والإنصاف والإحسان، قتل شهيداً بعد عصر يوم الجمعة، وهو يومئذ صائم لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥هـ عن ٨٢ سنة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه فلما خرج قالت: دخل أبو بكر فلم تهتش له ودخل عمر ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال:«**أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ!**»[1].

وعن ثمامة القشيري قال: شهدت الدار يوم أصيب عثمان، فاطلع عليه

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠١).

اطلاعة، فقال:«ادعو لي صاحبيكم اللذين ألّباكم عليّ»، فدعيا له، فقال: «أنشدكما الله؛ أتعلمان أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال:«**مَنْ يَشْتَرِي هَذِهِ الْبُقْعَةَ مِنْ خَالِصِ مَالِهِ؟ فَيَكُونَ فِيهَا كَالْمُسْلِمِينَ؛ وَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ**»، فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين، وأنتم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين!

ثم قال:«أنشدكم الله؛ أتعلمون أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها غير بئر يستعذب منه إلا بئر رومة فقال رسول الله ﷺ:«**مَنْ يَشْتَرِيهَا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ؟ فَيَكُونَ دَلْوُهُ فِيهَا كَدُلِيِّ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ**»، فاشتريتها من خالص مالي، وأنتم تمنعوني أن أشرب منها»، ثم قال:«هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة؟» ، قالوا: اللهم نعم[(١)].

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى رسول الله ﷺ بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره، فقال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول:«**مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ** -مرتين-»[(٢)].

فذو النورين أفضل الأمة بعد أبي بكر وعمر، وهو خليفة المسلمين بعدهما لتقديم أهل الشوري واتفاق الأمة عليه، فمن قدم غيره عليه فهو أضل من حمار أهله، وأول من بايعه عبد الرحمن بن عوف ثم علي بن أبي طالب ثم بقية أصحاب الشورى ثم بقية أهل الدار ثم بقية المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٧٥)، والترمذي (٣٧٠٣)، والنسائي في «الكبرى» (٦٤٣٥)، وحسنه شيخنا في «إرواء الغليل» برقم(١٥٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٦٣)، والترمذي (٣٧٠١)، والحاكم (٣/ ١٠٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:«كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان»[(١)].

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في قصة بيعة عثمان:«يا علي؛ إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان»[(٢)].

وكان قد قال قبْلُ لعثمان وعلي حين التشاور:«أفتجعلونه-أي: أمر الاختيار- إليَّ والله علي أن لا آلو عن أفضلكم»[(٣)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما استخلف عثمان:«أمَّرنا خير من بقي، ولم نألُ»[(٤)].

وقال رضي الله عنه:«إنا اجتمعنا أصحاب محمد فلم نأل عن خيرنا ذي فوق، فبايعنا أمير المؤمنين عثمان»[(٥)].

فلم يقع اختلاف بين الصحابة أو التابعين في خلافة عثمان رضي الله عنه، إنما وقع الخلاف في التفضيل بينه وبين علي بن أبي طالب على ثلاثة أقوال:

☑ قول جمهور الصحابة والتابعين، وهو تفضيل عثمان ثم علي.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥)، وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ١٩٤- فتح).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٦١-فتح).

(٤) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٤٦١)، والخلال في «السنة» (٥٤٢، ٥٥٨)، واللالكائي (٢٥٥٥) بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٢٩٦، ٤٦٣)، واللالكائي (٢٥٥٦) بإسناد حسن.

☑ تفضيل علي على عثمان، وكان قد ظهر هذا القول في الكوفة.

☑ التوقف عن المفاضلة بينهما، وكان قد ظهر هذا القول في المدينة.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهم على جميع الصحابة، وإنما اختلف منهم في علي وعثمان»[١].

ولهذا؛ لم يضلِّل أهل السنة والجماعة من فضل علياً على عثمان -وإن كان هذا خلاف الراجح- وضلَّلوا من فضله على أبي بكر وعمر -رضي الله عنهم أجمعين-.

ثم استقر قول أهل السنة على تقديم وتفضيل عثمان على عليّ، فأجمعوا على أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «وأهل السنة اليوم على ما ذكرت لك من تقديم أبي بكر في الفضل على عمر، وتقديم عمر على عثمان، وتقديم عثمان على علي رضي الله عنهم»[٢].

فمن زعم أن خلافة عثمان كانت باطلة وأن علياً كان أحق بالخلافة منه فهو مبتدع ضال رافضي خبيث، مع ما في قولـه من إزراء بالمهاجرين والأنصار.

📄 (ثُمَّ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ): هو أبو الحسن، ابن أبي طالب، وأبو طالب هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم رسول الله ﷺ.

---

(١) «الاعتقاد» للبيهقي (ص٣٦٩).

(٢) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٣/ ٥٤).

وهو أول من أسلم من الصبيان، زوج سيدة نساء أهل الجنة، أبو السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما ريحانتي رسول الله ﷺ، أعطاه رسول الله الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه، أحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والخطباء البلغاء، وأحد من جمع القرآن وعرضه على النبي ﷺ، بويع بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنهما، فكان هو الخليفة شرعاً، وكان أيام خلافته على طريق الحق والاستقامة، مجتهداً في جمع شمل الأمة وإطفاء الفتن حتى قتله شهيداً ابن ملجم الخارجي في صلاة الفجر، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت، وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة ٤٠ للهجرة عن ٦٣ سنة، وهو يومئذ أفضل من على وجه الأرض بالإجماع، ودفن في دار الإمارة بالكوفة لا بالنجف كما تعتقد الشيعة الشنيعة.

وكانت مدة خلافته أربع سنوات وتسعة أشهر إلا ليالي، من ١٩ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ إلى ١٩ رمضان سنة ٤٠ للهجرة المحمدية.

ثم بويع الحسن بن علي رضي الله عنهما يوم مات أبوه رضي الله عنه فبقي خليفة ستة أشهر فكمل الثلاثين سنة التي أخبر عنها النبي ﷺ: **«الْخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكاً»**[1].

ثم سلّم الأمر إلى الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما خال المؤمنين وأفضل ملوك الأمة، فظهرت آية النبي ﷺ في قوله: **«إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»**[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٠-٢٢١)، وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦)، وحسنه شيخنا رحمه الله.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

وقد ورد في فضل علي -عميد آل البيت- أحاديث كثيرة، منها:

قوله ﷺ:«أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؛ إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي»(١).

وقال ﷺ:«مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ»(٢).

قال شيخ الإسلام:«ولا ريب أن موالاة علي واجبة على كل مؤمن، كما يجب على كل مؤمن موالاة أمثاله من المؤمنين»(٣).

وعن علي رضي الله عنه أنه قال:«والذي خلق الحبة، وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»(٤).

قال شيخ الإسلام:«وأما علي رضي الله عنه فلا ريب أنه ممن يحب الله ويحبه الله»(٥).

وقال رسول الله ﷺ:«عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ، وَلاَ يُؤَدِّي عَنِّي إِلاَّ أَنَا أَوْ عَلِيٌّ»(٦).

ومن الأحاديث الموضوعة في فضل علي رضي الله عنه(٧):«أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»، «أنت أول من آمن بي، وأنت أول من يصافحني

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤) واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧١٣)، والنسائي في «الكبرى» (٨٤٦٩) بإسناد صحيح على شرط الشيخين، انظر «الصحيحة» (١٧٥٠).

(٣) «منهاج السنة» (٧/ ٢٧).

(٤) أخرجه مسلم (٧٢).

(٥) «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٢١٨).

(٦) أخرجه الترمذي (٣٧١٩)، وأحمد (٤/ ١٦٤-١٦٥)، وابن ماجه (١١٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٤٥٩)، وحسنه شيخنا في «الصحيحة» (١٩٨٠).

(٧) انظر «الطليعة في الرد على غلاة الشيعة» للعلامة المحدث مقبل الوادعي رحمه الله.

يوم القيامة، وأنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الأكبر؛ تفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكفار»، «إن أخي ووزيري وخليفتي من أهلي، وخير من أترك بعدي يقضي ديني وينجز وعدي: علي بن أبي طالب»، «من لم يقل: علي خير البشر؛ فقد كفر».

«فأهل السنة والجماعة يتولون سائر أصحاب رسول الله ﷺ ويتبرءون ممن عاداهم، ويعظمون آل بيت رسول الله ﷺ، ويعادون من عاداهم، فهم وسط بين الإفراط والتفريط، وهذا الذي يجب لآل رسول الله ﷺ ولصحابته الميامين ﷺ، فإنهم على الخير كانوا وعلى الصراط المستقيم مضوا، حتى لقوا ربهم على ذلك كما شهد لهم الله ورسوله، فطوبى لمن اختارهم الله لصحبة نبيه ولنشر دينه، وإعلاء كلمته»[1].

(وَهُمُ الخُلفاءُ الرَّاشدُونَ المَهدِيونَ): كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من حديث العرباض بن سارية[2] بقوله: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا؛ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**».

قال شيخ الإسلام الثاني الإمام الرباني ابن قيم الجوزية رحمه الله: «فقرن سنة خلفائه بسنته، وأمر باتباعها كما أمر باتباع سنته، وبالغ في الأمر بها حتى أمر بأن يعض عليها بالنواجذ، وهذا يتناول ما أفتوا به وسنّوه للأمة، وإن لم يتقدم من نبيهم فيه شيء، وإلا كان ذلك سنته، ويتناول ما أفتى به جميعهم أو أكثرهم أو

---

(١) «المنافقون في الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح» بقلمي (ص : ٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢) ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٤)، وغيرهم، وصححه شيخنا رحمه الله، انظر «الصحيحة» (٩٣٧) و«الإرواء» (٢٤٥٥).

بعضهم، لأنه علّق ذلك بما سنه الخلفاء الراشدون، ومعلوم أنهم لم يسنوا ذلك، وهم خلفاء في آن واحد، فعلم أنه ما سنّه كل واحد منهم في وقته، فهو من سنة الخلفاء الراشدين»[١].

(الخُلفاءُ): جمع خليفة، وهو هنا: من ولي تصريف أمور المسلمين في دينهم ودنياهم بعد رسول الله ﷺ، ممن هو على دينه وشرعته ونهجه وعلى رأسهم أبو بكر الصديق، وقد يختلف هذا الاسم باختلاف الزمان والمسمّى واحد.

(الرَّاشِدُونَ): جمع راشد، والراشد هو: العالم بدين الله البصير به، العالم بما علم، بخلاف الغاوي، «والرشْد: الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه»[٢].

(المَهدِيونَ): جمع مهدي، وهو: الذي هداه الله إلى الحق، ومن كان راشداً فهو مهدي، فلا رشد إلا بهداية.

فأكد رسول الله ﷺ وصف أصحابه بالرشاد بوصفهم بالهداية، فهم رشدوا لأنهم مهديون.



---

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٤٠).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٣٦٠).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

العشرة المبشرون بالجنة

📖 ([٥] وأَنَّ العشرةَ الذين سَمَّاهم رسولُ الله ﷺ وشَهِدَ لهم بِالجَنَّةِ على ما شَهِدَ بِهِ، وقَولُهُ الحَقُّ):

وذلك في قوله ﷺ:«أَبو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، فِي الْجَنَّةِ، وَأَبو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»[1].

وقد سبق الكلام على الخلفاء الراشدين الأربعة.

أما الستة الباقون فيجمعهم قول الإمام ابن أبي داود السجستاني شعراً:

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة ... وعامر فهرٍ والزبير الممدَّح

فطلحة: هو أبو محمد بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، يلتقي مع الرسول ﷺ في مرة بن كعب كأبي بكر.

أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، شهد أحداً فما بعدها، وقى النبي ﷺ يوم أحد بيده فشلت أصابعه، وجرح يومئذ أربعة وعشرين جراحة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٧،١٩٣)، وأبو داود (٤٧٤٩)، والترمذي (٣٧٤٧، ٣٧٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٩٣، ٨١٩٤)، وغيرهم، من حديث عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد، وصححه شيخنا رحمه الله .

قتل يوم الجمل في جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ عن ٦٤ أو ٦٢ سنة، ودفن بالبصرة.

عن قيس بن أبي حازم قال:«رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شلت»[١].

وعن موسى بن طلحة قال: دخلت على معاوية، فقال: ألا أبشرك، قلت: بلى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«**طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ**»[٢].

والزبير: هو أبو عبد الله بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب الذي يلتقي معه بالرسول ﷺ، ابن عمة رسول الله ﷺ.

أسلم قديماً وهو ابن ست عشرة سنة على يد أبي بكر، هاجر الهجرتين، شهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها، وثبت معه يوم أحد.

انصرف يوم الجمل عن قتال علي فلقيه ابن جرموز فقتله وهو نائم في جمادى الأولى سنة ٣٦ عن ٦٧ سنة، فلما بلغ ذلك علياً حزن حزناً شديداً وبكى عليه.

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله يوم الأحزاب:«**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**»، فقال الزبير: أنا، ثم قال:«**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**»، فقال الزبير: أنا، ثم قال:«**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**»، فقال الزبير: أنا، فقال رسول الله ﷺ:«**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٤٠)، وابن ماجه (١٢٦)، وصححه شيخنا، انظر «الصحيحة» (١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧١٩)، ومسلم (٢٤١٥).

وعبد الرحمن بن عوف: هو أبو محمد بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، يلتقي مع النبي ﷺ في كلاب بن مرة.

أسلم قديماً وشهد بدراً والمشاهد كلها، صلى وراءه رسول الله ﷺ الفجر في غزوة تبوك، هاجر الهجرتين.

توفي في المدينة سنة ٣٢ في خلافة عثمان وصلى عليه عن ٧٢ سنة ودفن بالبقيع، في حقه قال رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد:«**لاَ تَسُبُّوا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»[(١)].

وسعد بن أبي وقاص: هو أبو إسحاق بن أبي وقاص، وأبو وقاص هو مالك بن أهيب بن عبد مناف ابن زهرة ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في كلاب.

أسلم قديماً وهو ابن سبع عشرة سنة على يد أبي بكر الصديق، أول من رمى بسهم في سبيل الله، شهد بدراً والمشاهد كلها، ولاّه عمر وعثمان الكوفة مات في مقره على عشرة أميال من المدينة ودفن بالبقيع سنة ٥٥، وهو ابن بضع وسبعين سنة فكان آخر العشرة وفاة.

عن علي رضي الله عنه قال: ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك، فإنه جعل يقول له يوم أحد:«**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أرق رسول الله ذات ليلة، فقال:«**لَيْتَ رَجُلاً صَالِحاً مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**»، قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال رسول

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٥)، ومسلم (٢٤١١).

الله ﷺ:«مَنْ هَذَا؟»، قال: سعد بن أبي وقاص يا رسول الله، جئت أحرسك، قالت عائشة: فنام رسول الله حتى سمعت غطيطه[(١)].

وسعيد بن زيد: هو أبو الأعور بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، الذي يلتقي به مع رسول الله ﷺ، ابن عم عمر بن الخطاب.

كان من السابقين إلى الإسلام فقد أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ غير بدر، فإنه كان هو وطلحة بن عبيد الله يطلبان خبر عير قريش فضرب لهما النبي ﷺ بسهم في الغنيمة والأجر.

توفي بالعقيق ودفن بالمدينة سنة ٥١ هـ عن بضع وسبعين سنة.

وأبو عبيدة: هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في فهر بن مالك.

أمين الأمة، من السابقين إلى الإسلام فقد أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم هو وعثمان بن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلاً، شهد بدراً والمشاهد كلها، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، روي أن فيه أنزل الله -تعالى- لما قتل أباه كافراً يوم بدر قوله: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤١٠).

ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢].

توفي في طاعون عمواس في الأردن سنة ١٨هـ عن ٥٨ سنة وصلى عليه معاذ بن جبل رضي الله عنهما.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**»[1].

ويجمع العشرة المبشرين جميعاً هذان البيتان:

للمصطفى خيرُ صَحْب نص أنهم ... في جنة الخلد نصاً زادهم شرفاً

هم طلحة وابن عوف والزبير مع ... أبي عبيدة والسَّعْدان والخُلفا

وقد شهد رسول الله ﷺ بالجنة لغير هؤلاء العشرة، كما شهد لزوجه خديجة بنت خويلد وابنه إبراهيم، وعكّاشة بن مِحْصَن، وفاطمة والحسن والحسين، وثابت بن قيس بن شمّاس، وسعد بن معاذ، وبلال بن رباح، وجعفر بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن سلاّم، وأمهات المؤمنين اللائي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وآل ياسر وورقة بن نوفل وأبو الدحداح، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين أكتعين أبتعين.

كما شهد لأهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة، وقد كانوا أكثر من ألف وأربعمائة في قوله ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»[2].

بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكما قال ﷺ لعمر: «**وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩٦).

أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[١]، وقد كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر.

وقد كان كل من بشره النبي ﷺ بالجنة أو أخبره بأنه مغفور له أشد اجتهاداً وحذراً وخوفاً بعد البشارة منه قبلها مع اجتناب الإصرار على الذنب، والتوبة من كل ذنب والاستغفار منه وإتباعه بالحسنات الماحية.

هم الرجالُ وعيبٌ أنْ يقالَ لمن ... لم يتصف بمعاني وصفهم رجلُ



---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

الترحم على الصحابة والكف عما شجر بينهم

([٦] وَالتَّرَحُّمُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ):

(وَالتَّرَحُّمُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ):

وكيف لا يترحم عليهم ويترضى عنهم وقد رضي الله عنهم؟ كما قال -جلّ وعزّ- : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [التوبة:١٠٠].

قال الإمام مالك رحمه الله:«هذا النبي مؤدب الخلق، الذي هدانا الله به، وجعله رحمة للعالمين، يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم، ويستغفر كالمودع لهم؛ وبذلك أمره الله، وأمر النبي بحبهم وموالاتهم، ومعاداة من عاداهم»[١].

وقال الإمام أبو بكر عبد الله الحميدي -شيخ البخاري- رحمه الله (ت:٢١٩هـ): «السنة عندنا أن يؤمن الرجل بالقدر خيره وشره.. والترحم على أصحاب محمد ﷺ كلهم، فإن الله ﷻ قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ...﴾ [الحشر:١٠]، فلم يؤمر إلا بالاستغفار لهم..»[٢].

وقال الإمام أحمد رحمه الله:«صفة المؤمن من أهل السنة من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأقر بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل، .. وعرف حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه.. وترحم على جميع أصحاب محمد صغيرهم وكبيرهم، وحدث بفضائلهم وأمسك عما شجر

(١) «الشفا» (٢/٦١٨).

(٢) «أصول السنة» (٢/٥٤٦- «مسنده»).

بينهم»(١).

وقال:«ومن انتقص واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أبغضه لحدث كان فيه، أو ذكر مساويه، كان مبتدعاً، حتى يترحم عليهم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليماً»(٢).

وقال الإمام ابن بطة العكبري رحمه الله (ت:٣٨٧هـ):«ويشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنة والرضوان والتوبة والرحمة من الله، ويستقر علمك وتوقن بقلبك أن رجلاً رأى النبي ﷺ وشاهده وآمن به واتبعه ولو ساعة من نهار؛ أفضل من لم يره ولم يشاهده، ولو أتى بأعمال أهل الجنة أجمعين، ثم الترحم على جميع أصحاب رسول الله ﷺ صغيرهم وكبيرهم، وأولهم وآخرهم، وذكر محاسنهم، ونشر فضائلهم، والاقتداء بهديهم، والاقتفاء لآثارهم، وأن الحق في كل ما قالوه، والصواب فيما فعلوه»(٣).

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله:«ويرون الترحم على جميعهم، والموالاة لكافتهم»(٤).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله (ت:٧٧٤):«فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم، أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٩٤).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٤٥).

(٣) «الإبانة الصغرى» (ص٢٩٠).

(٤) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٩٣).

الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم -عياذاً بالله من ذلك-، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم؟!

وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنهم، ويسبون من يسبه الله ورسوله ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون، ولهذا هم حزب الله المفلحون، وعباده المؤمنون»[1].

(وَالكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَينَهُمْ): لأنهم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، ففي الحالة الأولى لهم أجران، وفي الثانية: أجر واحد وخطؤهم مغفور، فما يصدر من الصحابي من خطأ على قلته لا يخلو من حالين:

الأول: أن يكون صدر عن اجتهاد فهو فيه مأجور إما بأجرين أو أجر واحد مع غفران ذاك الخطأ.

الثاني: وإما أن يكون صدر عن غير اجتهاد فله مكفرات منها:

☑ أن يغفر له بما له من السوابق والفضائل كسالفته في الإسلام.

☑ أن يغفر له بالتوبة قبل الموت.

☑ أن يغفر له بما اتبعه من حسنات تذهبه وتمحوه.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٦٧).

☑ أن يغفر له بما يبتلى به من بلاء في الدنيا في نفسه أو ماله أو ولده.

☑ أن يغفر له بشفاعة رسول الله ﷺ، والصحابة هم أسعد الناس بشفاعته وأحقهم به رضوان الله عليهم أجمعين.

ففضائلهم المتكاثرة من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله بالنفس والمال، والهجرة مع رسوله ﷺ، والنصرة له ولدين الله، والعلم النافع فهم أعلم هذه الأمة بدينها، والعمل الصالح الذي لا يلحقهم ولا يدانيهم فيه أحد.

فهذه الفضائل إذا ما قوبلت بالمساوئ -إن فرض أن هناك مساوئ- اضمحلت المساوئ معها، ولم تعد أن تكون قطرة في بحر فضائلهم ومحاسنهم.

فالواجب السكوت عما شجر بين الصحابة-رضي الله عنهم أجمعين-، لما في بحث هذه القضايا من توليد الحقد والبغضاء على بعضهم، ويستثنى من ذلك ما إذا كان الغرض من الكلام: بيان الحق في مسألة أو حادثة دونما انتقاص لأحد منهم، ولا سيما في هذه الأوقات التي كثرت فيها أصوات الشيعة الشنيعة ومنابرهم من أنفسهم وممن ينتسب إلى السنة -وهي وأهلها منهم برآء-، والتي كثرت فيها كتابات المعاصرين المسمومة الذين جعلوا أنفسهم حكماً بين أصحاب رسول الله ﷺ فصوبوا وخطئوا، بل وشتموا وسبوا، حتى وصل الأمر بهم إلى اتهام صحابة رسول الله ﷺ خير الخلق بعد الأنبياء بالنفاق والكذب والغش والهوى وإثارة الفتن وتفريق الجماعات[1].

---

(١) كسيد قطب[1]، وعباس محمود العقاد، وحسن السقاف «دجال زمانه»[2]، وخالد محمد خالد، وعبد الله الحبشي، وطارق سويدان، وحسن المالكي[3]، وغيرهم كثير.

....

(١) وقد تولى الرد عليه في كتبه: فضيلة الشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي-نصر الله به الدين-.

وكل ذلك اتباعاً للهوى وأهل الرفض أولاً، ثم اعتماداً على المرويات الباطلة، والقصص الموضوعة، والآثار المحرفة التي زادوا فيها وأنقصوا منها على الوجه الذي يشتهون:

ضلّوا السبيل أضل الله سعيهم بئس العصابة إنْ قلوا و إن كثروا

لا بارك الله فيهم لا ولا بقيت منهم بحضرتنا أنثى ولا ذكر

أما أهل السنة والجماعة فمع إمساكهم وكفهم عما شجر بين الصحابة: قلوبهم سالمة للصحابة من البغض والعداوة، والغل، والحقد، والكراهية، بل محبة وإجلال وتقدير، وتبجيل، وتكريم وتعظيم، وألسنتهم سالمة من كل قول لا يليق بهم ومن السب والشتم والهمز والغمز، والطعن واللعن، والقدح والجرح، والتفسيق أو التكفير وكل ما فيه وقيعة فيهم، بل ثناء، وترضٍ، وترحم واستغفار، ونشر لفضائلهم ومحاسنهم وإخفاء لما نسب إليهم من مساويء.

ونسأل الله لحبنا لهم وبغضنا من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم: أن يجمعنا معهم في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وقد استفاضت أقوال أئمة السلف في الكف عما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم، ومن ذلك:

---

(٢) كذا وصف الإمام الذهبيُّ أحمد البكريَّ، أنظر «أجوبة العلماء عن حكم كتب البكري» (ص:٢٢)، دار ابن حزم.

(٣) وقد تولى الرد عليه استاذنا سماحة الشيخ العلامة عبد المحسن العباد البدر -نصر الله به الدين وأمد في عمره في طاعته-.

قالت عائشة رضي الله عنها: «أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم»[(١)].

وقال الإمام مالك رحمه الله: «إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي عليه الصلاة والسلام؛ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين»[(٢)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «من تنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فلا ينطوي إلا على بلية، وله خبيئة سوء، إذا قصد خير الناس وهم أصحاب رسول الله ﷺ؛ حسْبُك»[(٣)].

ولما سئل عما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما قرأ قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:١٣٤].

وقال إمامنا الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»[(٤)].

وقال الإمام إسماعيل المزني -صاحب الشافعي- رحمه الله (ت:٢٦٤هـ): «ويخلص لكل رجل منهم من المحبة بقدر الذي أوجب لهم رسول الله، ويقال بفضلهم ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ويمسك عن الخوض فيما شجر بينهم، فهم خيار أهل

---

(١) رواه مسلم (٣٠٢٢)، وغيره.

(٢) «الصارم المسلول» (٥٨٢).

(٣) رواه الخلال في «السنة»(٤٧٧).

(٤) رواه الخطيب البغدادي في الكفاية (١/ ١٨٨) برقم (١٠٤).

الأرض بعد نبيهم، ارتضاهم الله ﷻ لنبيه، وخلقهم أنصاراً لدينه منهم أئمة الدين وأعلام المسلمين، فرحمة الله عليهم أجمعين»[١].

وقال الإمام أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله:«.. ويكف عن الوقيعة فيهم، وتأول القبيح عليهم، ويكلونهم فيما جرى بينهم على التأويل إلى الله ﷻ »[٢].

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله (ت:٤٨٩هـ):«التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله، بل هو بدعة ضلالة»[٣].

وقال الإمام أبو القاسم الأصبهاني التيمي رحمه الله (ت:٥٣٥هـ):«وما جرى بين علي وبين معاوية رضي الله عنهما، فقال السلف: من السنة السكوت عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ:«**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا**»[٤].

ومعلوم أنه لا يأمر بالإمساك في ذكر محاسنهم وإنما أمرنا بالإمساك عن ذمهم، وقال عمر بن عبد العزيز-وسئل عن أمر الحرب التي جرت بينهم- فقال:«تلك دماء كف الله يدي فيها، فلا أحب أن أغمس لساني فيها، وأرجو أن يكونوا ممن قال الله ﷻ فيهم: ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ** ﴾ [الحجر:٤٧]»[٥].

وقال القاضي عياض رحمه الله (ت:٥٤٤هـ):«ومن توقيره، وبره ﷺ: توقير أصحابه وبرهم، ومعرفة حقهم، والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار

---

(١) «شرح السنة» (ص:٨٦).

(٢) «اعتقاد أئمة الحديث» (ص:٧٩).

(٣) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (٤/ ٤٥٩).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٥٢٦).

لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة، وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم، وأن يلتمس لهم فيما نقل عنهم، من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات، وتخريج لهم أصوب المخارج، إذ هم أهل ذلك، ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر. بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم، ويسكت عما وراء ذلك كما قال ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا» »[1].

وقال الإمام النووي ﵀ (ت:٦٧٦هـ): «وأما الحروب التي جرت؛ فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم عدول ﵃، ومتأولون في حروبهم وغيرهم، ولم يخرج بشيء من ذلك أحدٌ منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون، اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما اختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم.

واعلم أن من سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغٍ، فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقده ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده، وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته، وقتال الباغي عليه، وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيّروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى

---

(١) «الشفا» (٢/ ٦١١).

يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء الصحابة أحد الطرفين، وأن الحق معه لما جاز له التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه، فكلهم معذورون ﷺ، ولهذا اتفق أهل الحق وما يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم، ورواياتهم، وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين»[1].

تعجبت من هذا الزمان وأهله   فما أحد من ألسن الناس يسلمُ



(١) «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ١٤٩).

إثبات صفتي العلو والاستواء

🕮 ([٧] وَأَنَّ اللهَ ﷻ عَلَى عَرشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ بِلاَ كَيفٍ):

(وَأَنَّ اللهَ ﷻ عَلَى عَرشِهِ): من فوق سبع سمواته.

والعلو على ثلاثة أنواع:

١- **علو الذات:** وهو علو الله بذاته فوق جميع خلقه على وجه العموم، واستواؤه على عرشه على وجه الخصوص، وهو المراد هنا.

٢- علو القدر والمنزلة: وهو أن الله ذو قدر عظيم لا يماثله فيه من خلقه ولا يعتريه معه نقص لا في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله، فلا معين ولا مشير ولا نظير ولا نصير، له المثل الأعلى تبارك وتعالى وتنزه وتقدس.

٣- علو القهر: وهو أن الله قادر على كل شيء قاهر لجميع خلقه فلا غالب له، ولا يخرج أحد عن سلطانه بل جميعها تحت قدرته ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [الزمر:٤].

ولقد جمع الله -تعالى- بين علو الذات والقهر في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٨].

قال ابن القيم:

ولـه العلـوُ مـن الوجـوه جميعِهـا ذاتـاً وقـدراً مـع علـو الشـانِ

والفرق بين صفتي العلو والاستواء من ثلاثة وجوه:

١- إن الاستواء علو خاص بالعرش، أما العلو فهو عام على جميع المخلوقات، وعليه؛ فلا يجوز أن يقال: إن الله استوى على المخلوقات أو استوى على السماء، بل هو ﷻ استوى على العرش خاصة.

٢- أن العلو صفة ذاتية، أما الاستواء فهو صفة فعلية اختيارية متعلقة بالمشيئة، فعلو الله على خلقه وصف لازم لذاته، والاستواء فعل من أفعاله.

٣- أن العلو صفة دل عليها العقل والفطرة مع النقل من الكتاب، والسنة أما الاستواء فهو صفة خبرية فقط لم يدل عليها إلا الخبر والنقل كالنزول والمجيء.

وقد استوى الله على العرش بعد خلقه السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[الأعراف:٥٤ ويونس:٣]، و(ثم) هنا للترتيب الزماني لا لمجرد العطف كما يدعي من فسر الاستواء في الآية بعلو القهر والغلبة.

ولا يلزم من عدم استواء الله على العرش قبل خلق السموات والأرض عدم علوه، بل هو عال ﷻ ، ثم بعد خلق السموات والأرض علا علواً خاصاً على العرش وهو الاستواء.

قال حسّان السنة يحيى الصرصري ؒ (ت: ٦٥٦هـ):

قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه ... ومن علمه لم يخلُ في الأرض موضع

ولِـ: (استوى) أربعة معاني، كلها وردت عن السلف وفي اللغة: وهي: علا وارتفع وصعد واستقر، وكلها بمعنى، عدا استقر فلها معنى زائد على العلو.

قال ابن القيم:

ولهم عبارات عليها أربع قد جُعلت للفارس الطعّان
منها استقر وقد علا وكذلك ارتفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيبان
يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي في القرآن

عن أبي العالية الرياحي (ت:٩٠) ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٢هـ) -رحمهما الله- في تفسير ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾:«علا وارتفع»[(١)].

(عَلَى عَرْشِهِ): العرش في اللغة: سرير الملك، قال تعالى: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل:٢٣]، ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يوسف:١٠٠].

أما عرش الرحمن الذي استوى عليه فهو: عرش عظيم جداً ذو قوائم، هو سقف جنة الفردوس بل سقف جميع المخلوقات، وأعلاها وأعظمها وأوسعها وأكثرها إحاطة، فـ«لا يقدر قدره إلا الله -تعالى-»[(٢)]، وأثقلها وزناً، وهو كالقبة على العالم، أمر الله بعض ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه.

كما دل على ذلك مجموع النصوص من الكتاب والسنة.

---

(١) «صحيح البخاري» (١٣/ ٤٠٣- الفتح).

(٢) كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر «مختصر العلو للعلي العظيم» لشيخنا ناصر الدين والسنة الألباني رحمه الله (ص:١٠٢).

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة:١٢٩]، وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [غافر:٧]، وقوله: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[الحاقة:١٧]، و﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون:١١٦]، وقوله: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾[البروج:١٥]، و﴿ ٱلْمَجِيد ﴾ على قراءة الرفع صفة الله ﷻ وعلى قراءة الجر -وهي قراءة حمزة والكسائي- صفة للعرش.

ومن السنة: قوله ﷺ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلاَّ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلاَةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ»[١].

وقوله ﷺ: «.. فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»[٢].

وقوله ﷺ: «..فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ؟»[٣].

وقوله ﷺ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»[٤].

وقوله ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ

(١) حديث صحيح بطرقه، انظر تخريجها في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، وغيره، وهو حديث صحيح.

كَلِمَاتِهِ»[١].

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله (ت:١٧٥):«كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته جل وعلا»[٢].

قال شيخ الإسلام -معلقاً-:«وقد حكى الأوزاعي -وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم: مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق- حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله فوق العرش، ولصفاته السمعية، وإنما قال الإمام الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك»[٣].

▣ (بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ) أي: منفصل عن خلقه، فليس في ذاته شيء من خلقه، ولا في خلقه شيء من ذاته.

وهذه اللفظة لم تكن معروفة في عهد الصحابة إنما أضافها السلف في مقام الرد على الحلولية القائلين بالحلول والاتحاد والمعطلة الذين أثبتوا أن الله استوى على عرشه لكنه استواء: بمعنى الاستيلاء أو لايعلمه إلا الله فيفوضون علمه إلى الله.

فأصبحت هذه اللفظة جزء من معتقد أهل السنة والجماعة في باب الاستواء

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٨٦٥)، وذكره شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٩)، والذهبي في «العلو» (ص١٣٧- مختصره).
وصحح إسناده شيخ الإسلام في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٣٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٩).

والعلو، ومثلها في باب الصفات: «الله فوق العرش بذاته»، «غير مخلوق» في القرآن، «الله في كل مكان بعلمه»، واستعمال لفظ الحقيقة في الصفات الفعلية فيقولون: «استواء حقيقي»، «ونزول حقيقي»، «ومجيء حقيقي».

فما دام أن اللفظة التي لم ترد في النصوص موافقة لما دلت عليه النصوص ومؤكدة لها فلا بأس في إطلاقها لزيادة إيضاح أو لمزيد مخالفة لأهل البدع.

ولما حبس الإمام القاضي هشام بن عبيد الله الرازي رحمه الله (ت:٢٢١) رجلاً في التجهم فجيء به ليمتحنه فقال له: «أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟» فقال: لا أدري ما بائن من خلقه، فقال: «ردوه إنه لم يتب بعد»(١).

وسئل الإمام إسحاق بن راهوية رحمه الله (ت:٢٣٨هـ) عن قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة:٧] فقال: «حيث ما كنت هو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه» ثم ذكر عن الإمام ابن المبارك رحمه الله (١٨١هـ) قوله: «هو على عرشه بائن من خلقه»(٢).

وقيل للإمام أحمد: «الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: «نعم، هو على عرشه، ولا يخلو شيء من علمه» (٣).

---

(١) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» برقم (١٢١٠)، وذكره شيخ الإسلام في «درء التعارض» (٦/ ٢٦٥)وغيره، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص: ١٤٠)، والذهبي في «العلو» برقم (٤١٨)، وشيخنا في «مختصره» برقم (٥٣).

(٢) أخرجه الهروي برقم (١٢٠٨)، وذكره ابن بطة في «الإبانة» برقم (١١٨)، وشيخ الإسلام في «نقض التأسيس» (١/ ٤٣٨)، والذهبي في «العلو» (٤٤٦)، وشيخنا في «المختصر» برقم (٦٧).

(٣) أخرجه ابن بطة (١١٥)، وذكره اللالكائي (٦٧٤)، وابن قدامة في «اثبات صفة

وقال الإمام المزني رحمه الله:«جلت صفاته عن شبه المخلوقين، عالٍ على عرشه بائن عن خلقه»[(١)].

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله (ت:٣١١):«من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته بائن من خلقه فهو كافر؛ يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وأُلقي في مزبلة؛ لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة»[(٢)].

وبوب الامام الحافظ أبو القاسم الطبراني رحمه الله (ت:٣٦٠) في كتابه «السنة»: «باب ما جاء في استواء الله -تعالى- على عرشه بائن من خلقه»[(٣)].

وهذه الكلمة أجمع عليها السلف، كما قال الإمامان الرازيان في مطلع هذا المعتقد الذي سيذكراه.

وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله (ت:٤٣٠هـ):«طريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة ومما اعتقدوه: وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش، واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل، وأن الله

= العلو» برقم (٩٦)، والذهبي برقم (٤٣٨)، وهو في «مختصره» برقم (٦٦).

(١) «شرح السنة» (ص:٧٤)، وذكره الذهبي في «العلو» برقم (٤٦٠)، و«مختصره» لشيخنا برقم (٧٤) .

(٢) أخرجه الهروي برقم (١٢٤٥)، وذكره ابن تيمية في «الدرء» (٦/ ٢٦٤)، وابن القيم في «الصواعق» (٤/ ١٣٠٣)، والذهبي في «العلو» برقم (٤٨٦)، و«مختصره» لشيخنا برقم (١٠٩).

(٣) ذكره الذهبي في «العلو للعلي العظيم» برقم (٥٠٤)، وهو في مختصره لشيخنا برقم (١٢٥).

بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم، وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه»[(١)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «هذا باب واسع لا يحصيه إلا الله، فإن الذين نقلوا إجماع السلف أو إجماع أهل السنة أو إجماع الصحابة والتابعين على أن الله فوق العرش بائن من خلقه لا يحصيهم إلا الله، وما من أحد من هؤلاء المذكورين إلا وشهرته في الإسلام بالعلم والدين أعظم من أن يتسع لها هذا الموضع... وما زال علماء السلف يثبتون المباينة، ويردون قول الجهمية بنفيها»[(٢)].

(كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ): وقد تنوعت دلالات الكتاب على علو الله ﷻ من ستة وجوه:

١- **التصريح بالعلو**: كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى:١].

٢- **التصريح بفوقية الله على خلقه**: كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[الأنعام:١٨]، وقوله:﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[النحل:٥٠].

٣- **التصريح بأنه سبحانه في السماء**: كما في قوله تعالى:﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ [الملك:١٦]، والسماء هنا إما أن تكون بمعنى العلو أو أن

---

(١) ذكره شيخ الإسلام في «الحموية» (ص: ٣٠٥-٣٠٦)، و«درء التعارض» (٦/ ٢٥٢)، وابن القيم في «الصواعق» (٤/ ١٢٨)، والذهبي في «العلو» برقم (٥٢١)، وهو في «مختصره» برقم (١٤١).

(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٣١).

تكون «في» بمعنى «على» وعلى الوجهين فيه تصريح بعلو الله على خلقه.

٤- **التصريح بنزول كلامه منه ﷻ** : كما في قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة:٥]، وقوله:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ [الحجر:٩].

٥- **التصريح بصعود بعض الأشياء إليه**: كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠] وقوله:﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج:٤] وقوله في عيسى عليه السلام:﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء:١٥٨]

٦- **التصريح باستوائه على عرشه -جل وتعاظم-**: وذلك في سبعة مواضع:

١ ،٢- قوله تعالى في سورتي الأعراف ويونس: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:٥٤، يونس:٣] .

٣- قوله:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الرعد:٢].

٤- وقوله:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥].

٥- قوله:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [السجدة:٤].

٦- قوله:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الفرقان:٥٩].

٧- قوله:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الحديد:٤].

◘ وفعل الاستواء في اللغة يأتي على أربعة وجوه[1]:

مطلق: وهو المجرد الذي لم يوصل بحرف، فيكون معناه: كمل وتم، وفيه قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ [القصص:١٤]، وقولهم: استوى النبات، استوى الطعام.

المقيد والمُعَدَّى بـ(إلى)، فيكون معناه: ارتفع وعلا -بإجماع السلف-، ومنه قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت: ١١]، وقوله:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:٢٩]، وقولهم: استوى إلى السطح؛ أي: ارتفع إليه، ومن أهل العلم من يجعله بمعنى: قصد، والأول أولى.

المقيد والمُعَدَّى بـ(على)، فلا يكون معناه إلا: علا وما شابهها كـ: ارتفع وصعد واستقر، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[طه:٥]، وقوله: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [الزخرف:١٣]، وقوله: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ [الفتح:٢٩]، وقوله: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾ [هود:٤٤].

المقرون بواو المعية، فيكون معناه: تساوى، كقولهم: استوى الماء والخشبة.

وهذه الوجوه والمعاني الأربعة لا يأتي معنى فعل الاستواء على غيرها كما ادعاه أهل التعطيل من أن معنى الاستواء: هو الاستيلاء! وعلى هذا كثير من الجهمية والمعتزلة، وكثير من متأخري الأشاعرة والخوارج.

واستدلوا لتحريفهم بأبيات من الشعر، منها: قول الشاعر المجهول:

قد استوى بشرٌ على العراقِ   من غيرِ سيفٍ ولا دمٍ مهراقِ

---

(١) انظر «مختصر الصواعق» (٢/١٢٦-١٢٧).

وقول الآخر:

همـــا اســـتويا بفضـــلهما جميعـــاً   علـــى عـــرش الملـــوك بغـــير زور

◻ والرد على تحريفهم الذي مآله إلى التعطيل من وجوه:

١- هذا التأويل = التحريف، مخالف لتفسير السلف المجمع عليه، فلم يُنقل عنهم -فضلاً عن أحدهم- أنه فسّره بهذا التفسير، وأي قول يخالف إجماع السلف فإما أن يكون خطأً في نفسه أو ظاهر المخالفة للسلف، فيكون أولى بالخطأ منهم.

٢- لم يثبت عند أحد من أهل اللغة أن من معاني الاستواء: الاستيلاء بل هو منكر عند اللغويين.

فهذا لغوي زمانه أبو عبد الله ابن الأعرابي (ت٢٣١) أتاه رجل فقال:«يا أبا عبد الله ما معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[طه:٥]، قال:«هو على عرشه كما أخبر».

فقال الرجل: ليس كذاك، إنما معناه: استولى، فقال:«اسكت ما يدريك ما هذا؟ العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فإيهما غلب قيل: استولى، والله -تعالى- لا مضاد له، وهو على عرشه كما أخبر»، ثم قال: «الاستيلاء بعد المغالبة، قال النابغة:

إلا لمثلـــكَ أو مـــن أنـــتَ ســـابقهُ   ســبقَ الجــوادِ إذا اســتولى علــى الأمــدِ[1]

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٧٩)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (٥/ ٢٨٣)، واللالكائي برقم (٦٦٦)، وابن قدامة في «العلو» (١٠٥)، وذكره الذهبي في «العلو» (٤٥٤)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص:٢٦٥).

٣- مخالف لظاهر اللفظ، لأن فعل الاستواء إذا تعدى بـ«على» لا يخرج معناه عن العلو والارتفاع والاستقرار البتة، وما كان خلاف الظاهر لا يرجع إليه إلا بدليل، ولا سيما في الأمور الغيبية المحضة.

٤- لو كان معنى الاستواء هو الاستيلاء على العرش فلِمَ يتأخرُ إلى ما بعد خلق السموات والأرضَ؟ وقد كان العرش مخلوقاً قبل السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

فكيف يجوز أن يكون العلي القدير غير قادر على العرش إلى أن خلق السموات والأرض! فهل كان لغير الله؟

٥- الاستيلاء في اللغة معناه: المغالبة، والله –سبحانه- لا يعجزه شيء، والعرش لا يغالبه بحال.

٦- لو كان معنى الاستواء هو الاستيلاء لجاز مع استواء الله على العرش أن يكون مستوياً على الأرض وعلى الهواء وجميع المخلوقات، لأنه ﷻ قادر عليها جميعها، وهذا باطل.

أما استدلالهم بهذا البيت ونظيره، فالرد عليه من وجوه:

١- إنهم عدلوا عن أكثر من ألف دليل من التنزيل على استواء الله على عرشه إلى بيت ينسب إلى بعض العلوج ليس على دين الإسلام!

٢- لا سند لهذا البيت، ولم ينقله إلا المتأخرون من أهل الكلام في مصنفاتهم!

٣. لا يعلم قائل هذا البيت! ونحن لا نقبل الحديث الذي فيه راو مجهول، وليس هو في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع إليها حتى الأخطل النصراني الذي ينسب إليه البيت لم يوجد في ديوانه!

٤- لو علم قائله، فمتى قاله؟ وقد تغير اللسان بعد الفتوحات.

٥- الاستواء في البيت ليس هو الاستيلاء بل هو علو الغلبة والقهر، ولو كان الاستيلاء لكان المستوي على العراق عبد الملك بن مروان لا أخوه بشر! لأن بشراً إنما كان والياً عليها ولم يكن ينازع أخاه المُلك.

٦- هذا بيت مصنوع، وقد طعن فيه أئمة اللغة أو لعله محرف وأصله: قد استوى بشر على العراق.

أما احتجاجهم بتفسير ابن عباس ﵄ لقوله تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[طه:٥]، بقوله:«استولى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان».

فهو أثر مكذوب، ورواته مجهولون وضعفاء [(١)].

والعجيب أن المعطلة الذين حرفوا معنى الاستواء أطلقوا على مذهبهم: الخلف، وأطلقوا على مذهبهم الآخر -تفويض المعنى-: مذهب السلف، ليصلوا في كلتا الحالتين إلى تعطيل صفة الاستواء، إما بالتحريف أو التفويض لمعناها.

مع أن السلف -رحمهم الله- إنما فوضوا الكيفية لا المعنى.

وحقيقة القول بالتفويض أن الله أنزل كلاماً لا معنى له، وتجهيل الرسول ﷺ، فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن لا يعقل النبي ﷺ معناه بل هو مجرد كلام يقوله، وفيه القدح في حكمة الله ﷻ، واغلاق باب التدبر لكتابه العظيم، بالإضافة إلى الوقوع في التعطيل المحض.

وصدق القائل:

---

(١) انظر «التمهيد» (٧/ ١٣٢).

ومـــن يكـــن الـــوحي المطهـــر علمـــه فـــلا ريـــب في توفيقـــه واهتدائـــه
ومـا يسـتوي تـالي الحـديث ومـن تلـى زخـــارف مـــن أهوائـــه وهذائـــه

(وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ): وذلك في أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر[1] دلت على إثبات العلو والاستواء له ﷻ منها:

قوله ﷺ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[2].

وقوله ﷺ: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[3] أي: ارحموا من على الأرض يرحمكم من على السماء.

وقوله ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا، فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ-: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[4].

قال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله: -معلقاً على هذا الحديث-: «وفي الخبر ما بان وثبت وصح أن الله ﷻ في السماء، وأن الملائكة تصعد إليه من الدنيا، لا كما

---

(١) كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «الحموية» (ص:٢٠٢)، وشيخنا الإمام الألباني في «مختصر العلو للعلي العظيم» (ص:٥١)، وانظر «الصواعق» (١/ ٣٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٤٤)(١٠٦٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٠)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وصححه شيخنا في «الصحيحة» (٩٢٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٥، ٣٢٢٣، ٧٤٢٩)، ومسلم (٢١١).

زعمت الجهمية المعطلة: أن الله في الدنيا كهو في السماء، ولو كان كما زعمت لتقدمت الملائكة إلى الله في الدنيا، أو نزلت إلى أسفل الأرضين إلى خالقهم»(١).

وفي خطبة حجة الوداع يوم عرفة كان ﷺ يرفع أصبعه السبابة إلى السماء وينكتها إلى الناس ويقول:«**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»(٢).

وقوله ﷺ للجارية:«**أَيْنَ اللهُ؟**»، قالت: في السماء، قال:«**مَنْ أَنَا؟**»، قالت: أنت رسول الله، قال:«**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(٣).

ومن أنكر هذا السؤال -وهو أين الله- من المعطلة فقد زعم أنه أعلم بالله من رسوله ﷺ.

قال الإمام الذهبي رحمه الله (ت:٧٤٨هـ):«ففي الخبر مسألتان: إحداهما: شرعية قول المسلم: أين الله، وثانيهما: قول المسؤول: في السماء، فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى ﷺ»(٤).

وقد اتهموا النبي ﷺ بالعجز والجهل وعدم البلاغة لما قالوا: إن معنى (أين الله): (من الله؟!)، فالله المستعان.

قال ابن القيم:

ويقول أين الله يعني (من) بلفظ الـ(أين) هل هذا من التبيان

---

(١) «كتاب التوحيد» (٢/ ٨٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٧)، ومالك (٢/ ٧٧)، وأحمد (٥/ ٤٤٧-٤٤٨)، وأبو داود (٩٣، ٣٢٨٢)، والنسائي (١٢١٨)، وغيرهم كثير، وانظر «إرواء الغليل» (٣٩٠).

(٤) «العلو للعلي العظيم» (ص٨١- مختصره).

وقد حكم النبي ﷺ لهذه الجارية بالإيمان؛ لمجرد إقرارها بأن الله في السماء، وأن محمداً ﷺ هو رسول الله.

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله:«ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عز وجل في السماء دون الأرض فليس بمؤمن، ولو كان عبداً فأعتق لم يجز في رقبة مؤمنة، إذ لا يعلم أن الله في السماء، ألا ترى أن رسول الله جعل أمارة إيمانها: معرفتها أن الله في السماء»(١).

وقد زعم حامل لواء التجهم والتعطيل في العصر الحديث محمد زاهد الكوثري أن راوي هذا الحديث -وهو الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السُّلمي- روى هذا الحديث بالمعنى! فأتى بطامة، وقد حاول أمثاله من المعاصرين رد هذا الحديث بأي طريقة سواء بتضعيفه أو تحريفه بشتى أنواع التحريف!

(بِلاَ كَيفٍ): أي: بلا كيف يعقله البشر، لأن الكيف مجهول للعباد، انفرد الله بعلمه، وكما لا يعلم العبد حقيقة ذات الله لا يعلم كيفية صفاته تعالى، ومع تقرب ما بين المخلوق والمخلوق لا يعرف العبد كيفية وتفاصيل ما يكون في اليوم الآخر إلا بما أعلمه الله، فعجزه عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم ومن باب أولى، ولله المثل الأعلى.

فالعقل قد يئس من تعرف كنه صفات الله وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله وصفاته إلا الله، مع علم أصحاب العقول بمعاني صفاته جل جلاله، فالكيفية شيء وراء المعنى وزائد عليه(٢).

---

(١) «الرد على الجهمية» (ص١٧).

(٢) انظر«مدارج السالكين» (٣/ ٣٥٩).

وعليه؛ فالواجب فيما أخبر الله به ورسوله ﷺ: تصديقه والإيمان به وما دل عليه، سواء أدركه العبد بعقله، أو لم يدركه، فإن كثيراً من السمعيات والغيبيات فوق عقول العقلاء لا تهتدي إليها، ولا سبيل لها إليها، فإن الشرع يأتي بما يعجز العقل عن دركه، لأن للعقول حداً تنتهي إليه لا تتعداه، فالعقول لا تدرك كل ما جاء به الرسول ﷺ، ولو أدركته لاستغنوا عن الرسول ﷺ وما جاء به، والعقول لا تدرك ما وراء المشاهد وما غُيب عنها، إلا بما أعلمها الله، فكما أن العبد لا يستطيع أن يعلم حقيقة ذات الله؛ لا يستطيع أن يعلم كيفية صفات الله[1].

والتكييف: مأخوذ من الكيف، وهو الهيئة والماهية.

والتكييف في الصفات: حكاية كيفية معينة للصفات، أو السؤال عنها بكيف.

وقد أثر نفي التكييف والنهي عنه عن كثير من السلف، فمن ذلك:

قصة الإمام مالك لما سأله رجل عن كيفية استواء الله على عرشه غضب رحمه الله وأطرق رأسه واحمر وجهه وعلاه الرحضاء (العرق الشديد) وقال قولته المشهورة: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء صاحب بدعة» وأمر بإخراجه[2].

وقوله هذا مما أجمع عليه السلف وتلقوه بالقبول سنداً ومتناً رواية ودراية،

---

(١) باختصار من رسالتي «العقل، ومنزلته في الإسلام» -الطبعة الثانية.

(٢) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٠٤)، واللالكائي (٦٦٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٥-٣٠٦)، والصابوني (ص٤٥-٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥-٣٢٦)، وأورده ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٤٩)، والذهبي في «العلو» (٣٤٤)، وشيخنا في «المختصر» (ص:١٤١).

وصح نحوه عن شيخه الإمام ربيعة بن أبي عبد الرحمن (ربيعة الرأي) رحمه الله (ت:١٣٦هـ) .

وقوله رحمه الله :«الاستواء غير مجهول»: أي غير مجهول المعنى في اللغة، ومعناه: العلو والارتفاع والاستقرار.

وقوله:«الكيف غير معقول» للبشر، ولكنه معلوم لله عز وجل فلاستواء الله عز وجل كيفية، ولكنها مجهولة لنا، فلا نستطيع إدراكها بعقولنا، ولم يخبر الله عنها ولم يرد بها توقيف، ولا سبيل إلى معرفتها بغير توقيف فوجب الكف عن السؤال عنها.

وكيفية الصفات مجهولة للعباد لثلاثة وجوه:

١- الله أخبر أنه استوى، ولم يخبر عن كيفية ذلك.

٢- إذا كنا لا نعلم كيفية ذات الله عز وجل، فكذلك لا نعلم كيفية صفاته، لأن العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الموصوف.

٣- لا نعلم كيفية الشيء إلا بأحد ثلاثة أمور وهي: مشاهدته، أو مشاهدة نظيره أو الخبر الصادق عنه، وكل ذلك منتف في كيفية استواء الله على عرشه وغيره من الصفات.

وقوله:«الإيمان به واجب»: على الوجه اللائق بالله -جل وتعاظم-، والإيمان به وتصديقه واجب لإخبار الله عز وجل به عن نفسه، وهو أعلم بنفسه وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً، فمن جحده فقد كفر؛ يرد خبر الله في سبعة مواضع من كتابه.

وقوله:«والسؤال عنه بدعة»: أي: السؤال عن كيفيته بدعة، وما أجاب به الإمام مالك هنا في صفة الاستواء عام في جميع الصفات، ووجه كون السؤال عن كيفية صفات الله بدعة ثلاثة أمور:

الأول: أنه لم يرد عن الصحابة رضوان الله عليهم مع شدة حرصهم فيما يتعلق بربهم، مع وجود المجيب ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم:٤]، فما دام السبب موجوداً والمانع مفقوداً علم أنه بدعة.

الثاني: أنه من سمات أهل البدع الخائضين في الله وصفاته

قال الإمام مالك ﵀:«إياكم والبدع» قيل: يا أبا عبد الله: وما البدع قال:«أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته.. ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»[(١)].

الثالث: أنه مما لا سبيل إلى علمه والإجابة عليه!!

ولقد حرف المفتري محمد زاهد الكوثري مقالة الإمام مالك هذه تحريفاً لفظياً فقال:«الكيف مجهول، والاستواء غير معقول» فنفى المعنى والكيفية.

ولم يكتفِ بذلك بل حرفها تحريفاً معنوياً فقال: قوله:«الاستواء معلوم» أو «غير مجهول»: معناه: معلوم الورود في القرآن!! وحاول بعضهم تضعيف إسناد هذا الأثر ولكنه لم يفلح.

ورحم الله القائل:

الحق شمس والعيون نواظر لكنها تخفى على العميان

فسبيل اتباع السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) واضح ونهجهم لائح ولكنه اتباع الهوى:

---

(١) ذكره البغوي في «شرح السنة» (١/ ١٨٨)، والسيوطي في «صون المنطق» (ص:٥٧).

ونهـج سـبيلي واضـح لمـن اهتـدى ولكنـها الأهـواء عمَّـت فأعمـت

عن الوليد بن مسلم (ت: ١٩٥هـ) رحمه الله قال: «سألت مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي، عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا: «أمروها كما جاءت بلا كيف»[١].

وقال الإمام أبو داود الطيالسي رحمه الله (ت: ١٦٠هـ): «وكان سفيان الثوري، وشعبة وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وشريك، وأبو عوانة، لا يحدون ولا يشبهون، ولا يمثلون، يروون الحديث لا يقولون: كيف؟ وإذا سئلوا أجابوا بالأثر»[٢].

وسئل الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله عن أحاديث الصفات فقال: «تمر كما جاءت بلا كيف»[٣].

وقال الإمام وكيع بن الجراح رحمه الله (ت: ١٩٧هـ): «نسلم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف كذا؟ ولم جاء كذا؟»[٤].

---

(١) أورده البغوي في «شرح السنة» (١/ ١٧٧)، والأصبهاني في «الحجة» (١/ ١٧٥)، وأخرجه اللالكائي (٨٧٥)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ١٢٣)، والآجري (٥٧٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٣٤-٢٨٣).

(٣) أخرجه القاضي أبو يعلى في «إبطال التأويلات» (١/ ٥٣) برقم (٣٠).

(٤) أخرجه عبد الله برقم (٤٩٥)، وغيره، وصححه شيخنا في «مختصر العلو» (ص: ١٦٩).

وقال:«تمر كما جاءت بلا كيف»[١].

وسئل الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله عن أحاديث الصفات فقال:«هي كما جاءت، نقر بها ونحدث بها بلا كيف»[٢].

وقولهم -رحمهم الله-:«أمروها كما جاءت»: يقتضي إثبات هذه الصفات والأحاديث الدالة عليها كما وردت من غير تعطيل؛ فهو رد على المعطلة.

وقولهم:«بلا كيف»: يقتضي تنزيهها عن التمثيل المفضي إليه طلب كيفية الصفات؛ فهو رد على الممثلة المكيفة.

وقولهم هذا دال على إثباتهم لمعنى الصفات، فلو كانوا لا يثبتون المعنى لما احتاجوا إلى نفي الكيفية، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول وليس مرادهم بـ «أمروها كما جاءت» مجرد ذكرها من دون فهم لمعانيها بدليل قولهم: «بلا كيف» فهو نفي للعلم بالكيفية ليس نفياً لحقيقة الصفة[٣]، فمعاني الصفات بينة معروفة في اللغة مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه.

ومن هنا، جمع نهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات بين التنزيه والإثبات، فيثبتون من غير تكييف ولا تمثيل، وينزهون من غير تحريف ولا تعطيل.

وقال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله (ت١٨٧هـ):«ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف، لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[الإخلاص:١-٤]، فلا صفة أبلغ مما

---

(١) أخرجه أبو يعلى (١/ ٥٤- برقم٣٣).

(٢) أخرجه اللالكائي (٥٠٤)، وصححه شيخنا (ص١٦٥).

(٣) انظر «الفتوى الحموية» لشيخ الإسلام (ص٢٥).

وصف الله ﷻ نفسه..»[١].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:«حرام على العقول أن تمثل الله -تعالى-، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تفعل إلا ما وصف به نفسه أو على لسان رسوله ﷺ»[٢].

وقال الإمام أحمد رحمه الله:«استوى كما ذكر، لا كما يخطر للبشر»[٣].

وقال الإمام الدارمي رحمه الله (ت:٢٨٠هـ):«وصدق مالك، لا يعقل منه كيف، ولا يجهل منه استواء»[٤].

وقال خطيب أهل السنة ابن قتيبة رحمه الله (ت:٢٧٦):«نحن لا ننتهي في صفاته ﷻ إلا حيث انتهى إليه رسول الله ﷺ، ولا ندفع ما صح عنه، لأنه لا يقوم في أوهامنا ولا يستقيم على نظرنا، بل نؤمن بذلك من غير أن نقول فيه بكيفية وحَدٍ»[٥].

وقال الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله (ت:٤٣٦):«وأما الكلام في الصفات، فإن ما روي منها في السنن مذهب السلف إثباتها، وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله [وهم المعطلة].

---

(١) أورده شيخ الإسلام في «درء التعارض» (٢/ ٢٣-٢٤).

(٢) أورده ابن قدامة في «ذم التأويل» برقم (٣٤)، وشيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٦٠٥).

(٣) أورده الإمام مرعي الكرمي في «أقاويل الثقات» (ص:١٢١).

(٤) «الرد على الجهمية» (ص٣٣).

(٥) «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة» (ص٤٠).

وحققها قوم من المثبتين [وهم الممثلة]، فخرجوا إلى ضروب من الشبه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة، ودين الله بين الغالي والمقصر عنه..»[(١)].

وقد خاض بعض فرق الممثلة في تكييف صفة استواء الله على عرشه:

فمن تلك الفرق:

«**الهشامية**» اتباع هشام بن الحكم الرافضي (ت:١٩٠) القائل:«إن الله مماس للعرش، وأن العرش قد -حواه وحده» وقول بعض أتباعه:«إن الباري قد ملأ العرش، وأنه مماس له»[(٢)].

ومنها:«**الجواربية**» اتباع داود الجواربي القائل:«إن الله مماس للعرش ملاقٍ له»[(٣)].

ومنها:«**الكرّامية**» اتباع ابن كرام (ت: ٢٥٥) القائل:«إن الله مماس للعرش من الصفحة العليا»، والقائل:«له حد من الجانب الذي ينتهي إلى العرش، ولا نهاية له»[(٤)].

وقد تعددت أقوال الكرامية في كيفية الاستواء، فمنهم من يقول: إن الله على بعض أجزاء العرش! ومنهم من يقول: إن العرش مكان لله ﷻ، وأن العرش امتلأ به!

---

(١) أورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٨٣-٢٨٤).

(٢) انظر «نقض التأسيس» لشيخ الإسلام (١/ ٤٠٠-٤٠١).

(٣) انظر «التبصير في الدين» (ص:١١٢).

(٤) انظر «الفرق بين الفرق» (ص:١٩٨).

ومنهم من يقول: إنه لو خلق بإزاء العرش عروشاً موازية لعرشه لصارت العروش كلها مكاناً له لأنه أكبر منها كلها! [1].



(١) انظر «الملل والنحل» (١/ ١٤٤- وما بعدها).

إحاطة علم الله بكل شيء

📖 ([٨] أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً):

أعقب الشيخان إحاطة علم الله بكل شيء بعد كلامهما حول الاستواء والعلو وإثباتهما للدلالة على الجمع بينهما.

فمع علو الله على عرشه فوق مخلوقاته، هو محيط بهم جميعاً، عالم بأحوالهم، يسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر أمورهم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يعزب عن علمه شيء، يعلم السر وأخفى، يعلم ما أكنته الصدور وما توسوس به النفوس، وما فوق السموات العلى وما تحت الثرى، عالم الغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، ولا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضا وسبق علمه به، عَلِم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره، فلا يخلو عن علمه مكان ولا زمان.

قال الإمام مالك رحمه الله: «الله ﷻ في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه مكان»[١].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «هو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان»[٢].

---

(١) أخرجه عبد الله برقم (١١)، وابن مندة في «التوحيد» (٨٩٣)، وابن بطة (١١٠)، واللالكائي (٦٧٣)، والآجري (٦٩٥)، وذكره ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٤٣)، والذهبي في «العلو» (٣٤٣).

(٢) «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص:٤٩).

وقال الحافظ ابن عبد البر:«أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حُمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[المجادلة:٧]: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يُحتجّ بقوله»[1].

قال ابن القيم:

وهو العليم أحاط علماً بالذي	في الكون من سرٍ ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه	فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غداً وما	قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان	كيف يكون ذا إمكان

وفي هذا رد على الحلولية من الجهمية وغيرهم القائلين بأن الله حال في المخلوقات متحد معها مختلط بها.

عن أنس رضي الله عنه قال: أصابنا مطر ونحن مع رسول الله ﷺ فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: لم صنعت هذا؟ قال:«**لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى**»[2].

قال الإمام الدارمي -معلقاً-:«ولو كان [الله] على ما يقول هؤلاء الزائغة في كل مكان، ما كان المطر أحدث عهداً بالله من غيره من المياه والخلائق»[3].

وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠].

---

(١) «التمهيد» (٧/ ١٣٨-١٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٨٩٨).

(٣) «الرد على الجهمية» تحت (رقم ٧٦).

وقوله جل ذكره: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء:١٠٨].

وقوله -عظم شأنه-: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ [النساء:١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:١٩].

وقوله -تبارك وعز-: ﴿ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود:٩٢].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ [البروج:٢٠].

فالله ﷻ محيط بكل شيء علماً وقدرة ورحمة وقهراً من فوق عرشه من فوق سبع سماواته مباين لها عال عليها.



نفي التمثيل عن الله ﷻ

[٩] ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١].

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ : لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ لأن الصفات تابعة لموصوفها، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقات.

وقوله تعالى: ﴿ شَىْء ﴾: نكرة في سياق النفي فتعم كل شيء.

والتمثيل في الصفات: هو المبالغة في إثبات الصفات لله إلى حد تسويتها بصفات المخلوقين.

أما الفرق بين (التمثيل) و(التشبيه) فمن وجوه:

١- التمثيل: ذكر مماثل للشيء من كل وجه في الذات أو الصفات أو الأفعال.

والتشبيه: هو ذكر مشابه للشيء يساويه من أغلب الوجوه في الذات أو الصفات أو الأفعال.

٢- التمثيل: لفظ متعين للدلالة على نفي الباطل.

والتشبيه: هو لفظ محتمل مجمل مشترك بين الحق والباطل.

ومن هنا أدرج المعطلة في (التشبيه) معاني باطلة فجعلوا إثبات الصفات لله هو التشبيه الذي يجب نفيه؛ وسموا من أثبتها: مشبهاً مجسماً.

٣- التمثيل: ورد نفيه صريحاً في كتاب الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[الشورى:١١].

أما التشبيه: فلم يرد نفيه أو إثباته لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ، فمن ثمَّ صار التعبير بنفي التمثيل أولى من التعبير بنفي التشبيه.

أما اتفاق المسميات بين الخالق والمخلوق في بعض الأسماء والصفات فليس هو التمثيل الذي نفته الأدلة السمعية والعقلية، فاشتراك الخالق والمخلوق في أصل المعنى الذي وضعت الصفة أو الاسم للدلالة عليه في لغة العرب لا يقتضي المماثلة كما تصور أهل البدع من الممثلة والمعطلة.

وهذا ما شهدت الأدلة به: قال تعالى عن نفسه ﴿ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، وسمى تحية المؤمنين بينهم سلاماً في الجنة فقال:﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، وأخبر عن نفسه بأنه سميع بصير فقال:﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، وقال عن الإنسان:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان:٢]، وأخبر عن نفسه فقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ووصف المخلوق بالحياة فقال: ﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [الروم:١٩].

وقال عن نفسه: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال عن المخلوقين: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥]،وقال عن نفسه: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤].

وقال عن المخلوق: ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف:٥٤].

ثم إننا نشاهد في المخلوق ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية،

فللإنسان يد ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم ومع كون كلٍ منهما مخلوقاً.

وقد أخبر الله عن طعام أهل الجنة وشرابهم ولباسهم وزوجاتهم ومساكنهم وفاكهتهم، وهذه في الاسم موافقة لما في الدنيا من حيث المعنى، لكنها مخالفة لها في الحقيقة.

◘ وأول من قال بالتمثيل من الطوائف: البيانية أتباع بيان بن سمعان الشيعي المقتول سنة (١١٩هـ) الذي ظهر في أوائل القرن الثاني الهجري، الذي زعم أن الله رجل من نور على صورة إنسان يهلك كله إلا وجهه، وأن جزءاً الهياً حل في علي وغيره من بعده -تعالى الله عن قوله علواً كبيراً-، وقد قتله خالد بن عبد الله القسري[1].

وأول من قال بالتجسيم: هشام بن الحكم الرافضي[2].

فأول ما ظهر التمثيل إنما ظهر وصدر عن أصناف من الروافض الغلاة، وقد ظهرت بدعة القول بالتمثيل في مقابل بدعة القول بالتعطيل ولمضادتها، فهو مواجهة للغلو بمثله، فالمعطلة أتوا من قبل الغلو في التنزيه، وقابلتهم الممثلة بالغلو في الإثبات والمبالغة فيه.

◘ وإن من اللوازم الباطلة على مذهب التمثيل:

١- اجتماع النقيضين بأن يكون الأزلي محدثاً والمحدث أزلياً.

---

(١) انظر «مقالات الإسلاميين» (١/ ٦٧)، و«الفرق بين الفرق» (ص:٢١٦)، و«الفصل» لابن حزم (٥/ ٤٤)، و«تلبيس إبليس» (ص:٨٦).

(٢) انظر «منهاج السنة» (١/ ٧٣)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ١٨٦).

٢- ويلزم منه أنْ لا خالق ولا مخلوق لأنهما متماثلان.

٣- ويلزم منه أن يجوز على الخالق ﷻ من النقائص ما يجوز على المخلوق، ويجب عليه ما يجب على المخلوق، ويستحيل عليه ما يستحيل على المخلوق، فإن تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصاً مثله.

٤- ويلزم منه تماثل الخالق والمخلوق في الصفات والأسماء والتماثل بينهما في الذات بأن يكون كل من الخالق والمخلوق عين الآخر وهو مذهب الاتحادية.

وإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

وقد كثرت أقوال السلف في إثبات الصفات والنهي عن التمثيل وتكفير الممثلة، ومن ذلك:

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «.. وتثبت هذه الصفات، وينفى عنه التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾»[1].

وسئل رحمه الله عن صفة الاستواء فقال: «آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي عن الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه غاية الإدراك»[2].

وقال الإمام نعيم بن حماد الخزاعي -شيخ البخاري- (ت:٢٢٨): «من شبه الله بخلقه؛ فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه؛ فقد كفر، وليس [في] ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه»[3].

---

(١) ذكره ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٨٢)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص:٥٥)، والذهبي في «السير» (١٠/ ٧٩-٨٠).

(٢) أورده مرعي الكرمي في «أقاويل الثقات» (ص:١٢١).

(٣) أخرجه اللالكائي (٩٣٦)، وذكره شيخ الاسلام في «مجموع الفتاوي» (٢/ ١٢٦)،

وقال الإمام إسحاق بن راهوية رحمه الله (ت٢٣٢هـ): «من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله، فهو كافر بالله العظيم»[(١)].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث»[(٢)].

وقال إمامنا أبو زرعة الرازي رحمه الله: «لا يقال نفس كنفس؛ لأنه كفر، وقال تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥]، «.. ولا يقال: يد مثل يد، ولا يد كيد؛ لأنه كفر، ولكن نؤمن بهذا كله»[(٣)].

وقال الإمام أبو العباس ابن سريج رحمه الله (ت: ٣٠٦هـ): «لا نقول بتأويل المعتزلة، والأشعرية، والجهمية الملحدة، والمجسمة، والكرامية المكيفة، بل نقبلها بلا تأويل، ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول بها سنة، وابتغاء تأويلها بدعة»[(٤)].

وقال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: «عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقال المعطلين»[(٥)].

= الذهبي في «العلو» برقم (٤٢٩)، وفي «السير» (٦١٠/١٠)، وصححه شيخنا في «المختصر» (ص١٨٤).

(١) أخرجه اللالكائي برقم (٩٣٧).

(٢) ذكره شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٦/٥).

(٣) أخرجه ابن مندة في «التوحيد» (٣٠٩/٣).

(٤) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٦٤).

(٥) «كتاب التوحيد» (٢٦/١).

وقال الإمام عبد الغني المقدسي رحمه الله (ت: ٦٠٠هـ):«صالح السلف، وخيار الخلف، وسادة الأئمة، وعلماء الأمة اتفقت أقوالهم وتطابقت آراؤهم على الإيمان بالله عز وجل، وأنه واحد فرد صمد حي قيوم سميع بصير، لا شريك له ولا وزير، ولا شبيه ولا نظير، ولا عدل ولا مثل.. فآمنوا بما قال الله -سبحانه- في كتابه وصح عن نبيه، وأمروه كما ورد من غير تعرض لكيفية، أو اعتقاد شبهة أو مثلة، أو تأويل يفضي إلى التعطيل، وسعتهم السنة المحمدية، ولم يتعدوها إلى البدعة المردية الردية، فحازوا بذلك الرتبة السنية والمنزلة العلية»[1].

قال ابن القيم رحمه الله:

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا ... إن المشبه عابد الأوثان

من شبه الله العظيم بخلقه ... فهو الشبيه لمشرك نصراني

أما الفرق بين (التمثيل) و(التكييف) ففيه ثلاثة أقوال:

١- أن بينهما فرقاً، وهو أن:

التكييف: جعل الشيء على حقيقة معينة من غير تقييدها بمماثل، وهو مختص بالصفات.

التمثيل: جعل الشيء على حقيقة معينة تماثل صفات المخلوقين، ويكون في القدر والصفة والذات.

٢- أنهما متلازمان: فكل ممثل مكيف وكل مكيف ممثل، وهذا قول مبني على أنه مهما تصور المكيف كيفية شيء فلن يخرج عن المشاهدات فهو بهذه ممثل، أما

---

(١) «عقيدته» (ص: ٣٨-٣٩).

الممثل فهو يكيف الممثل بكيفية معينة.

٣- **أن التكييف أعم من التمثيل:** فكل تمثيل تكييف وليس كل تكييف تمثيلاً، لأن من التكييف ما ليس فيه تمثيل بصفات المخلوقين كقول المكيفة:«طول الله كعرضه» -تعالى الله عن ذلك-، ولأن التكييف يشمل التكييف بالمشاهدات وهذا هو التمثيل، ويشمل التكييف بما يغاير المشاهدات.

وكلها أقوال لها وجهها، والله أعلم.

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ :

﴿ ٱلسَّمِيع ﴾: سمع الله -جل ذكره- نوعان:

١- سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، والخفية والجلية، وإحاطته التامة بها.

وهذا النوع في القرآن على ثلاثة أقسام:

- بيان عموم إدراك سمع الله، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[المجادلة:١]، وهذا السمع من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الذات، وإن كان المسموع قد يكون حادثاً، وهذا النوع من السمع يتعدى فعله بنفسه.

- سمع النصر والتأييد: كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦]، وهذا السمع من الصفات الفعلية المقترنة بسبب.

- سمع الوعيد والتهديد: كما في قوله ﷻ: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف:٨٠].

٢- سمع الإجابة منه تعالى للسائلين والداعين: ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم:٣٩]، وقول المصلي:«سمع الله لمن حمده» أي: استجاب لمن حمده ودعاه، وهذا النوع من السمع يتعدى بِـ«اللام» وبـ«من».

فهو ﷻ السميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات والأصوات سرها وعلنها، لا تختلط عليه الأصوات ولا تخفى عليه جميع اللغات، ولا يشغله سمع عن سمع.

قالت عائشة ﵂ :«الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، ولقد جاءت المجادلة تشتكي إلى رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت، وإنه ليخفى عليَّ بعض كلامها، فأنزل الله ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ.. ﴾»[1].

(﴿ ٱلْبَصِيرِ ﴾) : الذي أحاط بصره بجميع المبصَرات في أقطار الأرض والسموات جليها وخفيها، قريبها وقصيّها ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩].

قال الله -تعالى-:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء:٥٨]، وقال:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء:١٣٤]، وقال: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج:٦١]، والآيات التي جمعت بين (السمع) و(البصر) كثيرة شهيرة.

وقد قال ﷺ:«أَيُّهَا النَّاسُ؛ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ

---

(١) علّقه البخاري (١٣/ ٣٨٤- فتح) بصيغة الجزم، ووصله أحمد (٦/ ٤٦)، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨، ٢٠٦٣)، وغيرهم، بإسناد صحيح، وصححه شيخنا في «الإرواء» (٧/ ١٧٥)، و«ظلال الجنة» (٦٢٥).

غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيباً»[(١)] أي: ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم، فإن ربكم الذي تدعونه ليس أصماً لا يسمع، ولا غائباً لا يرى بل هو سميع قريب يرى أفعالكم ويسمع ذكركم.

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو السميع يرى ويسمع كل ما في	الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر	فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا	يخفى عليه بعيدها والداني
وهو البصير يرى دبيب النملة السـ	وداء تحت الصخر والصوان
ويرى مجاري القوت في أعضائها	ويرى نياط عروقها بعيان
ويرى خيانات العيون بلحظها	ويرى كذاك تقلب الأجفان

ولقد جمعت هذه الآية: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١]، بين الإثبات والتنزيه.

فقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾: رد على الممثلة والمجسمة الغالية في الإثبات.

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾: رد على المعطلة النفاة الغالية في التنزيه.

قال الإمام الدارمي رحمه الله:«أو لم تسمع أيها المريسي قوله الله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

شَىْءٌ ﴾، وكما أنه ليس كمثله شيء؛ فليس كسمعه سمع، ولا كبصره بصر، ولا هما عند الخلق قياس ولا مثال ولا شبيه..»[١].



(١) «النقض على بشر المريسي» (ص٤٥).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكن الله الفردوس

إثبات رؤية المؤمنين ربهم بأبصارهم يوم القيامة

([١٠] واللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالى- يُرَى في الآخِرَةِ، ويَرَاهُ أَهْلُ الجَنَّةِ بِأَبصَارِهِمْ) :

من أصول أهل السنة والجماعة: إثبات رؤية المؤمنين لربهم بالأبصار في دار القرار، والتنعم برؤيته، وهذا الاعتقاد ثابت في الكتاب والسنة المتواترة(١)، ومما أجمع عليه سلف الأمة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢].

وهذه الآية أصرح آيات القرآن الدالة على إثبات الرؤية -وكلها صريحة- فهي تنادي برؤية هذه الوجوه الحسنة البهية لربها عياناً، رؤية بصرية بأعين رؤوسها، وحق لهذه الوجوه أن تنضّر وهي تنظر إلى بارئها -تبارك وتعالى-.

لأن فعل النظر في هذه الآية عدي بـ«إلى» فيكون معناه: المعاينة بالبصر والمشاهدة .

ولفعل النظر ثلاث حالات:

١- إذا عدي بنفسه، فيكون معناه: الانتظار: ومنه قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ

---

(١) قال الناظم:

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتاً واحتسب
ورؤية شفاعةٌ والحوضُ ومسح خفين وهذي بعضُ

أن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الأنعام:١٥٨]، وقولـه:﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الروم:٩]، وقولـه: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد:١٣].

٢- إذا عدي بـ«في» فيكون معناه: التفكر والاعتبار، ومنه قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:١٨٥]، وقولـه: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴾ [الصافات:٨٨].

٣- إذا عدي بـ«إلى» فيكون معناه: المعاينة بالأبصار كما هنا، وكما في قوله تعالى:﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ [الأنعام:٩٩].

بل إن فعل النظر هنا في الآية قد أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر، ومثله في قوله تعالى:﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:١٤٤].

ولا يمكن أن يكون النظر في الآية نظر التفكر والاعتبار، لأنه أولاً: لم يعدى بـ«إلى»، ولأن الآخرة ليست بدار استدلال وتفكر واعتبار.

ولا يمكن أن يكون النظر فيها: نظر الانتظار، لأنه أولاً : لم يعدى بنفسه، ولأن الآية في مقام الامتنان والبشارة على المؤمنين من أهل الجنة، والانتظار فيه التنغيص والتكدير، وبذا تظهر دلالة الآية على رؤية الله بالعين الباصرة.

ولقد زعمت المعتزلة أن معنى قوله تعالى: ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾: منتظرة ثواب ربها ونعمته، فحرفوا معنى الرؤية إلى الثواب! وحرفوا معنى النظر إلى الانتظار! وزعم بعض الأشاعرة أن الرؤية هنا بالبصيرة لا بالبصر! فنسأل الله أن يحرمهم هذا النعيم لجحدهم له.

وقولـه تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦]، أي الحسنى وهي

الجنة، وزيادة على الحسنى بالنظر إلى وجه الله الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ [(١)]، وجمع من أصحابه والتابعين.

وقوله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق:٣٥] فلهم زيادة على ما يشاء ويشتهون: وهي النظر إلى وجه الله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ ﴾ [المطففين:٢٢-٢٣]: ينظرون إلى ما يتنعمون بالنظر إليه، وأعظمه النظر إلى الله.

وقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥]، فلما حجب أهل معصية الله عن رؤيته لغضب الله عليهم، تجلى لأوليائه وأهل طاعته حتى رأوه لرضاه عنهم.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ولما حجب قوماً بالسخط، دل على أن قوماً يرونه بالرضا، أما -والله- لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد، لما عبده في الدنيا»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾[الأحزاب:٤٤]، واللقاء هنا لا يكون إلا برؤية ومعاينة وسلام وتكليم.

وقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، فلما نفى الإدراك -الذي هو أخص من مطلق الرؤية- دل على وجود أصل الرؤية، لأن الرؤية لا تستلزم الإدراك، وفرقٌ بين نفي الإدراك والإحاطة ونفي الرؤية، فلما

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٩٧) (١٨١)، وغيره.

(٢) أخرجه اللالكائي (٨٨٣)، وغيره.

نفى الأخص دل على وجود الأعم بالأبصار ترى الله ولكنها لا تحيط به رؤية.

وقد استدل نفاة الرؤية من المعتزلة وغيرهم بهذه الآية لإثبات قولهم مع أنها حجة عليهم لا لهم.

وقوله تعالى -حكاية عن موسى عليه السلام-: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٣].

ووجه دلالة الآية على إثبات الرؤية من وجوه[1] :

١- أن سؤال موسى -وهو كليم الله ورسوله وأعلم الناس به في زمانه- الرؤيةَ دالٌّ على إمكانها، فمن المحال أن يسأل موسى ربه ما لا يجوز عليه.

٢- إن الله لم ينكر عليه سؤاله، كما فعل مع نوح لما سأل نجاة ابنه وقال له: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [هود:٤٦].

٣- أنه -سبحانه- أجاب موسى بقوله ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ أي: في الحاضر وفي الدنيا، ولم يقل: إني لا أرى، وقد طلب موسى رؤية حاضرة لقوله: ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾[الأعراف:١٤٢].

٤- أن الله علّق رؤيته باستقرار الجبل، وهو أمر ممكن في نفسه غير مستحيل، والمعلّق على ممكن: ممكن.

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» (ص:٢٠٦-٢٠٨).

٥- لما جاز أن يتجلى الله -تبارك وتعالى- للجبل -الذي هو جماد- فكيف يمتنع أن يتجلى لأوليائه وأصفيائه في دار كرامته.

٦- أن من جاز له التكليم والمناداة والمناجاة، فجواز الرؤية له أولى، لكن قام المانع في الدنيا -وهو عدم التحمل- فإذا زال هذا المانع في الآخرة حصلت الرؤية.

فقوله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ أي: لن تستطيع رؤيتي في الدنيا، لأنها فوق تحمل البشر في الدنيا.

أما دعوى المعتزلة وشيعتهم بأن (لن) تدل على التأبيد فهي دعوى باطلة تردها اللغة، فإن (لن) إنما وضعت لنفي المستقبل، وقد قال الله -تعالى- حكاية عن الكفار:﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[البقرة:٩٥]، ثم قال: ﴿ وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[الزخرف:٧٧]، فأخبر عن عدم تمنيهم الموت بـ(لن) ثم أخبر عن تمنيهم للموت وهم في النار، وقال:﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ﴾[يوسف:٨]، فلو أفادت (لن) التأبيد لم يصح تقييدها.

أما السنة:

فقد بلغت أحاديثها حد التواتر كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[1] وتلميذه ابن القيم -رحمهما الله- وغيرهما كثير، وقد رواها ما يقارب الثلاثين صحابياً.

قال ابن القيم:

ويرونه سبحانه من فوقهم   نظر العيان كما يرى القمران

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٥، ٦/ ٤٦٩).

هـــذا تـــواتر عـــن رســـول الله لم ينكـــــره إلا فاســـــد الإيمـــــان

وأتـــى بـــه القـــرآن تصـــريحاً وتعـــر يضـــاً همـــا بســـياقهِ نوعـــان

ولقـــد روى بضـــع وعشـــرون امـــرءاً مـــن صـــحب أحمـــد خـــيرة الـــرحمن

أخبـــار هـــذا البـــاب عمـــن قـــد أتـــى بـــالوحي تفصـــيلاً بـــلا كتمـــان

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا**»(١).

«**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ**»: رؤية بصرية حقيقية مستقبلية والسين هنا للتحقيق.

«**كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ**» أي: كرؤيتكم القمر فالتشبيه هنا تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي.

«**لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»: في أكمل حالات القمر فلا يحجبه سحاب، وهذا مزيد توكيد لمعنى الوضوح والظهور.

«**لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» أي: لا يصيبكم ضيم أو ظلم فلا يحجب بعضكم بعضاً فيظلمه بهذا الحجب.

وفي رواية: «**لاَ تُضَامُّونَ**»: من التضام والتلاصق أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض لأجل رؤيته بل يراه كل أحد بلا تكلف بخلاف رؤية الأمور الخفية.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤، ٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

وفي رواية: «**لاَ تُضَارُّونَ**» أي: لا يصيبكم ضرر، فلا تضرون أحداً ولا يضركم بمنازعة أو مضايقة.

وكل هذه الألفاظ دالة على وضوح الرؤية ويسرها بلا مشقة أو زحام بل كلٌ يراه وهو في مكانه عياناً ببصره، فهي رؤية لا يلحقها نقص وليس فيها خفاء ولا يُحتاج لمعاونة عليها.

وقد جعل النبي ﷺ السبيل لنيل هذا النعيم الكامل الذي يضمحل عنده كل نعيم : المحافظة على صلاتي العصر والفجر.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1]، وقال: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**»، قالوا: لا، قال: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ..**»[3] .

وعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟**»، قَالَ: «**فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٢١١، ٦٣٢) وقد سبق.

(٣) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩) (١٨٢).

أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ»، ثم تلا هذه الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس:٢٦] [1].

قال الإمام ابن القيم في «الميمية»:

فبينما هم في عيشهم وسرورهم … وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم

تجلى لهم رب السموات جهرة … فيضحك فوق العرش ثم يسلم

سلام عليكم يسمعون جميعهم … بآذانهم تسليمه إذ يسلم

يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما … تريدون عندي إنني أنا أرحم

فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا … فأنت الذي تولي الجميل وترحم

ولله أفراح المحبين عندنا … ويخاطبهم من فوقهم ويسلم

ولله أبصار ترى الله جهرة … فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم

فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة … أمن بعدها يسلو المحب المتيم

وعن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله ﷺ، أكلُّنا يرى ربه ﷻ يوم القيامة؟ قال: «نَعَمْ»، قلت: وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَنْظُرُ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ وَإِنَّمَا هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ»[2]، فعلم أن أدلة إثبات الرؤية قطعية الثبوت قطعية الدلالة والأحاديث في هذا الباب كثيرة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨) (١٨١).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١١-١٢)، وأبو داود (٤٧٣١)، والترمذي (٣١٠٩)، وابن ماجه (١٨٢)، وحسنه شيخنا الألباني رحمه الله.

جداً وفيما أوردنا كفاية إن شاء الله لمن أراد الحق.

قال أبو بكر ﷺ وقرأ ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس:٢٦]، فقالوا: وما الزيادة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال:«النظر إلى وجه الله -تبارك وتعالى-»[١].

وقال علي ﷺ:«من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله -تبارك وتعالى- في جنته»[٢].

وكتب عمر بن عبد العزيز ﷺ و ﷺ (ت: ١٠١هـ) إلى بعض عماله:«أما بعد.. فإني أوصيك بتقوى الله ﷻ ولزوم طاعته، والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حمّلك الله من دينه، واستحفظك من كتابه، فإن بتقوى الله ﷻ ولزوم طاعته نجا اولياؤه من سخطه، وبها وافقوا أنبياءه، وبها نضرت وجوههم، ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة»[٣].

وقال الإمام الحسن البصري ﷺ:«لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا»[٤].

وقال الإمام مالك ﷺ :«والناس ينظرون إلى ربهم ﷻ يوم القيامة بأعينهم»[٥].

---

(١) أخرجه عبد الله (٤٧٠)، وابن أبي عاصم (٤٧٣)، واللالكائي (٧٨٣،٧٨٤)، والطبري (١١/ ١٠٤)، وغيرهم، وصححه شيخنا ﷺ.

(٢) أخرجه اللالكائي (٨٥٩).

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص:٦٢).

(٤) أخرجه عبد الله (٤٨٦، ١٠٧٢)، والآجري (٥٧١)، واللالكائي (٨٦٩).

(٥) أخرجه اللالكائي (٨٧٠)، والآجري (٦١٥)، وذكره شيخ الاسلام في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٤١٥-٤١٦).

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله :«إني لأرجوا أن يحجب الله عز وجل جهماً وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أولياءه حين يقول: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[القيامة:٢٢-٢٣]، فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده الله -تعالى- أولياءه»[١].

وقال الإمام نعيم بن حماد للإمام المزني -رحمهما الله-:«وما تقول في القرآن؟ فقال:«أقول إنه كلام الله»، فقال:«غير مخلوق؟» ، فقال:«غير مخلوق»، قال:«وتقول أن الله يرى يوم القيامة؟» ، قال:«نعم»، فلما اخترق الناس قام إليه المزني فقال:«يا أبا عبد الله شهرتني على رؤوس الناس»، فقال:«إن الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك»[٢].

وقال الإمام أحمد رحمه الله :«ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع فإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها جزء واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات»[٣].

وقال رحمه الله :«أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئاً؛ أحاديث الرؤية، وكانوا يحدثون بها على الجملة، يمرونها على حالها غير منكرين لها ولا مرتابين»[٤].

وقد كَفَّر السلف المنكر للرؤية، ولكن ليس كل من وقع منه الكفر وقع الكفر

---

(١) أخرجه اللالكائي (٨٧٤).

(٢) أخرجه اللالكائي (٨٩١).

(٣) أخرجه اللالكائي (٣١٧).

(٤) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص:٤١٩).

عليه، بل لا بد من قيام الحجة عليه وإزالة الشبهة عنه[١].

قال شيخ الإسلام: «وهذه المسألة من الأصول التي كان يشتد نكير السلف والأئمة على من خالف فيها»[٢].

أما قول صاحبي المتن: (واللهُ -تبارك وتعالى- يُرَى في الآخِرَةِ): ففيه إشارة إلى أنه لا يرى في الدنيا.

قال النبي ﷺ: «لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حَتَّى يَمُوتَ»[٣]، وسئل ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: «نُورٌ، أَنَّى أَرَاهُ!»[٤].

وقالت عائشة ﵂: «من حدثك أن محمداً رأى ربه؛ فقد كذب»[٥].

وعلى هذا أجمع أهل السنة والجماعة.

وقد خالف أهل السنة والجماعة في الرؤية ثلاث طوائف.

١- الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج الإباضية والرافضة والإمامية والزيدية وبعض الأشاعرة، قالوا: إن الله لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في

---

(١) قال شيخ الاسلام: «من ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة». «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥٠١).
وقال سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ ﵀: «لا تكفير لأحد إلا بعد قيام الحجة عليه». «فتاويه» (١٢/ ١٩١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٦٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩١)(١٧٨).

(٥) أخرجه البخاري (٤١٦٢، ٤٨٥٥)، ومسلم (٢٨٧) (١٧٧).

الآخرة، ولا يجوز ذلك عليه، بل هي رؤية عِلْمية لا بصرية.

٢- عامة الأشاعرة والماتريدية، قالوا بإثبات رؤية الله في الآخرة، ولكن لا في جهة، أي أن الله يراه الرائي لا أمامة ولا خلفه ولا عن يمينة ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته؛ لنفيهم علو الله -تعالى-، وهم بهذا جمعوا بين النقيضين، ولذلك قال أذكياؤهم: لا خلاف بيننا وبين المعتزلة في الرؤية.

٣- الصوفية ومن شابههم من الممثلة، قالوا بجواز رؤية الله بالأبصار في الدنيا وفي الآخرة مع أن الله منع منها كليمه موسى عليه السلام، وقد سبق شيء من الأحاديث المحمدية في ذلك.

ورحم الله الشيباني إذ يقول:

ومن قال في الدنيا يراه بعينه ... فذلك زنديق طغا وتمردا

وخالف كُتْب الله و الرسل كلَّها ... وزاغ عن الشرع الشريف وأبعدا

وذلك مما قال فيه الهنا ... يُرى وجهه يوم القيامة أسودا(١)

ولكن يراه في الجنان عبادُه ... كما جاء في الأخبار نرويه مسندا



(١) كما قال الله -تعالى-: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر:٦٠].

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

إثبات تكليم الله لأهل الجنة كيف شاء وكما شاء

([١١] وَيَسمَعُونَ كَلامَهُ كَيفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ):

كما أثبت الله لعبادة رؤيته وهو أعظم نعيمهم، أثبت لنفسه تكليمهم في الجنة لتحيتهم وتكريمهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس:٥٥-٥٨].

وكما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى! وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ؛ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً»[١].

قال ابن القيم رحمه الله:

أوَ ما علمت بأنه سبحانه ... حقا يكلم حزبه بجنان

فيقول جل جلاله هل أنتمُ ... راضون قالوا نحن ذو رضوان

أم كيف لا نرضى وقد أعطيتنا ... ما لم ينله قط من إنسان

هل ثَمَّ شيء غير ذا فيكون أفـ ... ـضل فيه نسأله من المنان

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩)، وأحمد (٣/ ٨٨)، وغيرهم.

فيقـــول أفضـــل منـــه رضـــواني فـــلا يغشـــاكم ســـخط مـــن الـــرحمن

وهذا التكليم لأهل الجنة لا ينافي تكليم الله عباده جميعاً في عرصات القيامة.

وأكثر أحاديث الرؤية فيها إشارة إلى التكليم، وهذا التكليم تنكره الجهمية كما أنها تنكر الرؤية والعلو.

(كَيفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ):

سئل الإمام أحمد رحمه الله: الله عز وجل يكلم عبده يوم القيامة؟ قال: «نعم، فمن يقضي - بين الخلائق إلا الله عز وجل، يكلّم عبده ويسأله، الله متكلم، لم يزل الله يأمر بما يشاء ويحكم، وليس له عدل ولا مثل، وكيف شاء، وأنى شاء»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد قال الإمام أحمد λ وغيره من الأئمة: لم يزل الله متكلماً إذا شاء، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، يتكلم بشيء بعد شيء»[(٢)].

قال تعالى عن يوم القيامة: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ [الأنعام:٧٣].

وقال: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢].

وقد خالف الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وقالوا: بأن الله لا يتكلم إذا شاء.

قال شيخ الإسلام: «وهؤلاء وافقوا الجهمية والمعتزلة في أصل قولهم: إنه متكلم بكلام لا يقوم بنفسه ومشيئته وقدرته، وإنه لا تقوم به الأمور الاختيارية، وإنه لم يستو على عرشه بعد أن خلق السموات والأرض، ولا يأتي يوم القيامة، ولم يناد

---

(١) نقله شيخ الإسلام في «درء التعارض» (٢/ ٣٧-٣٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥٨٨).

موسى حين ناداه، ولا تغضبه المعاصي، ولا ترضيه الطاعات، ولا تفرحه توبة التائبين!»[1].



(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥٩٤).

الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان

📖 ([١٢] وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لاَ يَفْنَيَانِ أَبداً، فَالجَنَّةُ ثَوابٌ لأَولِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابٌ لأَهْلِ مَعْصِيتِهِ -إلا من رَحِمَ-):

📄 (وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ حَقٌّ): لا ريب فيهما ولا شك عند مسلم.

قال الله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [التحريم:٦-٨].

وقال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٣٢ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣١-١٣٢].

وقال: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٤ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾[البقرة:٢٤-٢٥].

وقال -جل من قائل-: ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ۝٥٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً ﴾ [النساء:٥٥-٥٧].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس:٧-١٠].

وقال: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر:٤٣-٤٦].

وقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾ [النساء:١٢١-١٢٢]، والآيات في ذلك كثيرة وفيرة.

وهكذا لا تجد آية فيها ذكر للجنة والترغيب فيها وأنواع النعيم فيها إلا وأعقبت بذكر النار والترهيب منها وأنواع الجحيم فيها.

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥).

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ..»[(١)].

(وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ): موجودتان الآن، وعلى هذا أجمع أهل السنة والجماعة لدلالة الكتاب والسنة على ذلك.

فأما الجنة: فقد قال تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقال: ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [الحديد:٢١]، وقال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧].

وقال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠].

وهذا الإعداد للجنة دال على أنها قد وجدت مدخرة لأولياء الله.

وقال ﷻ في النار: ﴿ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٣١]، وقال: ﴿ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإنسان:٣١]، وقال: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ [الفرقان:١١]، وقال: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴾ [النبأ:٢١-٢٢]، وقال:

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (١٩٩)(٧٦٩).

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح:٦].

وهذا الإعداد للنار دال على أنها قد وجدت مُرْصدة لأعداء الله.

ويدل من السنة لكون الجنة والنار موجودتين الآن: قول النبي ﷺ: «**اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالوا: يا رسول الله؛ رأيناك فتناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت! قال ﷺ :«**إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ؛ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُوداً، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ؛ فَلَمْ أَرَ مَنْظَراً كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ..**»[2].

وقال رسول الله ﷺ:«**إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ**»[3].

وقال:«**قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[السجدة:١٧]**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٩)، ومسلم (٢٧٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

وقال ﷺ:«اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ»(١).

وقال ﷺ في قصة المعراج:«ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»(٢).

وقال ﷺ:«الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَابْرُدُوهَا بِالْمَاءِ»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال:«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِراً»، فبكى عمر وقال:عليك أغار يا رسول الله؟(٤).

وقصة آدم، ودخوله الجنة، وإخراجه منها: لا تخفى على مسلم.

ولقد زعمت المعتزلة والقدرية أن الجنة والنار ليستا موجودتين الآن بل يخلقهما الله يوم القيامة، لأن خلقهما قبل ذلك عبث! لأنهما تصيران معطلتين أزماناً طويلة، متجاهلين النصوص الكثيرة في ذلك من الكتاب والسنة وما في وجود الجنة الآن من ترغيب بها وتشويق إليها، وما في وجود النار من تخويف

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (٢٥٩) (١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٦١، ٣٢٦٢، ٣٢٦٣، ٣٢٦٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٥).

وترهيب منها.

بل قد أخبر الله رسوله ﷺ بحصول شيء من نعيم الجنة أو جحيم النار قبل القيامة كما قال الله -جل ثناؤه وتقدست أسماؤه- في آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦]، فهم يعذبون في النار وهم في قبورهم ثم ينتقلون إلى العذاب الشديد المديد بعد البعث.

وقد أخبر النبي ﷺ أن المؤمن إذا ثبته الله عند سؤاله في قبره:«**فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ**»، أما الكافر:«**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ**»(١).

فهم ما أنكروا خلق الجنة والنار الآن إلا لشبهة عقلية فاسدة، وهذا هو ديدنهم: تحكيم عقولهم السقيمة في نصوص الشرع الحكيمة.

فتباً لعقل يرد هذه الدلائل من الكتاب والسنة ويعتقد مثل هذا الباطل!

تبـــاً لهاتيــــك العقــــول فإنهـــا ... والله قـــد مســـخت علـــى الأبـــدان

تبـــاً لمـــن أضـــحى يقـــدمها علـــى الـــ ... آثـــــار والأخبـــــار والقـــــرآن

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٥٣٤)، وغيره، وهو حديث حسن، وانظر «صحيح سنن أبي داود» (٣٩٧٩).

قاله ابن القيم رحمه الله .

(لا يَفْنيَانِ أَبَداً):

أما الجنة: فقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن الجنة لا تفنى ولا تبيد لقوله تعالى:﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقوله:﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر:٤٨]، وقوله: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد:٣٥].

وقوله: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٨]، وقوله: ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة:٣٣]،وقوله:﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الدخان:٥٦-٥٧].

فأخبر جل جلاله بأبدية الجنة وأبدية أهلها، وعدم انقطاعها عنهم، وبعدم خروجهم منها.

قال ابن القيم رحمه الله في «الميمية»:

فحـــيَّ علـــى جنـــات عـــدن ... فإنهـــا منازلـــك الأولى وفيهـــا المخـــيم

وأما النار: فإن النار ناران:

١- نار تفنى، وهي نار العصاة المذنبين من المسلمين، فهم يخرجون منها بعد تعذيبهم فيها بقدر جنايتهم فيخرجون برحمة الله -تعالى- ثم بشفاعة الشافعين، فيدخلون الجنة، وتفنى نارهم.

٢- ونار تبقى أبداً لا تفنى، وهي نار الكفار والمشركين.

وقال -تعالى وتعاظم-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[النساء:١٦٨-١٦٩]، وقال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥]، وقال: ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان:٦٥-٦٦]، وقال: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧].

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٦-٣٧].

وقال: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه:٧٤]، وقال: ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الشورى:٤٥]. وغيره كثير.

فأخبر الله بأبدية الكفار في النار، ونفى خروجهم منها، ونفى انقطاعها عنهم.

وقد قال ﷺ:«**يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلاَ مَوْتَ**»(١).

قال الإمام أبو عثمان الصابوني ﷺ:«ويشهدون ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان وإنهما باقيتان لا تفنيان أبداً، ويؤمر بالموت فيذبح على سور بين الجنة والنار، وينادي منادٍ يومئذ:«**يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلاَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٥٠).

مَوْتَ»، على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ»[١].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله:«ولما كان الناس ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خَبَث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاه الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض»[٢].

ولم يحصل بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما إلا بإبقاء الله لهما فليس لهما، إلا الفناء لولا إبقاء الله لهما.

أما الله ﷻ فهو الآخر الذي ليس بعده شيء، وبقاؤه لازم لذاته لا انقضاء لآخريته ولا ابتداء لأوليته.

وقد نسب القول بفناء النار -نار الكافرين-: إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ولا يثبت عنه بل قد صرح بعدم فنائها في أكثر من موضع من كتبه، فمن ذلك قوله رحمه الله:«وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك»[٣].

أما تلميذه الإمام ابن قيم الجوزية فإن كلامه الذي أوردته قريباً من أوضح الكلام وأصرحه في عدم فناء النار، فعليه يحمل بعض كلامه المجمل حول فناء

---

(١) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص:٧٧).

(٢) «الوابل الصيّب» (ص:٥٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٠٧)، وانظر «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٥٨١).

النار.

مــا الفخــر إلا لأهــل العلــم إنهمــو على الهــدى لمــن استهدى أدلاّء
وقَــدْر كــل امــرئٍ مــا كــان يحسنه والجــاهلون لأهــل العلــم أعــداء

وقد خالف الجهم بن صفوان -وشيعته- أهلَ السنة والجماعة، وأتوْا بقول مبتدع ليس لهم فيه سلف قط فقالوا: إن الجنة والنار تفنيان كلاهما لأنها حادثتان، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه، بناء على أصلهم الفاسد الذي يمنع تسلسل الحوادث وبقاءها بإبقاء الله -تعالى- لها، والذي يقضي بأن كل ماله بداية يجب أن يكون له نهاية، وعليه، سيأتي وقت لا يبقى مع الله شيء موجود.

ثم أتى أحد أتباعه وهو أبو الهذيل العلاف -من رؤوس المعتزلة-، وقال: إن حركات أهل الجنة والنار تنقطع وتفنى ويصيرون جماداً لا يحسون بنعيم ولا جحيم، وهذا قول مضحك باعث للسخرية والاستخفاف بعقول هؤلاء.

قال الإمام ابن قيم الجوزية عن الجهم:

وقضــى بــأن النــار لم تخلــق ولا جنــات عــدن بــل همــا عــدوان
فــإذا هــي خلقــاً ليــوم معادنــا فهمــا علــى الأوقــات فانيتــان
وتلطــف العــلاف مــن اتباعــه فــأتى بضــحكة جاهــل مجــان
قــال الفنــاء يكــون في الحركــات لا في الــذات واعجبــاً لــذا الهــذيان

(فَالجَنَّةُ ثَوابٌ لأَوليَائِهِ وَالنَّارُ عِقَابٌ لأَهْلِ مَعْصِيتِهِ إلا مَن رَحِمَ):

(فَالجَنَّةُ ثَوابٌ لأَوليَائِهِ):

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال سبحانه: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف:٤٠]، وقال: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور:٢٥-٢٨].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [محمد:١٥]، وقال -جل من قائل-:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأعراف:٤٢].

وقال: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:٥٠].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: كنا مع النبي ﷺ في قبة، فقال:«**أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟**» قلنا: نعم، قال:«**أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟**»، قلنا: نعم، قال:«**أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟..الْجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**»(١).

وقال النبي ﷺ:«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٣٧٧) (٢٢١).

حَقّاً عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ؛ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»[(١)].

وقال ﷺ:«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلاً، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ»[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله:

هي جنةٌ طابت وطاب نعيمها ... فنعيمها باقٍ وليس بفاني

دار السلام وجنة المأوى ومنْـ ... ـزلُ عسكر الإيمان والقرآن

فالدار دار سلامة وخطابهم ... فيها سلامٌ واسم ذي الغفران

(وَالنَّارُ عِقَابٌ لأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ):

قال الله ﷻ: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾ [ص:٥٥-٥٨].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ [الدخان:٤٣-٤٦]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦].

وقال -تبارك وتقدس-: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء:١٤٥]، وقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾[هود:١٠٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٧١)، ومسلم (٢٤) (٢٨٣٨).

وقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام:٢٧]، وقال ﷻ : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم:٣٩]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأعراف:٣٦].

وقال رسول الله ﷺ:«مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ»[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾، قال:«هي حجارة من كبريت، خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا، يعدها للكافرين»[٢].

(إلا مَن رَحِمَ): من أهل معصيته من الموحدين فيغفر لهم ويدخلهم الجنة، كما سبق -وكما سيأتي-.



---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢) واللفظ له.

(٢) صححه شيخنا الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٧٥).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإيمان بالصراط

🕮 ([١٣] وَالصِّرَاطُ حَقٌّ):

مما أجمع عليه أهل السنة والحق، ومما اتفق عليه أهل التوحيد والصدق: الإيمان بما يكون بعد الموت، وما يكون يوم القيامة، ومن ذلك: الإيمان بالصراط.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «نؤمن بالصراط، والميزان، والجنة، والنار، والحساب، لا ندفع ذلك ولا نرتاب»[١].

والصراط في اللغة: الطريق الواضح، ومثله: السراط، والزراط.

ولذا في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، ثلاث قراءات:

☑ السراط: بالسين الخالصة: وهي قراءة قنبل عن ابن كثير، ورويْس عن يعقوب.

☑ الزراط: بالزاي المشمة: وهي قراءة خلف عن حمزة.

☑ الصراط: بالصاد الخالصة: وهي قراءة الباقين.

والسراط من الاستراط بمعنى الابتلاع، كأن الطريق يسترط سالكيه، ومن أمثال العرب: «لا تكن حلواً فتسترط..».

وفي الشرع: الصراط: جسر منصوب على متن جهنم وظهرها بينها وبين الجنة أدق من الشعر وأحدّ من السيف زلقٌ، يمر المؤمنون وعصاة المؤمنين عليه بعد

---

(١) أخرجه اللالكائي (٢٢٢٢)، وانظر «المسائل والرسائل» (٢/٢٠٨).

مفارقتهم الموقف والحشر والحساب، إلى الجنة على أحوال متفاوتة بقدر أعمالهم في الدنيا، فيمر أولهم عليه كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الفرس الجواد ثم كمر ركاب الإبل ثم كشد الرجال وعَدْوهم، ثم كمشي الرجال، ثم يأتي من يزحف، ومنهم من تلفحه النار وتمسه بقدر ذنبه ثم يخرج منها، فمن اجتاز الصراط دخل الجنة، ولـه حافتان عليها كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أُمرت به فمخدوش ناجٍ إلى الجنة، أو مكردس ملقي في النار.

فمن مرّ على الصراط له أحد ثلاثة أحوال: أن ينجو بلا خدش، أو أن يهلك من أول وهلة، أو أن يصاب ويخدش ثم ينجو، وأول من يجتازه النبي ﷺ ثم أمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلامهم:«**اللَّهُمَّ سَلِّمْ.. سَلِّمْ**».

فإذا عَبَر أهل الجنة الصراط، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض قصاصاً تزول به الأحقاد والبغضاء.

كما دل على ذلك أحاديث النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ.. سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟**»، قالوا: نعم يا رسول الله، قال:«**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ؛ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ أَوِ الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ أَوِ الْمُجَازَى أَوْ نَحْوُهُ**»[1].

وقال ﷺ:«.. **ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ؛ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**»، قلنا: يا رسول

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

اللَّه؛ وما الجسر؟ قال:«مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:«بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ؛ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيْ الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ»، قلت: بأبي أنت وأمي؛ أي شيء يمر كالبرق؟ قال:«أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ؛ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ.. سَلِّمْ حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفاً، وَفِي حَافَتَيْ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ»(٣).

قال النبي ﷺ:«يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم عقب حديث (١٨٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٥).

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، وأحمد (٣/ ١٣).

والإيمان بالصراط واجب لما مضى من أحاديث، ولقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾ [مريم:٧١].

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيرها: «يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم وأولهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجال ثم كمشيه»[1]، وله حكم الرفع.

وقال تعالى: ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم:٨].

وقال: ﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴾ [الحديد:١٢-١٣].

وذلك أن الله يسلب المنافقين نورهم إذا استووا على الصراط، أما المؤمنون فيسعى نورهم بين أيديهم ويقولون: ربنا أتمم لنا نورنا.

وقد أنكرت المعتزلة والخوارج الصراط والمرور عليه لاعتقادهم أن من دخل النار ولو بالإصرار على صغيرة، لا يخرج بل هو مخلد فيها، ولذا حرفوا معنى ورود الموحدين برؤية النار لا المرور على ظهرها فوق الصراط.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، والترمذي (٣١٦٠)، وصححه شيخنا موقوفاً في «صحيح الترمذي» (٢٥٢٧).

ولا يمر الكافرون والمشركون على الصراط بل يذهبون إلى جهنم خالدين فيها أبداً، وهذا هو ورودهم -وهو دخول جهنم- كما قال تعالى:﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود:٩٨]، أي: بئس المدخل المدخول.

أما ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الذي ذكر الله: فهو طريق الله الذي نصبه لعباده على ألسن رسله وجعله موصلاً لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا، وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسوله ﷺ بالطاعة، فلا يشرك في عبوديته أحداً ولا يشرك برسوله أحداً في طاعته، وهذا كله مضمون الشهادتين، وهذا هو الطريق الموصل إلى جنة الله بمعرفة الحق والعمل به ولزوم دين الإسلام[1].

ومن سلك الصراط المستقيم في الدنيا رزقه الله -تعالى- عبور الصراط مع الفائزين إلى الجنة خالدين فيها أبداً، فهناك ارتباط وثيق بين (الصراط المستقيم) في الدنيا الذي هو (صراط الله) وبين (صراط يوم القيامة)، وكما أن لصراط يوم القيامة كلاليب تلقي من هو أهل للنار فيها، فلصراط الدنيا كلاليب هي (السبل) المتمثلة في الشبهات والشهوات، والبدع والمعاصي.



(١) انظر «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٠-٤١).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإيمان بالميزان

📖 ([١٤] وَالمِيزَانُ الذي لَهُ كِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيهِ أَعمَالُ العِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقٌّ):

الميزان في اللغة: ما تقدّر به الأشياء خفة وثقلاً.

وفي الشرع: ميزان حقيقي حسي له كفتان، لا يقدر قدره إلا الله، يوضع يوم القيامة فتوزن به الحسنات والسيئات ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾.

وهو ميزان واحد، أما ما ورد من جمعه في قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقوله: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم ﴾ [الأعراف:٨-٩]، وغيرها؛ فهو باعتبار الموزون المتعدد، فليس الموزون واحداً.

ويوزن فيه العمل تارة، والعامل تارة، وصحائف أعماله تارة، لكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل فقط[1]، فتتحول الأعمال إلى أجسام لها ثقل توزن فيه فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة.

وإنما خص الشيخان (أعمال العباد) بالذكر فيما يوزن، لأن كفتي الميزان إنما ترجح إحداهما بحسب الأعمال وثقلها وخفتها.

ويدل على إثبات الميزان: قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ ﴾ [غافر:١٧]، وقوله: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ

---

(١) كما رجح ذلك شيخ الإسلام في هذا الزمان أستاذنا الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى-.

شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقوله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس:٥٤]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾[النساء:٤٠]، وقوله -عظم سلطانه-: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف:٨-٩]، وقوله ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف:١٠٥].

وقول النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»[١].

وقوله: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ، فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى؛ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه شيخنا الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٣٥) وقال: «والأحاديث في ذلك متضافرة، إن لم تكن متواترة».

وعن علي رضي الله عنه أن ابن مسعود رضي الله عنه صعد شجرة يجتني الكباث، فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»، وَقَالَ: «**اقْرَءُوا: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾** »(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: «أنا فاعل» -يعني إن شاء الله-، قلت: يا رسول الله؛ وأين أطلبك؟ قال: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبْنِي عَلَى الصِّرَاطِ**»، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ**»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لاَ أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلاَثَ الْمَوَاطِنَ**»(٣)، أي: لا أجاوز هذه المواطن.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «يجاء بالناس يوم القيامة إلى الميزان فيتجادلون عنده أشد الجدال»(٤).

وقال زهير بن عباد رحمه الله: «كل من أدركت من المشايخ مالك وسفيان وفضيل وعيسى بن يونس وابن المبارك ووكيع بن الجراح كانوا يقولون: الميزان حق»(٥).

وقد قدم صاحبا متننا هذا ذكر الصراط على الميزان مع أن نصب الموازين إنما

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١١٤)، وغيره، بإسناد حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٧٨)، والترمذي (٢٤٣٣)، وجود إسناده شيخنا رحمه الله.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ١٧٨) بإسناد صحيح وله حكم المرفوع.

(٥) أخرجه ابن أبي زمنين في «أصول السنة» (٢/ ٥٦٠).

يكون قبل الصراط وكذا الحوض، لأن هذه العقيدة أمليت إملاءً.

ومن حكمة الله في محاسبة الخلائق على أعمالهم ووزنها وظهورها مكتوبة في الصحف مع أنه ﷻ محيط بها علماً: أن يُري عباده كمال عدله وسعة رحمته وعظمة ملكه -عز شأنه-.

وقد حرفت المعتزلة النصوص على أن المراد بالوزن والميزان: العدل، لاستبعاد عقولهم ذلك، وهذا تحريف ظاهر للنصوص ورد لإجماع سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين أولي العقول السليمة وأصحاب الألباب المستقيمة؛ إذ لو جاز حمل معنى الميزان على ما ذكروا، لجاز حمل معنى الملائكة على القوى المحمودة، والشياطين على الأخلاق المذمومة، والجن والنار على الأحزان والأفراح التي تَردُ على الأرواح، والصراط على الدين الحق.

وهذا كله فاسد لكل ذي عينين، ولكن:

وكيف يؤمل الإنسان رشداً ... وما ينفك متبعاً هواه

قال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله: «إن العبد إذا هوي شيئاً نسي الله ﷻ»، وتلا ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[ص:٢٦] (١) .

نسأل الله السلامة والثبات والعافية.



(١) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» برقم (٩٩٥).

الإيمان بالحوض المورود

📖([١٥] وَالحَوْضُ المُكرَّمُ بِهِ نَبِينًا ﷺ حَقٌ):

الحوض في اللغة: مَجْمع الماء.

أما الحوض المكرم به نبينا ﷺ فهو حوض عظيم ومورد كريم يصب فيه ميزابان من نهر الكوثر، أحدهما من ذهب والآخر من فضة.

وهو مربع الشكل، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وأبرد من الثلج، عليه كيزان كنجوم السماء في الجمال والكثرة.

متسعٌ غايةً: فعرضه شهر وطوله شهر، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، ولذا يكون وروده قبل نصب الموازين وقبل المرور على الصراط في عرصات القيامة.

وقد بلغت أحاديثه حد التواتر[١]، فقد رواها من صحابة رسول الله ﷺ أكثر من خمسين صحابياً[٢]، فمن أنكر الحوض فحريٌّ به أن يحال بينه وبين وروده يوم العطش الأكبر.

فمن تلك الأحاديث: قول النبي ﷺ: **«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ**

---

(١) كما نص على ذلك شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ٣٠٩)، والقاضي عياض كما في «شرح النووي» (١٥/ ٥٣)، والسخاوي في «فتح المغيث» (٣/ ٤٣)، وغيرهم.

(٢) انظر «فتح الباري» (١١/ ٤٦٨).

أَبَداً»[١].

وفي رواية:«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ الْوَرِقِ..»[٢].

وقوله ﷺ:«مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَعَمَّانَ»[٣].

وقوله ﷺ:«يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنْ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ؛ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنْ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ»[٤].

وقد ورد أنه كما بين (أيلة) و(صنعاء)، وورد أنه كما بين (عدن) و(عمان) ، وكما بين (صنعاء) و(المدينة) ، وكما بين (الكعبة) و(بيت المقدس) ، وكما بين (صنعاء) و(بُصْرى) ، وغير ذلك، وليس في هذا تعارض أو إشكال فقد كان النبي ﷺ يخاطب في كل مرة القوم بما يعرفون من أماكن.

وقوله:«أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ، ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ؛ أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[٥]، وفي رواية:«إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى»[٦].

أي: أنا متقدمكم إلى الحوض.

والمراد بهؤلاء الأصحاب: الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ وقاتلهم أبو

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٠٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٧٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٦) أخرجه البخاري (٦٥٨٧).

بكر رضي الله عنه، ويلحق بهم المنافقون، وكل من أحدث في دين الله، والرافضة، والخوارج، والقدرية، والمعتزلة، والجهمية، والمرجئة، وجميع فرق المبتدعة.

وقد زعمت الرافضة أن المعنيين بالذود هم الصحابة لأنهم -بزعمهم- ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ إلا نفراً يسيراً منهم، مع أنهم هم -قاتلهم الله- الجديرون بالذود، فسبحان من أرشد بفضله من شاء لما شاء، وأضل بعدله من شاء بما شاء.

ولكل نبي حوض، ولكن حوض نبينا ﷺ أكبرها وأعظمها، وأحلاها وأكثرها وارداً، جعلنا الله منهم بفضله ومنِّهِ وكَرَمِهِ.

قال ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضاً، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»[1].

أما الكوثر: وهو النهر الذي أُعطيه النبي ﷺ فهو داخل الجنة يمد الحوض الذي يكون خارج الجنة، فماء الكوثر يأتي من داخل الجنة لقول النبي ﷺ: «**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ**»[2].

وقد أنكر الخوارج والمعتزلة ثبوت ورود الحوض.

وهذا قول ظاهر الفساد.

فدعهم يزعمون الصبح ليلاً ... أيعمى العالمون عن الضياء

والله الهادي إلى الرشاد، الموفق للسداد.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، وصححه شيخنا في «السلسلة الصحيحة» (١٥٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨١).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإيمان بالشفاعة

📖 ([١٦] وَالشَّفَاعَةُ حَقٌّ، وأَنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ التَّوحِيدِ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بالشَّفَاعَةِ حَقٌّ):

الشفاعة في اللغة: جعل الشيء شفعاً، من الشفع ضد الوتر.

واصطلاحاً: التوسط بالخير للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

وسمي الشافع شافعاً؛ لأنه يضم طلبه ورجاءه إلى طلب المشفوع له بعد إن كان منفرداً.

وقد دل على إثبات الشفاعة الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة المتضافرة بل المتواترة[١].

ومن تلك الأحاديث:

قول النبي ﷺ:«**أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[٢].

---

(١) وقد نص على تواترها الإمام ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٣٨٥)، والقاضي عياض كما في «شرح مسلم» (٣/ ٣٥)، وشيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٥)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥).

وقوله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاهَا لأُمَّتِهِ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وقوله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

وقوله ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ»(٣)

ويشترط للشفاعة ثلاثة شروط:

١- رضا الله عن الشافع.

٢- رضاه عن المشفوع له، ولا يرضى إلاَّ عن أهل التَّوحيد.

٣- إذنه في الشفاعة.

كما قال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦]، وقال: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾ [طه:١٠٩]، وقال: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقال: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ﴾ [يونس:٣]، وقال: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا ﴾ [الزمر:٤٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٥)، ومسلم (٢٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٠).

◘ **والشفاعة على ثمانية أنواع**، ثلاثة منها خاصة بالنبي ﷺ، وخمسة يشاركه فيها غيره من الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء والصالحين وهي:

١- **الشفاعة العظمى**: وهي المقام المحمود الذي يمن الله به على نبيه وخليله محمد ﷺ كما قال: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩]، فيغبطه عليه النبيون.

وذلك في الموقف العظيم يوم القيامة حيث يطول المقام، ويشتد القلق، ويلجمهم العرق، فيشفع ﷺ ليقضى بين الخلق بعد أن يتراجع الأنبياء -آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى- عن هذه الشفاعة حتى تنتهي إلى النبي ﷺ، فيقوم بها بعد إذن ربه وقوله له:«**يَا مُحَمَّدُ؛ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»(١).

قال ابن عمر رضي الله عنهما:«إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه المقام المحمود»(٢).

٢- **شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوها**، بعد عبورهم الصراط، فيستفتح باب الجنة فيفتح له فيكون أول داخلها وأمته، كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر:٧٣].

٣- **شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب**، بأن يخفف عنه العذاب مع بقائه في النار، وهذه خاصة بأبي طالب، أما غيره من الكافرين فكما قال ﷻ: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢١)، ومسلم (١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٨).

شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨].

وهذه الأنواع الثلاثة خاصة بالنبي ﷺ.

٤- شفاعته ﷺ وغيره، لمن دخل النار من عصاة الموحدين أن يخرج منها

عن عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ قَوْماً مِنْ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ**»[1].

وهذا النوع هو الذي ذكره الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، وقد خصاه بالذكر لإنكار الخوارج- آخر عصر الصحابة- والمعتزلة -آخر عصر التابعين- لهذا النوع من الشفاعة لاعتقادهم بأن العاصي وفاعل الكبيرة مخلد في نار جهنم لا يخرج منها، وقد استدلوا بقوله ﷻ: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقوله: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾ [الشعراء:١٠٠]، ويرد عليهم بأن هذه الآيات واردة في حق الكفار والمشركين.

أما المؤمنون فتنفعهم الشفاعة بشروطها ويخرج الله من النار أقواماً من عصاة الموحدين بغير شفاعة بل بفضله ورحمته حتى الذين أذن بالشفاعة لهم، ولو شاء لغفر لهم بلا شفاعة ولكنه ﷻ أراد بيان فضل هذا الشافع وإكرامه وقبول شفاعته وظهور شرفه ومنزلته عند ربه، وفي مقدمة هؤلاء المكرمين محمد ﷺ.

ولا تطلب شفاعة النبي ﷺ إلا من الله -تبارك وتعالى-.

وإذا أطلق لفظ الشفاعة أريد هذا النوع منها، فاقتصار السلف أحياناً على ذكر الشفاعة في أهل الكبائر مقصوده الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥٨)، ومسلم (٣١٨)، (١٩١).

٥- **شفاعته ﷺ وغيره، فيمن استحق النار من عصاة الموحدين أن لا يدخلها،** وهذه ينكرها الخوارج والمعتزلة لاعتقادهم أن مستحق النار سيدخلها لا محالة.

٦- شفاعته ﷺ وغيره لمن دخل الجنة **برفع درجته.**

٧- شفاعته ﷺ وغيره، **فيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم** أن يدخلوا الجنة.

٨- شفاعته ﷺ وغيره، في **دخول بعض المؤمنين الجنة بلا حساب** ولا عقاب ولا عذاب، كشفاعة النبي ﷺ في عكّاشة بن مِحْصَن رضي الله عنه بأن يكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال:

فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في التاريخ وغيرهم، يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة.

والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر.

وأما أهل السنة والجماعة فيقرون بشفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة غيره، لكن لا يشفع أحد يوم القيامة حتى يأذن الله، ويحد له حداً كما في الحديث الصحيح حديث الشفاعة»[1].

اللهم إنا نسألك شفاعة نبيك ﷺ في ذلك اليوم العظيم، آمين.



---

(١) «الصفدية» (٢/ ٢٩٠).

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإيمان بعذاب القبر

([١٧] وَعَذَابُ القَبرِ حَقٌّ):

عذاب القبر ونعيمه حق ثابت بالكتاب والسنة المتواترة[١] وإجماع أهل السنة والجماعة.

فمن الكتاب:

قول الله -تعالى-: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٥-٤٦]، فيعرضون على النار غدواً وعشياً، وهم في قبورهم قبل قيام الساعة، فإذا قامت أُدخلوا أشد العذاب.

وقوله ﷻ: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ [نوح:٢٥].

وقوله جل شأنه: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝

---

(١) وقد نص على تواتر أحاديث عذاب القبر شيخ الإسلام في «الفتاوى» (١٣/ ٣٥، ٤/ ١٨٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٢/ ٢٤٧)، والعيني في «عمدة القاري» (٨/ ١٤٥)، وابن رجب كما في «لوامع الأنوار» (٢/ ١٣)، وغيرهم.

فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٣-٩٤].

ومن السنة:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين؛ فقال: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ..»(١)، الحديث.

وقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من أربع منها: عذاب القبر وأمر أمته بذلك وذلك في مواطن كثيرة (٢).

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

وقال: «الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ»(٤).

وأخبر النبي ﷺ عن عذاب الآخذ للقرآن الرافض له، والنائم عن الصلاة المكتوبة، والكذاب، والزناة والزواني، وأكل الربا؛ في قبورهم، كما في حديث سمرة بن جندب(٥).

وقال ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) منها ما أخرجه مسلم (٥٩٠)، وأبو داود (٩٨٤)، والترمذي (٣٤٩٤)، والنسائي (٥٥١٢)، وابن ماجه (٣٨٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٩٢)، ومسلم (١٧) (٩٢٧).

(٥) أخرجه البخاري (٤٧، ٧٠، ١٣٨٦).

أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»[١].

وعذاب القبر هو عذاب البرزخ.

والبرزخ هو: الفترة ما بين موت الإنسان وبعثه، وعلى هذا أجمع المفسرون.

قال ابن عطية الأندلسي -المفسر- ﷺ: (ت:٥٤٦):«البرزخ في كلام العرب: الحاجز بين المسافتين، ثم يستعار لما عدا ذلك، فهو عندنا للمدة بين موت الإنسان وبين بعثه، هذا إجماع من المفسرين»[٢].

◘ وعذاب القبر على ضربين:

١- عذاب دائم غير منقطع إلى أن تقوم الساعة، وهو عذاب الكافرين.

٢- عذاب محدود مقدر للعصاة من الموحدين بحسب معاصيهم، قد يطول وقد لا يطول ثم يخفف عنهم، وقد ينقطع بسبب دعاء أو استغفار لهم أو صدقة عنهم أو عفو الله ﷻ.

ويكون العذاب والنعيم على الروح والبدن جميعاً، وقد ينفرد أحدهما.

وقد أنكرت المعتزلة عذاب القبر، واستدلوا بأدلة نقلية وشبه عقلية فمن النقل:

قول الله -تعالى-: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الدخان:٥٦]، ولو كانوا أحياء في قبورهم ينعمون لكانوا ذائقين للموت مرتين!

فالجواب أن يقال: إن هذه الآية في حق أهل الجنة المخلدين في النعيم، فلا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

(٢) «المحرر الوجيز» (١٠/ ٤٠١).

يموتون ولا ييأسون، وقد أكد نفي الموت عنهم في الجنة بقوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ .

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر:٢٢]، قالوا: إن الله شبه الكافرين بأهل القبور الذين لا يسمعون، فلو كان الأموات أحياء في قبورهم لما استقام التشبيه؟

فالجواب أن يقال: إن هذه الآية تنفي استطاعة الرسول ﷺ لقوله:«**هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً؟**»، فقيل له: تدعوا أمواتاً؟، فقال:«**مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ؛ وَلَكِنْ لاَ يُجِيبُونَ**»[1].

ثم إن نفي إسماع النبي ﷺ هو نفي لسماع الاستجابة، كما أن الكافرين كانوا يسمعون كلام النبي ﷺ ولكنهم لا يستجيبون.

أما الشبه العقلية الدالة على سخافة عقولهم وفسادها:

قولهم: لو حفرنا القبور لما رأينا شيئاً يحدث لأصحابها! وبعضهم يُصلب ونراه لا يحرك ساكناً! بل بعضهم تأكله السباع وتتفرق أجزاؤه فيها ويتحلل في دمها! بل بعضهم يحرق ويتفتت وتذري أجزاءه الرياح في جهات مختلفة فأين هذا العذاب أو النعيم؟!

فالجواب من وجهين:

١- أن احتجاب ذلك عن أهل الدنيا من حكمة الله البالغة ورحمته بهم.

٢- أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا، وعالَم الغيب لا يقاس بعالَم

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٠)، ومسلم (٢٨٧٤).

الشهادة.

ولذا كان الإيمان بعذاب القبر ونعيمه من الإيمان بالغيب، ولو كان ظاهراً للخلق لما كان من الإيمان بالغيب الذي يظهر فيه المؤمنون من الجاحدين.

وعليه، فكل من مات -أي انتقل إلى دار البرزخ- وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه من عذاب القبر قُبِر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر.

وقد قال بباطل المعتزلة هذا الملاحدة والفلاسفة.

وقد زعم حزب التحرير أن أحاديث عذاب القبر أحاديث آحاد وهذا غلط ناتج عن جهلهم بالسنة وعلم الحديث وصنعته، ثم زعموا تبعاً للمعتزلة والمتكلمين أن أحاديث الآحاد لا تقبل في باب العقائد ولا تفيد اليقين، ومن هنا ردوا عذاب القبر مع أنه متواتر في الأصل، وزعموا الإجماع على رد أحاديث الآحاد في العقائد مع أن عمل الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم التابعين على قبول خبر الواحد في الأحكام والعقائد، وأئمة السلف الصالح أهل السنة والجماعة كابراً عن كابر وحاضراً عن غابر.

وقد كتب الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه» كتاباً كاملاً سماه: أخبار الآحاد.

ومن شاء البسط فعليه برسالة شيخنا الإمام المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه: «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة، والرد على شبه المخالفين»(١).

---

(١) وانظر «الكفاية» (١/ ١٠٧-١٢٩)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٣٩٤-٤٠٥)، و«مجموع الفتاوى» (١٨/ ١٦-١٧).

قال الإمام أبو بكر الخطيب البغدادي رحمه الله:«وإنما دفع خبر الواحد بعض أهل الكلام؛ لعجزه -والله أعلم- عن علم السنن، رغم أنه لا يقبل منها إلا ما تواترت به أخبار من لا يجوز عليه الغلط والنسيان، وهذا عندنا ذريعة لإبطال سنن المصطفى ﷺ»(١).

فأصلهم الفاسد القائل برد أحاديث الآحاد في الاعتقاد من زعمهم المرتب وجهلهم المركب، أفي عقولهم جِنّة؟ أم على قلوبهم أكِنّة؟

فـ«خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به واعتقاداً وتصديقاً له، يفيد العلم اليقين عن جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع»(٢).

ورحم الله الإمام أحمد القائل:«عذاب القبر حق ولا ينكره إلا ضال مضل»(٣).

ولو سلمنا أن أحاديث القبر آحاد، يجب الأخذ بها لأن القرآن يشهد لها كما قال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٥-٤٦].



(١) «الفقيه والمتفقه» (١/ ٩٧-٩٨).

(٢) «شرح الطحاوية» للإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله (ص:٣٩٩).

(٣) ذكره في «طبقات الحنابلة» (١/ ٦٢).

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإيمان بفتنة القبر

📖 ([١٨] وَمُنكَرٌ وَنَكِيرٌ حَقٌّ):

سؤال الملكين حق ثابت، والأحاديث فيه متواترة .

وفتنة القبر: هي اختبار الميت وسؤاله إذا دفن عن ربه ودينه ونبيه.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:«**إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾** »[١].

وكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال:«**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**»[٢].

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يُلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكث به في الأرض، فرفع رأسه فقال:«**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»، مرتين أو ثلاثاً.

ثم قال:«**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلاَئِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ؛ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، والحاكم (١/ ٥٢٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٥٦)، وصححه شيخنا الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢٧٥٨).

أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ».

قال:«فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ؛ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنْ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

قال:«فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلاَمُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ».

قال:«وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي

وَمَالِي».

قال:«وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ؛ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ»، قال:«فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ؛ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ».

ثمَّ قرأَ رسولُ اللَّه ﷺ:﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف:٤٠]، فيقول الله ﷻ :«اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحاً»، ثمَّ قرأَ:﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج:٣١].

«فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ؛ لا أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ؛ لا أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ؛ لاَ أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ؛ فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ! فَيَقُولُ: أَنَا

عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ».

وفي رواية: في حال المؤمن:«حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلاَّ وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ يُعْرَجَ بِرُوحِهِ مِنْ قِبَلِهِمْ».

و في حال الكافر:«ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَاباً، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَاباً ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ»، قال البراء:«ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ، وَيُمَهَّدُ مِنْ فُرُشِ النَّارِ»[١].

◘ وللمسؤول في قبره حالان:

إن كان مؤمناً أجاب: ربي الله والإسلام ديني ومحمد ﷺ نبيي فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً من الجنة، ويفسح له مد بصره.

وإن كان غير ذلك قال: هاه هاه! لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحه يسمعها كل شيء إلا الثقلين، وينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَالآخَرُ: النَّكِيرُ، فَيَقُولاَنِ: مَا

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وابن ماجه (١٥٤٨)، وغيرهما، وصححه شيخنا في «صحيح أبي داود» (٣٩٧٩)، وتحقيق «المشكاة» (١٧١٣).

كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولاَنِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا.

ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولاَنِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لاَ يُوقِظُهُ إِلاَّ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ مُنَافِقاً قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ؛ لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلاَعُهُ، فَلاَ يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّباً حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[1].

وهذا حديث ثابت، وبذا يظهر خطأ من أنكر تسمية الملكين السائلين: بـ:(منكر ونكير) بعقله.

وسمي الملكان بـ(منكر ونكير) لأن الميت ينكرهما ولا يعرفهما، وهيئتهما منكرة .

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال:«إذا دفنتموني فشُنُّوا التراب شناً، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى استأنس بكم، وانظر ماذا أراجع به رسل ربي»[2].

قال الإمام أحمد رحمه الله:«والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تفتن في قبورها، وتسأل عن الإيمان والإسلام، ومن ربه؟ ومن نبيه؟ ويأتيه منكر ونكير كيف يشاء

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه شيخنا الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٣٩١).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١).

الله ﷻ وكيف أراد، والإيمان به والتصديق به»[(١)].

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، ونسألك نعيمه، ونعوذ بك من نار جهنم، ونسألك الحسنى وزيادة، اللهم تقبل توباتنا واغسل حوباتنا، واغفر لنا وارحمنا واهدنا، وثبتنا على دينك وسنة نبيك ﷺ، اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة والعاقبة ونعوذ بك من سوء الخاتمة والعاقبة، اللهم اجعلنا لك شاكرين ذاكرين مخبتين وإليك راغبين راهبين، اللهم ألهمنا الرشد والإخلاص في أقوالنا وأعمالنا، اللهم طهر قلوبنا واسلل سخيمة صدورنا.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المتقين وخليل رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه اللالكائي (٣١٧).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإيمان بالكرام الكاتبين

([١٩] وَالكِرَامُ الكَاتِبُونَ حَقٌّ):

من الإيمان بالملائكة وهو أحد أصول الإيمان: الإيمان بما أعلمنا الله ورسوله ﷺ من أصنافهم، ومنهم:

الملائكة الحفظة: وهم على نوعين:

١- حفظة للعبد في جميع أحواله وهم المعقبات الذين قال الله فيهم: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[الرعد:١١]، أي: يحفظونه بأمر الله فإذا جاء قدر الله تركوه وإياه.

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾[الأنبياء:٤٢].

وقال النبي ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ-: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»(١).

وليس هذا النوع موضوع بحثنا.

٢- حفظه على العبد، وهم الكرام الكتبة يكتبون عمل العبد من خير وشر، فالذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات، وهما اللذان قال الله فيهم: ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

يَكۡتُبُونَ ﴾[الزخرف:٨٠].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[ق:١٨].

وقال جل ذكره: ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴾[يونس:٢١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[الإنفطار:١٠-١٢].

فقد أعلم الله الكتبة ما يعمل عباده فيكتبون أقوالهم وأفعالهم بل وأفعال قلوبهم، أما ما كان من قبيل الهم فيعلمونه ويحفظونه، فإذا عزم عليه العبد أو نطق به أو عمل كُتب عليه كما قال النبي ﷺ: **«يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ»**(١).

وقال ﷺ: **«قَالَتْ الْمَلاَئِكَةُ: رَبِّ؛ ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً -وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ-، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ؛ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ»**(٢).

ولذا يجد العبد كتابه قد حوى كل شيء صدر منه ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾[الكهف:٤٩].

فمن آمن حقاً بالكرام الكاتبين زجره إيمانه عن معصية الله لعلمه بوجود شهود عليه من الملائكة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٩) من حديث أبي هريرة.

وهذا الكتاب إنما هو لإحصاء أعمال العباد وأقوالهم وإيقافهم عليها لإظهار عدل الله ﷻ كما قال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[الزلزلة:٧-٨].



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإيمان بالبعث وما يكون يوم القيامة

(([٢٠] وَالبَعثُ مِن بَعدِ المَوْتِ حَقٌّ):

اعلم أيها الطالب للسلامة، الساعي في تحصيل أسباب الفوز والكرامة أنه لا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بما يكون يوم القيامة:

وذلك أنه إذا أذن الله ﷻ بانقضاء الدنيا وقيام القيامة الكبرى أمر إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصور -وهو قرن عظيم كهيئة البوق- النفخة الأولى وهي الراجفة، فيفزع كل من في السموات ومن في الأرض ثم يصعقون إلا من شاء الله، ولا يكون إلا شرار الناس، وتصبح الأرض صعيداً جرزاً، والجبال كثيباً مهيلاً، وتكورالشمس ويخسف القمر ويلقيان في النار تبكيتاً لعبّادهما، وتتناثر النجوم، وتوقد البحار وتتفجر، وتكشط السماء وتشقق وتطوى إلى غير ذلك من الأمور الهائلة والأحداث العظيمة التي تكون في آخر أيام الدنيا.

ثم يأمر الله السماء فتمطر مطراً كمني الرجال أربعين يوماً فينبت منه الناس في قبورهم من عجب أذنابهم، حتى إذا تم خلقهم وتركيبهم، أمر الله إسرافيل بأن ينفخ في الصور النفخة الثانية -وهي الرادفة- فيقوم الناس من الأجداث أحياءً وتعود أرواحهم إلى أجسادهم، ثم تحشرهم الملائكة إلى الموقف حفاة غير متنعلين، عراة غير مكتسين غرلاً غير مختتنين ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾[الأنبياء:١٠٤].

وهنالك في الموقف تدنو الشمس من رؤوس الخلائق بمقدار ميل، ويلجمهم العرق، فمنهم من يبلغ كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ حقويه، ومنهم من يبلغ ثدييه، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ ترقوته، ومنهم من يبلغ أذنيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً كل على قدر عمله، ويكون أناسٌ في

ظل الله ﷻ، فإذا اشتد الأمر بالخلق وعظم الكرب استشفعوا إلى الله ﷻ بالرسل والأنبياء أن ينقذوهم مما هم فيه، وكل رسول يُحيلُهم على من بعده حتى يأتوا نبينا ﷺ فيقول:«أَنَا لَهَا»، فيشفع فيهم فينصرفون إلى فصل القضاء، وذلك هو المقام المحمود الذي وعد الله نبيه ﷺ.

ثم تنصب الموازين ثم تنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال التي كتبها الكرام الكاتبون ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[الإسراء:١٣-١٤]، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾[الإنشقاق:٧-٩]، ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾[الإنشقاق:١٠-١٢]، ويقول: ﴿ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾[الحاقة:٢٥-٢٦].

ثم يحاسب الله الخلائق ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾[الحاقة:١٨].

فأما المؤمن فيخلو به الله ﷻ ويقرره بذنوبه حتى يقر ويعترف ثم يقول الله له:«**سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**»، فينجو.

وأما الكافر فتحصى أعماله ويقرر بها ثم ينادي على رؤوس الأشهاد:﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨ ﴾[هود:١٨].

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله: الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء، ثم يكون ورود المؤمنين للحوض ثم المرور على الصراط إما إلى جنة وإما إلى نار.

(البَعثُ مِن بَعدِ المَوْتِ):

البعث في اللغة: الإرسال والنشر.

وفي الشرع: هو إحياء الموتى يوم القيامة للحساب وإعادتهم بعينهم معاداً جسمانياً بجمع ما تفرق من أجسامهم ثم إنشائهم نشأة أخرى ثم إعادة أرواحهم، فهو بعث على الحقيقة للأبدان والأرواح لتلقيا النعيم والعذاب والثواب والعقاب.

ويكون لكل من مات قبر أو لم يقبر كما أخبر -جل ذكره-: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[النحل:٣٨]، وإنما قيده بالمقبورين في قوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[الحج:٧]، لأن أكثر الناس يقبرون ويدفنون.

ويأتي إثبات البعث في كتاب الله على أحد خمسة وجوه:

١- التصريح بالبعث كما في قوله تعالى:﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾، وقوله: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[التغابن:٧]، وقوله ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[الحجر:٢٣-٢٥]، وقوله:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[البقرة:٢٨]، وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾[الحجر:٣٦-٣٨]، وقوله: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[المجادلة:٦].

٢- التنبيه بالنشأة الأولى كما في قوله عز شأنه: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، وقال: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[يس:٧٨-٧٩]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾[الحج:٥]، وقال:﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[القيامة:٣٦-٤٠].

٣- التنبيه بضرب الأمثال ومنه التنبيه بإحياء الأرض بعد موتها كما في قوله ﷻ:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[فصلت:٣٩]، وقال: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[الحج:٥-٦]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الزخرف:١١]، وقوله:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[فاطر:٩].

٤- التنبيه بخلق السموات والأرض كما في قوله ﷻ :﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[يس:٨١]، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[الأحقاف:٣٣]، وقوله: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[غافر:٥٧].

٥- التنبيه بأسماء الله وصفاته ومنها الحكمة كما في قوله تنزه وتقدس: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾[المؤمنون:١١٥-١١٦]، فعدم البعث بعد الخلق منافٍ لحكمته تعالى، وقال:﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[العنكبوت:٢٠-٢٢].

وقد استفاضت الأحاديث المحمدية في إثبات البعث:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب، فقال:«**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً** ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[الأنبياء:١٠٤]، **وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ؛ أُصَيْحَابِي! فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ:** ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ -إلى قوله:- الْحَكِيمُ ﴾[المائدة:١١٧-١١٨]»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«**يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعاً وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ**»[2].

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**»، قال سليم بن

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (٢٨٦٣).

عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكحل به العين؟ قال:«فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَاماً»، قال: وأشار رسول الله ﷺ إلى فيه[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«إِنَّ فِي الإِنْسَانِ عَظْماً لاَ تَأْكُلُهُ الأَرْضُ أَبَداً، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال: «عَجْبُ الذَّنَبِ»[(٢)]، وعنه عن النبي ﷺ قال:«إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الآخِرَةِ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِالْعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَذَلِكَ كَانَ أَمْ بَعْدَ النَّفْخَةِ»[(٣)].

وفي الحديث القدسي:«يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: لَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ إِعَادَتِهِ»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ -فِيهَا مُنَافِقُوهَا-، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٧٤)، وأحمد (٢/ ٣١٧، ٣٥٠)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٦٧) من حديث أبي هريرة.

يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ.. سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟».

قَالُوا: بَلى يا رسول اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ؛ غَيْرَ أَنَّهَا لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلاَمَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ.

وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ؛ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ، فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيقولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ: بَعْدَ ذَلِكَ: يَا رَبِّ؛ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؛ وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ؛ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي اللَّهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ؛ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؛ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ؛ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ؛ فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا؛ فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا؛ فَيَتَمَنَّى، حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه لأبي هريرة رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ**».

قال أبو هريرة رضي الله عنه: لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله: «**لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ**».

قال أبو سعيد رضي الله عنه: إني سمعته يقول: «**ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ**»[1].

وفي رواية: قال أبو هريرة رضي الله عنه: «فذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة»[2].

وعليه؛ فمن كذب بالبعث -مع كثرة أدلته- فهو كافر بالله جل شأنه وعز ثناؤه وتقدست صفاته وأسماؤه، وكافر بكتب الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وبإجماع المسلمين وبصريح العقل.

قال -تبارك وتعالى-: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[الرعد:٥].

وقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾[النمل:٦٧].

وقال: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[التغابن:٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٨).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:«قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُؤاً أَحَدٌ»[1].

وقد اتفق المسلمون واليهود والنصارى على إثبات البعث والمعاد وقد أنكره الدهريون والملاحدة -في كل زمان-، نعوذ بالله من الخذلان.



(١) سبق تخريجه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حكم أهل الكبائر في الدنيا والآخرة

📖 ([٢١] وَأهلُ الكَبَائِرِ في مَشِيئَةِ اللهِ عَجَلّ لاَ نُكَفِّرُ أَهلَ القبلةِ بِذُنُوبِهِم، وَنَكِلُ سَرَائِرَهم إلى الله عَجَلّ):

📄 (وَأهلُ الكَبَائِرِ في مَشِيئَةِ الله):

إن شاء غفر لهم جَلَّ، وإن شاء عذّبهم لأمد ثم يدخلهم الجنة، وهذا هو الحكم الجزائي يوم القيامة فلا يخلد في النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان.

والكبيرة: هي كل ما أوجب لصاحبه الحد في الدنيا أو اللعنة أو الغضب أو حبوط الأعمال أو الوعيد الشديد أو دخول النار.

أما في الدنيا فلا يحكم على أهل الذنوب والكبائر -فيما دون الكفر- بالكفر ما لم يستحلوها بل هم مسلمون فسّاق ناقصو الإيمان، كما قالا رحمهما الله: (لاَ نُكَفِّرُ أَهلَ القبلةَ بِذُنُوبِهِم).

📄 (وَنَكِلُ سَرَائِرَهم إلى الله عَجَلّ):

لأنا لم نؤمر بالحكم على بواطن الناس وسرائرهم.

قال -تبارك وتعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾[الحجرات:١١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾[الحجرات:١٢]، وقال: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾[الإسراء:٣٦].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ»، وذلك لما قال له خالد بن الوليد رضي الله عنه: «وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه»(١).

ولهذا يُحب المسلم على ما عنده من طاعة وإيمان، ويبغض على ما عنده من فسوق وعصيان، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[البقرة:١٧٨]، فأثبت الأخوة الإيمانية بين المتقاتلين.

وقد دل على إثبات هذا الأصل وهو عدم إخراج أهل الكبائر من الإيمان:

◻ القرآن والسنة والإجماع:

قال جل ذكره: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[النساء:٤٨]، فلا يغفر الله الشرك أما ما دونه فيغفره إن شاء ويعذب عليه إن شاء ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[الكهف:٤٩]، وليس مقصود الآية إن الله يغفر ما دون الشرك إذا تاب منه صاحبه لأنه لو كان ذلك هو المقصود لما صح نفي مغفرة الله لمن أشرك شيئاً، لأن الله يغفر لمن تاب ولو كان مشركاً.

وقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات:٩-١٠]، فسمى الله الطائفتين المقتتلتين إخوة مؤمنين رغم تقاتلهما، وجعل الطائفة المصلحة أخوة للطائفتين المقتتلتين، مع أن القتل كبيرة من كبائر الذنوب.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٤) (١٠٦٤).

وقال -جل شأنه-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[التحريم:٨]، فخاطبهم بالإيمان وأمرهم بالتوبة ولا تكون التوبة إلا من ذنب.

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾[البقرة:١٧٨]، فسمى الله القاتل مؤمناً ولم يخرجه القتل من الإيمان.

وقال ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الزمر:٥٣]، فيخاطب الله عباده المكثرين من المعاصي والذنوب بعدم القنوط من رحمته، لأنه يغفر الذنوب، وأكد هذه المغفرة بقوله: ﴿ جَمِيعًا ﴾، وهذا فيما سوى الشرك.

وقال ﷻ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[النساء:٣١]، أي: إن اجتنبتم أكبر ما نهيتم عنه وهو الكفر بالله - تعالى- والشرك به نكفر عنكم سيئاتكم.

وقال رسول الله ﷺ:«**مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ**»[1].

فالمسلم لا يخرج من إسلامه بارتكاب الذنب، ما لم يستحله، ويرثه ورثته ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين.

وقال ﷺ:«**فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩١).

اللَّهِ»(١).

وقال:«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»(٢).

وقال ﷺ:«مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣).

وقال ﷺ:«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٤).

وقال ﷺ:«قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(٥).

وقال ﷺ:«وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً»(٦).

وقال ﷺ في الصحابي الذي شرب الخمر فجلد فسبه بعض الصحابة:«لاَ تَلْعَنُوهُ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ»(٧).

وقال:«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، وأحمد (٤/ ٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣)، وأبو داود (٣١١٦)، وانظر تخريجه في «إرواء الغليل» (٦٨٧) لشيخنا.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وصححه شيخنا رحمه الله.

(٦) أخرجه مسلم (٢٠) (٢٦٨٦).

(٧) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»[١].

فدلت هذه الأحاديث جميعها على أن التوحيد هو السبب الأعظم لمغفرة الذنوب -وإن كبرت-، فمن فقده فقد المغفرة ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة التي بها يستوجب دخول الجنة؛ ولو بعد حين.

ثم إن من الأدلة على عدم كفر فاعل الكبيرة أن الله فرض حدوداً على الزاني والسارق والقاذف ونحوهم وجعل هذه الحدود كفارات لهم، ولو كانوا كفاراً بارتكاب هذه الكبائر لأقيم عليهم حد الردة ولما جاز توريثهم.

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه»: (باب المعاصي أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك)[٢].

وقد نقل الإمام ابن عبد البر رحمه الله الإجماع على ذلك فقال:«فإن مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، فإن عذبه فبجرمه، وإن عفا عنه فهو أهل العفو وأهل المغفرة، وإن تاب قبل الموت وقبل حضوره ومعاينته، وندم واعتقد أن لا يعود واستغفر ووجل، كان كمن لم يذنب، وبهذا كله الآثار الصحاح عن السلف قد جاءت، وعليه جماعة علماء المسلمين»[٣].

وقال:«وقد اتفق أهل السنة والجماعة -وهم أهل الفقه والأثر- على أن أحداً

(١) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

(٢) «صحيح البخاري» (١/ ١٣-فتح).

(٣) «التمهيد» (٤/ ٤٩).

لا يخرجه ذنبه وإن عظم من الإسلام»[١].

وقد ضل الصواب في هذا الباب طائفتان:

١- **الخوارج والمعتزلة:** أفرطوا كعادتهم وحكموا على العاصي بالخروج من الإيمان في الدنيا، لأن الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، ثم قالت الخوارج بكفره، وقالت المعتزلة: إنه في منزلة بين المنزلتين: لا مسلم ولا كافر.

أما في الآخرة فاتفقوا على أنه خالد في النار، لا تلحقه مغفرة من الله ولا تناله شفاعة شافع؛ فهم اتفقوا على الحكم الجزائي الأخروي، واختلفوا في الحكم الدنيوي.

٢- **المرجئة:** فرطوا كعادتهم وجعلوا العاصي مؤمناً كامل الإيمان، إيمان كإيمان الأنبياء وهذا حكمهم في الدنيا، ولا عقاب عليه في الآخرة.

قال شيخ الإسلام ﷺ:«المرجئة: الذين لا يجزمون بتعذيب أحد من فساق الأمة»[٢].

أما أهل السنة والجماعة فقالوا: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، مستحق للوعد بإيمانه وللوعيد بمعاصيه، وإنه لا يخلد في النار كما يخلد الكفار بل يخرج منها بعد التطهير أو الشفاعة أو عفو الله ورحمته، ويدخل جنة الرحيم الغفار، فلم يعطوا العاصي (الإيمان المطلق) وهو كمال الإيمان، ولم يسلبوا عنه (مطلق الإيمان) وهو أصل الإيمان.

نسأل الله عفوه ورضوانه، ورحمته وغفرانه، وفضله وإحسانه.

---

(١) «التمهيد» (١٧/ ٢٢).

(٢) «الصفدية» (٢/ ٣١٣).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الجهاد والحج ماضيان مع ولاة الأمر

📖 ([٢٢] وَنُقِيمُ فَرضَ الجِهادِ وَالحَجِّ مَعَ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ في كُلِّ دَهرٍ وَزَمَانٍ).

📖 ([٢٥] وَأَنَّ الجِهَادَ مَاضٍ مُنذُ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ مَعَ أُولِي الأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِين لاَ يُبطِلهُ شَيءٌ، وَالحَجَّ كَذَلِكَ):

يقرر الشيخان هنا في -هاتين الفقرتين- مسألة من مسائل الفقه صارت جزءاً من اعتقاد أهل السنة والجماعة يدل عليهم وهي: أن الجهاد والحج وما شابههما كصلاة الجمعة والعيدين تقام مع ولي الأمر براً كان أم فاجراً، مقسطاً كان أم جائراً، عادلاً كان أم ظالماً وذلك لأمور:

١- أن هاتين العبادتين لا تقومان إلا بالاجتماع فهي عبادات جماعية.

٢- أنهما يحتاجان إلى أمير يسيّر الناس ويسُوسُهم.

٣- أنهما تقامان بالإمام الفاجر كما تقامان بالإمام البر.

٤- أنهما من التعاون على البر والتقوى.

٥- أنهما من المعروف الذي حصر النبي ﷺ الطاعة فيه[1]، والمعروف: هو ما عُرف بالشرع حسنه، وأعلى ذلك الطاعات التي يتقرب بها إلى الله وفي مقدمتها أركان الإسلام الخمسة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- إن في ذلك إن كان الولاة ظلمة، أعانة لهم على الخير وترغيباً فيه قولاً

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٠).

وعملاً يقول النبي ﷺ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ»[١].

وسئل ﷺ: يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ قال: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»[٢].

وقال ﷺ: «شِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «لاَ مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلاَةَ، أَلاَ مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلاَ يَنْزِعَنَّ يَداً مِنْ طَاعَةٍ»[٣].

وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يصلّون خلف الفجرة كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقد كان يشرب الخمر وصلى مرة الصبح أربعاً، وصلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خلف الحجاج بن يوسف.

قول الشيخين (إلى قِيَامِ السَّاعَةِ) أي: إلى قرب قيام الساعة، لأنه قد ثبت في الأحاديث أنه قبل قيام الساعة لا يبقى على الأرض من يقول: «الله الله»[٤].

وهذا كثير في عبارات أهل العلم ولهذا قالا -في الفقرة السابقة-: (فِي كُلِّ دَهرٍ وَزَمَانٍ).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٢)، ومسلم (١٨٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٦)، والترمذي (٢١٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥)، وأحمد (٦/ ٢٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٤٨).

قال الإمام أحمد رحمه الله: «والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيامة، البر والفاجر لا يترك»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصالحهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ: «**إِذَا خَرَجَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**»[٢].

... فأوجب تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله -تعالى- أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل، وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، ولا تتم إلا بالقوة والإمارة»[٣].

وقد خالف أهل السنة والجماعة في هذا الأصل طائفتان:

١- **الرافضة:** قالوا: لا يطاع إلا الإمام المعصوم ولا يحج ولا يجاهد إلا معه، وهذا الإمام المعصوم -الذي هو في الحقيقة معدوم-: هو المدعو محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر من أئمتهم، دخل السرداب في سامراء سنة ستين ومائتين (٢٦٠) وما زال حياً إلى الآن! وينتظرون خروجه! مع أن الحسن

(١) أخرجه اللالكائي (٣١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٠٨)، وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٣٢٢) لشيخنا -عليه رحمة الله-.

(٣) «السياسة الشرعية» (ص١٣٦-١٣٧).

العسكري (ت٢٥٤هـ) الإمام الحادي عشر عندهم لم يعقب.

ويعتقدون أن من آمن بإمامة الأئمة المعصومين فله الجنة حتى لو كان فاجراً فاسقاً عاصياً، وأن السني له النار حتى لو كان براً تقياً طائعاً.

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلمُ

٢- الخوارج: قالوا: لا طاعة للأمير إلا إذا كان براً صالحاً لا معصية عنده، وإلا فلا يحج معه ولا يجاهد بل ينصبون لأنفسهم أميراً يحجون معه ويجاهدون، وتاريخهم شاهد على هذا الاعتقاد الفاسد.



رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

النهي عن الخروج ووجوب طاعة ولاة الأمور بالمعروف

([٢٣] وَلاَ نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى الأَئِمَّةِ، وَلاَ الْقِتَالَ فِي الفِتنَةِ، وَنَسْمَعُ وَنُطِيعُ لِمَن وَلاَّهُ اللهُ أَمرَنَا، وَلاَ نَنْزِعُ يَداً مِن طَاعَةٍ):

من الأصول العظيمة التي عليها يقوم اعتقاد السلف أهل السنة والجماعة، ومن خالفها يكون مخالفاً للسنة والجماعة: النهي عن الخروج على الأئمة وولاة الأمور، ووجوب طاعتهم بالمعروف.

(وَلاَ نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى الأَئِمَّةِ، وَلاَ الْقِتَالَ فِي الفِتنَةِ):

يكون الرجل خارجياً بأحد صفتين:

١- إن اعتقد وجوب الخروج على الإمام وكفره أو صحح هذا المذهب ولم يخرج فهو خارجي.

٢- إن خرج على الإمام بسيفه وسعى في قتله وإزالته فهو خارجي، ولهذا كان السلف يظهرون البراءة من الخروج بقولهم: (وَلاَ نَرَى الْخُرُوجَ) ويحكمون على الرجل بالخروج بقولهم: (كان يرى السيف).

ويدخل في الخوارج: من شحن قلوب الناس على الإمام بإثارة الحماسة والعواطف التي لا تأتي إلا بالفتن العواصف، وكذا من دعا على الإمام على المنابر، وفي المحافل فيأخذ حكمهم، لأن الوسائل لها أحكام المقاصد، فكما أن الخروج محرم وكبيرة فكذا ما أوصل إليه أو دل عليه.

وقد تواترت الأحاديث تواتراً معنوياً في ذم الخوارج والخروج وليس هذا موضعها، مع ما في الخروج من إراقة للدماء ونشر للفوضى وغير ذلك مما هو

معلوم.

ولا يسوغ الخروج على الإمام إلا إذا رأينا منه كفراً بواحاً عندنا من الله فيه برهان كما قال ﷺ: «**إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(١).

ففي هذه الحالة يجوز الخروج؛ ولا يجب مع تقدير المصالح والمفاسد، وتوفر القدرة المتيقنة، فليس مجرد الجور والفسق والمعصية والظلم من الإمام يستوجب الخروج عليه.

وهذا خلافاً لما اعتقدته الخوارج والمعتزلة ومن شابههم بالخروج على الإمام إن ظهر من فسق أو معصية أو ظلم.

وما خرجت طائفة على إمامها إلا كان في خروجها شر وفساد أعظم من الشر الذي سعت لإزالته، وارتكاب أخف المفسدتين لدفع أعلاهما من قواعد الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ، فلا يجوز أن يزال لما فيه من ظلم وجور، كما هو عادة أكثر النفوس، تزيل الشر بما هو شر منه، وتزيل العدوان بما هو أعدى منه، فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم، فيصبر عليهم كما يصبر عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ظلم المأمور والنهي في مواضع كثيرة»(٢).

وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «هم يلونَ من أمورنا خمساً: الجمعةَ، والجماعة، والعيد، والثُّغور، والحدود، والله ما يستقيم الدِّين إلاَّ بهم، وإنْ جاروا وظلموا، والله لَمَا يُصْلِحُ الله بهم أكثرُ ممَّا يُفسدون، مع أنَّ -والله- إنَّ طاعتهم

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (٤٢)(١٧٠٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٧٩).

لغيظٌ، وإنَّ فرقتهم لكفرٌ»[١].

وقال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل الشيباني ﵀: «ومن خرج على إمام المسلمين، وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة؛ بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق»[٢].

قال شيخ الإسلام: «ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ، لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته»[٣].

(الأئِمَّة): سمي الإمام إماماً لائتمام رعيته بأمره ونهيه، وقد ورد هذا الاسم في قوله ﷺ:**«خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ..»**[٤] الحديث، وفي قوله ﷺ:**«مَنْ بَايَعَ إِمَاماً فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ؛ فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا رَقَبَةَ الآخَرِ»**[٥].

---

(١) نقله الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/١١٧).

(٢) أخرجه اللالكائي (٣١٧).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣٩١).

(٤) مضى تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

وقوله:«**إِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ؛ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ؛ فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْراً، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ**»(١).

وقد سبق معنى الخليفة، وكلها مؤدية لمعنى واحد.

(وَلاَ القِتَالَ فِي الفِتنَةِ): قال الإمام ابن بطة العكبري رحمه الله:«ونحن الآن ذاكرون شرح السنة ووضعها وما هي في نفسها، وما الذي إذا تمسك به العبد، دان الله به سُمي بها واستحق الدخول في جملة أهلها، وما إن خالفه أو شيئاً منه دخل في جملة من عبناه وذكرناه وحذّر منه -من أهل البدع والزيغ-، مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة مذ بعث الله نبيه ﷺ إلى وقتنا هذا»(٢).

إلى أن قال:«ثم من بعد ذلك الكف والقعود في الفتنة ولا يخرج بالسيف على الأئمة وإن ظلموا..»(٣).

قال ﷺ: «**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَرَاماً**»(٤)، وقال:«**أَلاَ إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الأُمَمَ، فَلاَ تَقْتَتِلُنَّ بَعْدِي**»(٥).

وقال:«**لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٤١).

(٢) «الشرح والإبانة» (ص١٧٥).

(٣) المصدر السابق (ص٢٧٦).

(٤) أخرجه البخاري (٦٨٢٢).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٩٤٤)، وصححه شيخنا رحمه الله.

(٦) أخرجه البخاري (٧٠٧٨)، ومسلم (٦٥).

وقال: «**مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً فَاعْتَبَطَ بِقَتْلِهِ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً**»[(١)].

قال خالد بن دهقان: سألت يحيى بن يحيى الغساني (ت:١٩٠هـ) عن قوله: «اعتبط بقتله» ؟ قال: «الذين يقاتلون في الفتنة، فيقتل أحدهم، فيرى أنه على هدى، لا يستغفر الله»، يعني من ذلك[(٢)].

(وَنَسْمَعُ وَنُطِيعُ لِمَن وَلاَّهُ اللهُ أَمرَنَا، وَلاَ نَنزِعَ يَداً مِن طَاعَةٍ):

من المعلوم من الدين بالضرورة أنه لا دين بلا جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا أمير بلا سمع ولا طاعة.

قال الله -تقدس وتنزه-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[النساء:٥٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -تغمده الله برحمته-: «طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم»[(٣)].

وفي هذه الآية إشارة إلى أن طاعة أولي الأمر تبع لطاعة الله ورسوله ﷺ، فلم يقل تعالى: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر ، فإذا أمر ولي الأمر بما فيه طاعة لله ﷻ أطيع وإلا فلا.

وقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[النساء:٨٠].

ومن طاعة الرسول ﷺ طاعة الأمير كما قال ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ،**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٧٠)، وصححه شيخنا.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٧١)، وصححه شيخنا.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥/١٦).

وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعْ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»[١].

وقال: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ؛ إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ»[٢].

وعن أبي ذر ﷺ قال: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف»[٣].

وفي رواية: «ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة»[٤].

وقال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ»[٥].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله»[٦].

قال الإمام ابن رجب الحنبلي ﷺ: «السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين فيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥)، والنسائي (٤١٩٣، ٥٥١٠)، وابن ماجه (٢٨٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩)، وأبو داود (٢٦٢٩)، والترمذي (١٧٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٣٧)، وابن ماجه (٢٨٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٣) .

(٥) أخرجه البخاري (٧٠٥٣، ٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٦) أخرجه البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم(٤١) (١٧٠٩).

دينهم وطاعة ربهم»[١].

ورحم الله ابن المبارك إذ يقول:

كم يرفع الله بالسلطان مظلمةً في ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل وكان أضعفنا نهباً لأقوانا[٢]

وإن أمر ولي الأمر لا يخلو من ثلاثة وجوه:

١- أن يأمر بطاعة الله ﷻ فتجب طاعته بالاتفاق امتثالاً لأمر الله وامتثالاً لأمرهم، كما لو أمر بالصلاة والزكاة.

٢- أن يأمر بأمر ليس فيه أمر ولا نهي من الله أو رسوله ﷺ فتجب طاعته كما في المسائل الاجتهادية التي لا نص فيها.

٣- أن يأمر بمعصية الله ﷻ فلا سمع ولا طاعة لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولا تتنافى الطاعة مع الظلم بل طاعة وصبر كما قال نبينا محمد ﷺ: **«تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ؛ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»**[٣].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١١٧).

(٢) قال الذهبي: «يقال: إن الرشيد أعجبه هذا، فلما أن بلغه موت ابن المبارك بـ «هيت» قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا فضل، إيذن للناس يعزوننا في ابن المبارك وقال: أما هو القائل: الله يدفع بالسلطان مظلمة....
فمن الذي يسمع هذا من ابن المبارك، ولا يعرف حقنا». «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤١٤).

(٣) أخرجه مسلم (٥٢) (١٨٤٧).

وقال ﷺ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**»، قالوا: يا رسول الله؛ فما تأمرنا؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ**»(١).

قال أنس رضي الله عنه: «نهى كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله، واصبروا، إن الأمر قريب»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الصبر على جور الأئمة أصل من أصول أهل السنة والجماعة»(٣).

قال العلامة عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله: «أكثر ولاة أهل الإسلام من عهد يزيد بن معاوية -حاشا عمر بن عبد العزيز ومن شاء الله من بني أمية- قد وقع منهم من الجراءة والحوادث العظام والخروج والفساد في ولاية أهل الإسلام، ومع ذلك فسيرة الأئمة الأعلام والسادة العظام معهم معروفة مشهورة، لا ينزعون يداً من طاعة فيما أمر الله به ورسوله ﷺ من شرائع الإسلام، لا يعلم أن أحداً من الأئمة نزع يداً من طاعة، ولا رأى الخروج عليهم»(٤).

وقصة الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله المشهورة على الألسن مذكورة وفي الكتب مسطورة.

قال حنبل بن إسحاق بن حنبل: لما أظهر الواثق هذه المقالة، وضرب عليها

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٨)، ومسلم (١٨٤٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٤٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٦٩) بإسناد حسن.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٧٩).

(٤) «الدرر السنية» (٧/ ١٧٧).

وحبس، جاء نفر إلى أبي عبد الله من فقهاء أهل بغداد: فيهم بكر بن عبد الله وإبراهيم بن علي المطبخي، وفضل بن عاصم، وغيرهم، فأتوا أبا عبد الله وسألوا أن يدخلوا عليه فاستأذنت لهم فدخلوا عليه، فقالوا له: يا أبا عبد الله؛ إن الأمر قد فشا وتفاقم، وهذا الرجل يفعل ويفعل! وقد أظهر ما أظهر! ونحن نخافه على أكثر من هذا! وذكروا له أن ابن أبي دؤاد مضى على أن يأمر المعلمين بتعليم الصبيان في الكتاب مع القرآن، القرآن كذا وكذا.

فقال لهم أبو عبد الله: «وماذا تريدون؟».

قالوا: أتيناك نشاورك فيما تريد.

قال: «فما تريدون؟».

قالوا: لا نرضى بإمرته ولا بسلطانه.

فناظرهم أبو عبد الله ساعة، حتى قال لهم -وأنا حاضرهم- «أرأيتم إن لم يبق لكم هذا الأمر، أليس قد صرتم من ذلك إلى المكروه؟ عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يداً من طاعته، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ولا دماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، ولا تعجلوا، واصبروا حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر».

ودار بينهم في ذلك كلام كثير لم أحفظه، واحتج عليهم أبو عبد الله بهذا، فقال بعضهم: إنا نخاف على أولادنا، إذا ظهر هذا لم يعرفوا غيره ويمحى الإسلام ويدرس.

فقال أبو عبد الله: «كلا، إن الله ﷻ ناصر دينه وإن هذا الأمر له رب ينصره، وإن الإسلام عزيز منيع.

فخرجوا من عند أبي عبد الله، ولم يجبهم إلى شيء مما عزموا عليه، أكثر من النهي عن ذلك والاحتجاج عليهم بالسمع والطاعة، حتى يفرج الله عن الأمة فلم يقبلوا منه.

فلما خرجوا، قال لي بعضهم: امض معنا إلى منزل فلان رجل سموه حتى نوعده لأمر نريده.

فذكرت ذلك لأبي، فقال لي أبي: لا تذهب واعتل عليه، فإني لا آمن أن يغمسوك معهم فيكون لأبي عبد الله في ذلك ذكر، فاعتللت عليهم ولم أمض معهم.

فلما انصرفوا دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله.

فقال أبو عبد الله لأبي: «يا أبا يوسف هؤلاء قوم قد أشرب قلوبهم ما يخرج منها فيما أحسب، فنسأل الله السلامة، ما لنا ولهذه الآفة، وما أحب لأحد أن يفعل هذا».

فقلت له: يا أبا عبد الله، وهذا عندك صواب؟

قال: «لا، هذا خلاف الآثار التي أمرنا فيها بالصبر».

ثم قال أبو عبد الله: «قال النبي ﷺ:«**إِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ فَاصْبِرْ**»، وقال عبد الله بن مسعود: كذا.. »، وذكر أبو عبد الله كلاماً لم أحفظه.

قال حنبل: فمضى القوم، فكان من أمرهم أنهم لم يحمدوا، ولم ينالوا ما أرادوا،

اختفوا من السلطان وهربوا وأخذ بعضهم فحبس، ومات في الحبس[(١)].

وعن أبي الحارث الصائغ قال: سألت أبا عبد الله في أمر كان حدث ببغداد، وهمّ قوم بالخروج، فقلت: يا أبا عبد الله، ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم؟

فأنكر ذلك عليهم، وجعل يقول:«سبحان الله! الدماء.. الدماء! لا أرى ذلك، ولا آمر به.

الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة، يسفك فيها الدماء، ويستباح فيها الأموال، وينتهك فيها المحارم، أما علمت ما كان الناس فيه؟» يعني: أيام الفتنة.

قلت: والناس اليوم، أليس هم في فتنة يا أبا عبد الله؟

قال:«وإن كان، فإنما هي فتنة خاصة، فإذا وقع السيف عمت الفتنة، وانقطعت السبل.

الصبر على هذا ويسلم لك دينك خير لك».

ورأيته يُنْكِرُ الخروج على الأئمة، وقال:«الدماء! لا أرى ذلك، ولا آمر به»[(٢)].

(لِمَن وَلاَّهُ اللهُ أَمرَنَا):

قال الإمام إسماعيل بن كثير رحمه الله (ت٧٧٤): «والظاهر -والله أعلم- إنها في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء»[(٣)]، يقصد قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[النساء:٥٩].

---

(١) «المحنة» لحنبل بن إسحاق (ص٧٠-٧٢).

(٢) أخرجه الخلال في«السنة» (١/ ١٣٢) بسند صحيح.

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٥٣٠).

فإذا كان الإمام مع تدبيره لأمور رعيته الدنيوية عالماً بالأحكام الشرعية والدينية كالخلفاء الراشدين ومعاوية بن أبي سفيان -رضوان الله عليهم-، فهو ولي الأمر لا أحد غيره، وإن وجد من هو أعلم منه.

وإن لم يكن عالماً رجع إلى العلماء في مسائل الشرع والدين، أما إذا أطلق لفظ «ولي الأمر» فإنه ينصرف إلى الإمام.

ويلحق في ذلك أن يرجع ولي الأمر إلى أهل العلم بالحرب في الأمور الحربية، وهكذا في سائر شؤون الولاية.

(وَلاَ نَنزِعَ يَداً مِن طَاعَةٍ):

قال رسول الله ﷺ: **«أَلاَ مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلاَ يَنْزِعَنَّ يَداً مِنْ طَاعَةٍ»**[1].

وتُخَصُّ اليد في الذكر فيما ينزع لأن بها تتم البيعة.

والبيعة: هي إعطاء العهد على السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وعدم منازعته الأمر، وتفويض الأمور إليه مع المصافحة بالأيدي لتأكيد العهد، ولا تكون هذه البيعة إلا لولي الأمر والأمير المسلم، ويبايعه أكثر رعيته أو يبايعه أهل الحل والعقد وبقية الرعية تبع لهم.

وهذه البيعة هي التي يأثم الإنسان بتركها، أما البيعات الحزبية والحركية وبيعات المشايخ أصحاب الطرق الصوفية والتنظيمات فهي باطلة منقوضة، عاطلة مرفوضة.

---

(١) سبق تخريجه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا**»[١].

وقال ﷺ:«**مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ**»، أي: لا يجد حجة إذا سئل عن عصيانه لأمر الله ورسوله بوجوب طاعة ولي الأمر، «**وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[٢]، أي: على صفة موت أهل الجاهلية من حيث إنهم فوضى لا إمام لهم مطاع، فهو واقع في كبيرة من الكبائر، لا إنه يموت كافراً.

وقال ﷺ:«**مَنْ بَايَعَ إِمَاماً فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ؛ فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**»[٣].



---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٧٣).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الأمر باتباع السنة والجماعة واجتناب الشذوذ والفرقة

(٢٤] وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ، وَنجتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالخِلاَفَ وَالفُرقَةَ):

كل ما اعتقده اتباع السلف الصالح أهل الحديث والأثر والفرقة الناجية المنصورة، فهو عن اتباع للسنة والجماعة، وكل ما خالف اعتقادهم من اعتقادات أهل الأهواء والزيغ والبدع فهو شذوذ وخلاف وفرقة.

ولذا سمي أهل الحديث والأثر بأهل السنة والجماعة لجمعهم بين هذين الرصفين، فهم لم يجتمعوا إلا على السنة.

فيدخل في هذه الجملة جميع ما اعتقده أهل السنة والجماعة، ومن ذلك ما ذكره الشيخان -رحمهما الله- في هذا المعتقد من أوله إلى أخره.

وقد ضمَّن الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله (ت٣٢١هـ) هذه الجملةَ عقيدتَه المشهورة.

(وَنَتَّبِعُ): الاتباع: قبول العلم بدليله من الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة تصديقاً للخبر وعملاً بالأمر.

قال الله --جل وعلا-: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور:٦٣]، وقال: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[آل عمران:١٣٢]، وقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[آل عمران:٣١].

وقال: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[النساء:١١٥].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾[النور:٥٤].

وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[الحشر:٧].

وقال:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء:٦٩].

وقال:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[النساء:١٣-١٤].

وقال رسول الله ﷺ:«**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ؛ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى**»، قالوا: يا رسول الله؛ ومن يأبى؟ قال:«**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣)، وغيرهم، وصححه شيخنا الإمام في «السلسلة الصحيحة» (٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبه: «**أَمَّا بَعْدُ.. فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**»(١).

وقال ﷺ: «.. **فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**»(٣).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنّا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»(٤).

وقال: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة»(٥).

وقال: «ستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق»(٦).

وقال: «الاقتصاد في السنة، خير من الاجتهاد في البدعة»(٧).

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٨، ٢١٠)، وابن حبان (٦٥٣) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه اللالكائي (١٠٦)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٧١).

(٥) أخرجه الدارمي (٢١١)، والمروزي في «السنة» (٧٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٧٧٠)، واللالكائي (١٠٤)، وأبو خيثمة في «العلم» (٥٤)، وهو صحيح لطرقه.

(٦) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٦٥)، والطبراني (٨٨٤٥)، والدارمي (١٤٥)، والبيهقي في «المدخل» (٣٨٧، ٣٨٨).

(٧) أخرجه الدارمي (٢٢١)، والطبراني (١٠٤٨٨)، وابن بطة (١٦١)، واللالكائي =

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة»[(١)].

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى»[(٢)].

وقال محمد بن سيرين رحمه الله: «كانوا يقولون: إذا كان الرجل على الأثر فهو على الطريق»[(٣)].

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: «إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث؛ فلا تظنن غيره، فإن محمداً إنما كان مبلغاً عن ربه»[(٤)].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «لم أسمع أحداً نسبته عامة أو نسب نفسه إلى علم يخالف في أن فرض الله: اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه؛ فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وإن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحدٌ لا يختلف فيه الفرض»[(٥)].

= (١٤،١٣).

(١) أخرجه المروزي (٨٣)، واللالكائي (١٢٦)، وابن بطة (٢٠٥) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه الخلال (١٣٢٩)، وعبد الله (٧٦٦)، وابن بطة (٢٣٠، ٢٣١).

(٣) أخرجه الدارمي (١٤٣،١٤٢)، واللالكائي (١٠٩)، والآجري (٣٢) والبيهقي في «المدخل» (٢٣٠)، وابن بطة (١/ ٣٥٧) واللفظ له.

(٤) أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٤٠٠).

(٥) «مناقب الشافعي» (١/ ٤٧٥).

وقال الإمام أحمد رحمه الله:«كان أحسن أمر الشافعي عندي: أنه كان إذا سمع الخبر -يعني الحديث- لم يكن عنده؛ قال به وترك قوله»[١].

(السُّنَّة): الهدي الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في الاعتقاد والقول والعمل.

وقد بسطت القول فيها في مطلع هذا الكتاب.

(وَالجَمَاعَة):

الجماعة: هم أهل السنة والجماعة، أتباع السلف الصالح من الصحابة والتابعين، المجتمعون على العمل بالكتاب والسنة وعلى طاعة أئمتهم وأُمرائهم بالمعروف.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:«الجماعة ما وافق الحق؛ وإن كنت وحدك»[٢]

والحق: ما كانت عليه الجماعة الأولى.

قال العلامة أبو شامة المقدسي:«وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة؛ فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المستمسك به قليلاً، والمخالف كثيراً، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، ولا تنظر إلى كثرة أهل البدع»[٣]

وقد تكاثرت واشتهرت الأحاديث الآمرة بلزوم الجماعة:

---

(١) أخرجه البيهقي في «المدخل» (٢٥١).

(٢) أخرجه اللالكائي (١٦٠)، وصححه شيخنا الإمام رحمه الله.

(٣) «الباعث على انكار البدع والحوادث» (ص: ١٩-٢٠).

قال رسول الله ﷺ: «ثَلاَثٌ لاَ يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»(١) أي: من تمسك بهذه الخصال الثلاث فقد طهر قلبه من الخيانة والشر والحقد والغش ومفسدات القلب.

وقال ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْراً فَيَمُوتُ؛ إِلاَّ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ»(٣).

وعن عرفجة بن شريح الأشجعي رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس فقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ»(٤).

وقال ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْراً فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ»(٥)، أي: كان كالدابة إذا خلعت ربقتها وهي الطوق الذي يمسكها، فلا يُؤمن عليها عند ذلك من الهلاك أو الضياع.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٣)، وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠)، وصححه شيخنا الإمام رحمه الله.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٣، ٧١٥٤)، ومسلم (١٨٤٩)، وأحمد (١/ ٢٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، وصححه شيخنا في «صحيح الترمذي» (١٧٥٨).

(٤) أخرجه النسائي (٤٠٢٠)، وصححه شيخنا في «صحيح النسائي» (٣٧٥٣).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٧٥٨)، والترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، وصحح إسناده شيخنا رحمه الله.

وقال ﷺ:«لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنْ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ»[1].

ويدخل في التارك لدينه المفارق للجماعة صنفان: المرتدون، ومن خرج عن الجماعة ببدعة أو بغي كالخوارج إلا إذا تابوا وآبوا.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ فقال:«نَعَمْ»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال:«نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قال: قلت: وما دخنه؟ قال:«قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال:«نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، فقلت: يا رسول الله؛ صفهم لنا؟ قال:«نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قلت: يا رسول الله؛ فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:«أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة،

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٧٨)، وأبو داود (٤٣٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧)، وابن ماجه (٣٩٧٩)، وهو مخرج في «الصحيحة» (٢٧٣٩).

فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة»[١].

وعن ثابت بن العجلان أنه قال:«أدركت أنس بن مالك، وابن المسيب، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، والشعبي، وإبراهيم النخعي، وعطاء بن أبي رباح، وطاووس، ومجاهداً، وعبد الله بن أبي مليكة، والزهري، ومكحولاً، والقاسم أبا عبد الرحمن، وعطاء الخراساني، وثابتاً البناني، والحكم بن عيينة، وأيوب السختياني، وحماداً، ومحمد بن سيرين، وأبا عامر -وكان قد أدرك أبا بكر الصديق-، ويزيد الرقاشي، وسليمان بن موسى: كلهم يأمروني بالجماعة، وينهوني عن أصحاب الأهواء»[٢].

وسئل الإمام سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟ قال:«إذا علم من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة، ولا يسب أصحاب النبي ﷺ، ولا يخرج عن هذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، ولا يشك في الإيمان، ولا يماري في الدين، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح على الخفين، ولا يترك الجماعة خلف كل والٍ جار أو عدل»[٣].

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله:«كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله»[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٥٥)، والطبري (٧/ ٧٦)..

(٢) أخرجه اللالكائي (٢٣٩).

(٣) أخرجه اللالكائي (٣٢٤).

(٤) أخرجه اللالكائي (٤٨)، وأبو نعيم (٦/ ١٤٢).

(وَنجتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالخِلَافَ وَالفُرقَةَ):

الاجتناب: هو الترك والبعد.

و(الشُّذُوذَ): هو الانفراد عن الجماعة.

قال الإمام ابن حزم الأندلسي رحمه الله:«هو مخالفة الحق، فكل من خالف الصواب في مسألة ما فهو فيها شاذ»[(١)].

وبمقدار مخالفة الرجل للسنة والجماعة يكون شاذاً، كلٌ بحسبه، فكل من أتى بشيء لم يكن عليه النبي ﷺ ولا أصحابه من بعده فقد شذ وانفرد.

وقد قال النبي ﷺ:«**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»[(٢)].

وقال ﷺ:«**مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ**»[(٣)].

فمن ثمة، فأي انفراد وإحداث لم يعضده دليل صحيح، فهو مشاقة للرسول ﷺ واتباع لغير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين.

ولهذا قال الإمام سعيد بن جبير رحمه الله:«قد أحسن من انتهى إلى ما سمع»[(٤)].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:«ولكنا نتبع السنة فعلاً وتركاً»[(١)].

---

(١) «الإحكام» (٥/ ٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٦٤٧) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٠٧،٥٧٥٢).

وقال الإمام أحمد رحمه الله:«لا يتجاوز القرآن والحديث»[٢].

وقال:«لا أحب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة أو التابعين لهم بإحسان، وأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود»[٣].

وقال الإمام الأوزاعي:«اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»[٤].

وقال:«ندور مع السنة حيث دارت»[٥].

وكتب الخليفة الإمام عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي الله عنه إلى بعض عماله: «أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة رسوله ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعده فيما جرت به سنته وكفوا مؤنته، واعلم أنه لم يبتدع إنسان إلا قدم قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، واعلم أن من سن السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق، فإن السابقين عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وكانوا هم أقوى على البحث ولم يبحثوا»[٦].

---

(١) نقله في «فتح الباري» (٣/ ٤٧٥).

(٢) نقله شيخ الإسلام في «الحموية» (ص١٦).

(٣) نقله شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٣١٣).

(٤) أخرجه اللالكائي برقم (١١٥)، والبيهقي في «المدخل» (٢٣٣) بسند صحيح.

(٥) أخرجه اللالكائي برقم (٤٧).

(٦) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٦١٢)، وابن بطة (١٦٣)، والآجري (٥٧٠)، وصححه

وهذا كلام متين يكتب بماء العيون، عليه نور العلم والسنة؛ فتأمله.

ومن شذ عن اعتقاد أهل السنة والجماعة وانفرد فلا يخلو من حالين:

١- أن يكون شذوذه في أصل من أصول الاعتقاد كالإيمان والقدر والصفات، فهذا خرج من مسمى أهل السنة والجماعة ويدخل فيه جميع طوائف البدع والضلال كالجهمية والمرجئة، والقدرية، والمعتزلة، والخوارج، والأشعرية، والماتريديه، والكلابية، والكرامية وغيرهم.

قال الإمام أحمد في أثناء سرده لأصول الاعتقاد:«فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق» [(١)].

٢- أن يكون شذوذه في فرع لأصل من أصول اعتقاد أهل السنة عن تأول واجتهاد؛ فلا يخرج عن مسمى أهل السنة والجماعة، بل يكون مخطئاً مخالفاً لهم في هذا الفرع، ولا يتبع على زلته.

(وَالخِلَافَ): هو الاختلاف والتجاذب المفضي إلى التنازع.

قال الله -جل ذكره-: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[هود:١٨-١٩]، فاستثنى الله أهل الرحمة من الاختلاف.

قال الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله:«خلق الله أهل رحمته؛ لئلا يختلفوا»[(٢)].

= شيخنا رحمه الله.

(١) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ٢٤).

(٢) ذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ١٠٧٢).

قلت: وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أهل الرحمة هم أتباع الأنبياء قولاً وفعلاً، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة، فمن خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك»(١).

وقال جل وتعاظم: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[آل عمران:١٠٥].

قال الإمام المزني رحمه الله: «فذم الله الاختلاف، وأمر عنده بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فلو كان الاختلاف من دينه ما ذمه، ولو كان التنازع من حكم ما أمرهم بالرجوع عنده إلى الكتاب والسنة»(٢).

ويتقسم الاختلاف إلى نوعين رئيسين:

الأول: اختلاف تنوع: وهو ما كانت المخالفة فيه لا تقتضي المنافاة والمعارضة، بل كل الأقوال صائبة، أما التفضيل بينها فلا يكون إلا بدليل.

ويكون على عدة وجوه منها:

١- أن تكون جميع الأقوال أو الأفعال المختلفة مشروعة كاختلاف صفة الأذان والإقامة وأدعية الاستفتاح والتشهدات وأذكار الركوع والسجود.

٢- أن تتفق جميع الأقوال في الحقيقة والمعنى، وإن اختلفت في العبارة والمبنى كتفسيرات السلف لآيات القرآن.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩١٠).

٣- أن تتغاير معاني الأقوال ولكن لا تتنافى بل جميعها صحيح كاختلاف بعض وجوه القراءات المتواترة وهي القراءات العشر.

ومن اختلاف التنوع -اختلاف القراءات- الذي أقره النبي ﷺ : ما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : سمعت رجلاً قرأ آية سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ؛ فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهة، وقال:«**كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**»[1].

الثاني: اختلاف تضاد: وهو الاختلاف الناشيء عن تنافي الأقوال وتعارضها ولا يكون المصيب فيه إلا واحداً[2].

وينقسم هذا النوع إلى قسمين:

١- **اختلاف في العقيدة والعلميات:** والمختلفون فيه على نوعين:

أ- من كان موافقاً للحق متبعاً له متوقفاً حيث أوقفه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، والعقل الصريح والفطرة السليمة، وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة.

ب- من كان مجانباً للحق مخالفاً له وهذا على ضربين:

١- من أعرض عن الحق وعاند بعد معرفته فلا يعتقده ولا يعمل به، وهذا إما أن يكون مبتدعاً أو يكون كافراً بحسب بدعته ومخالفته.

٢- من اجتهد وبذل وسعه للوصول إلى الحق لكنه زل ولم يهتد إلى الحق كلّه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٠).

(٢) انظر «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٣٧-٣٩).

أو بعضه، فهذا معذور في الدنيا والآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:«والخطأ المغفور في الاجتهاد هو في نوعي المسائل الخبرية والعلمية»[١].

وقال:«وأما التكفير؛ فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ، لم يكفر، بل يغفر له خطؤه، ومن تبين له ما جاء به الرسول، فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر ومن اتبع هواه، وقصر في طلب الحق، وتكلم بلا علم، فهو عاصٍ مذنب، ثم قد يكون فاسقاً، وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته.

فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص، فليس كل مخطيء ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافراً، بل ولا فاسقاً، بل ولا عاصياً»[٢].

«وإذا كان كذلك فما عجز الإنسان عن علمه واعتقاده حتى يعتقد ويقول ضده خطأ أو نسياناً فذلك مغفور له»[٣].

وقال:«فالمتأول الجاهل والمعذور ليس حكمه حكم المعاند والفاجر، بل قد جعل الله لكل شيء قدراً»[٤].

٢- اختلاف في الفقه والعمليات: وهو على نوعين:

أ- اختلاف لا يسوغ: وهو الاختلاف في المسائل التي ثبت فيها النص الظاهر

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٣٣).

(٢) المرجع السابق (١٢/ ١٨٠).

(٣) «الاستقامة» (١/ ٢٨).

(٤) «مجموعة الرسائل والمسائل» (٥/ ٣٨٢).

من الكتاب والسنة الذي لا معارض له أو انعقد عليها الإجماع؛ فمن خالف نصاً فقوله مردود ينكر عليه ولا عبرة بالمخالف للدليل.

ب- اختلاف يراعى ويسوغ: وهو الاختلاف في المسائل التي لا نص فيها ولا إجماع.

والمسلمون تجاه هذا الاختلاف على ثلاثة ضروب:

١- المسلم العامي ويجب عليه أن يسأل العالم بالكتاب والسنة الموثوق بعلمه ودينه وورعه، لأنه لا يحسن النظر في الأدلة، فإن رأى بين أهل العلم اختلافاً فينظر إلى الأوثق منهم عنده علماً وديناً فيأخذ بقوله بالحجة والدليل من دون تقليد أعمى أو اتباع للهوى أو تتبع للرخص؛ فإن لم يمكنه الترجيح بين أهل العلم؛ استفتى قلبه بشرط الاتباع وسلامة القلب من الهوى والشهوات.

٢- المسلم المتبع أو طالب العلم الذي يستطيع فهم الدليل ووجه الاستدلال إذا بين له؛ فلا يجوز له اتباع قولٍ ما لم يعرف دليله.

٣- العالم المجتهد وعليه أن ينظر في المسألة ويرجح ما قامت الحجة عليه عنده ويتبعه.

ويجب السعي في المحاولة إلى التخلص من هذا الاختلاف ما أمكن، لأن الشرع لم يأت به، بل نهى عنه وذمه، وقد قال تعالى:﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ [الأنفال:٤٦]، فهو من أسباب ضعف الأمة.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :«الخلاف شر»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٦٠) بإسناد صحيح.

(وَالفُرقَةَ): الفرقة: هي الافتراق والتنازع والفشل الناشيء عن الخروج عن السنة والجماعة في أصل أو أكثر من أصول الاعتقاد ومفارقة الإمام وجماعة المسلمين، بها يخرج صاحبها عن منهج أهل السنة والجماعة، بدافع الجهل أو الهوى.

وقد عرفها الإمام ابن الأثير رحمه الله بقوله:«ترك السنة واتباع البدعة»[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله:«والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة»[٢].

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله(ت٧٩٠):«الفرقة أخص أوصاف المبتدعة، لأنه خرج عن حكم الله وباين جماعة أهل الإسلام»[٣].

وبهذا كانت الفرقة على نوعين:

١- فرقة أديان: بمخالفة الكتاب والسنة.

٢- فرقة أبدان: بمفارقة جماعة المسلمين وإمامهم.

وقد كثرت الآيات الناهية عن الفرقة الذامة:

قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:١٥٣]، فاتباع السبل -وهي البدع والشبهات والضلالات- يفضي إلى الافتراق عن سبيل الله.

---

(١) «النهاية» (٢/ ١٩٠).

(٢) «الاستقامة» (١/ ٤٢).

(٣) «الاعتصام» (١/ ١١٣).

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «فإن السبيل الواحد لا يقتضي الافتراق بخلاف السبل المختلفة»[(١)].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾[الأنعام:١٥٩]، قال الإمام البغوي رحمه الله: «هم أهل البدع والأهواء»[(٢)].

وقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران:١٠٣]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الاعتصام بحبل الله جميعاً، وأن لا يتفرق من أعظم أصول الإسلام ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه»[(٣)].

وقال النبي ﷺ: «**الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»[(٤)].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»[(٥)].

وفي رواية: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصْحَابِي**»[(٦)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٤٩).

(٢) «شرح السنة» (١/ ٢١٠).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٣٥٩).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وابن أبي عاصم (٩٣) بإسناد حسن.

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبو داود (٤٥٨٦)، وابن ماجه (٣٩٩٢)، والدارمي (٢٥١٨)، والحاكم (١/ ١٢٨)، وانظر «السلسلة الصحيحة» (٢٠٤، ١٤٩٢).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ١٢٨-١٢٩).

والأهواء، ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريباً مبلغ الفرقة الناجية، فضلاً عن أن تكون بقدرها بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة وشعار هذه الفرق: مفارقة الكتاب والسنة والإجماع»[(١)].

والعصمة من الافتراق التمسك بما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

قال أبو العالية: رحمه الله: «عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يتفرقوا»[(٢)].

وفيما سبق -إن شاء الله تعالى- كفاية لكل منصف بالحق معترف، وهداية لكل متعسف.



---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٦).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص:٢١-٢٢).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

جواز دفع الصدقات إلى الأئمة وإجزاؤها

📖 ([٢٦] وَدَفعُ الصَّدَقَاتِ مِنَ السَّوَائِمِ إلى أُولِي الأَمرِ مِنْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ):

وقد قال الشيخان -قبل ذلك-: **(وَأنَّ الجِهَادَ مَاضٍ مُنذُ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ مَعَ أُولِي الأَمْرِ منْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِين لاَ يُبطِلهُ شَيءٌ، وَالحَجُّ كَذَلِكَ)**.

وهو مزيد تأكيد لعدم بطلان إقامة العبادات مع الأئمة وإن جاروا.

والقصد هنا: أن الزكاة تدفع إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين لصرفها إلى مستحقيها.

(السَّوَائِمِ): السائمة: هي بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم التي تسوم -أي ترعى- الكلأ المباح، ولا تُعلف طوال العام أو أكثره.

ولا تجب الزكاة في الأنعام إلا إذا كانت سائمة، ولذلك قيدت الصدقات هنا -وهي الزكاة- بالسوائم، بالإضافة إلى اشتراط بلوغ النصاب ومرور الحول.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:«ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة، من دفعها إليهم أجزأت عنه براً كان أو فاجراً وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولي جائزة تامة ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة ليس له من فضل الجمعة شيء، إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم، فالسنة أن تصلي معهم ركعتين من أعادهما فهو مبتدع، وتدين بأنها تامة، ولا يكن في صدرك من ذلك شك»[1].

---

(١) أخرجه اللالكائي (٣١٧).

وقال الإمام ابن بطة العكبري ﷺ:«وقد اجتمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنسك والعباد والزهاد من أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا: أن صلاة الجمعة والعيدين ومنى وعرفات والغزو والحج والهدي مع كل أمير بر وفاجر، وإعطاءهم الخراج والصدقات والأعشار جائز، والصلاة في المساجد العظام التي بنوها، والمشي على القناطر والجسور التي عقدوها، والبيع والشراء وسائر التجارة والزراعة والصنائع كلها في كل عصر، ومع كل أمير جائز على حكم الكتاب والسنة، لا يضر المحتاط لدينه والمتمسك بسنة نبيه ﷺ ظلم ظالم ولا جور جائر إذا كان ما يأتيه هو على حكم الكتاب والسنة، كما أنه لو باع واشترى في زمن الإمام العادل بيعاً يخالف الكتاب والسنة لم ينفعه عدل الإمام، والمحاكمة إلى قضاتهم ورفع الحدود والقصاص وانتزاع الحقوق من أيدي الظلمة بأمرائهم وشرطهم، والسمع والطاعة لمن ولوه وإن كان عبداً حبشياً إلا في معصية الله ﷻ ، فليس لمخلوق فيها طاعة.

ثم من بعد ذلك اعتقاد الديانة بالنصيحة للأئمة وسائر الأمة في الدين والدنيا ومحبة الخير لسائر المسلمين، تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك»[1].



(١) «الشرح والإبانة» (ص٢٧٦-٢٨١) باختصار.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الاستثناء في الإيمان

📖 ([٢٧] وَالنَّاسُ مُؤمِنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ، وَلا يَدْرِي مَا هُمْ عِنْدَ اللهِ، فَمَنْ قَالَ إِنَّه مُؤمِنٌ حَقاً فَهُوَ مُبتَدِعٌ، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ مُؤمِنٌ عِندَ الله فَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ، وَمَنْ قَالَ: إِنِي مُؤمِنٌ بِاللهِ؛ فَهُوَ مُصِيبٌ):

📄 (وَالنَّاسُ مُؤمِنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ، وَلا يَدْرِي مَا هُمْ عِنْدَ اللهِ):

اعلم -رحمني الله وإياك- أنه لا تنافٍ بين الاستثناء في الإيمان وبين الحكم على الناس على الظاهر بأنهم مؤمنون، يتوارثون ويتناكحون، وعليهم تجري أحكام الإسلام.

قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله:«الناس عندنا مؤمنون في الأحكام والمواريث، ولا يدرى كيف هم عند الله -تعالى-! نرجو أن نكون كذلك»[(١)].

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله:«وأما على أحكام الدنيا فإنهم يسمون أهل الملة جميعاً مؤمنين، لأن ولايتهم وذبائحهم وشهاداتهم ومناكحتهم وجميع سنتهم إنما هي على الإيمان»[(٢)].

و(الاستثناء في الإيمان): هو أن يقول الرجل -إذا سئل:أمؤمن أنت؟-: لا إله إلا الله، أو أنا مؤمن بالله، أو: أنا مؤمن إن شاء الله، أو: مؤمن أرجو.

قال الإمام أحمد رحمه الله:«الاستثناء في الإيمان: سنة ماضية عند العلماء وليس

---

(١) أخرجه عبد الله (٦٠٩)، والآجري (٣٠٩).

(٢) «كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته» (١٥).

بشك، وإذا سئل الرجل أمؤمن أنت؟ فليقل: أنا مؤمن إن شاء الله، أو: مؤمن أرجو، أو يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله»(١).

وهو سنة ماضية عند السلف.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:«وأما مذهب السلف أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه، والثوري، وابن عيينة، وأكثر علماء الكوفة، ويحيى بن سعيد القطان، فيما يرون علماء أهل البصرة، وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة فكانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواتر عنهم»(٢).

وقال أحمد: حدثني علي بن بحر قال: سمعت جرير بن عبد الحميد يقول: «كان الأعمش ومغيرة، ومنصور، وليث، وعطاء بن السائب، وإسماعيل بن أبي خالد، وعمارة بن القعقاع، والعلاء بن المسيب وابن شبرمة، وسفيان الثوري، وحمزة الزيات، يقولون: نحن مؤمنون -إن شاء الله-، ويعيبون على من لم يستثن»(٣).

◘ والاستثناء عند أهل السنة والجماعة له ثلاثة أحوال:

١- أن يكون محرماً إذا كان صادراً عن شك في وجود أصل الإيمان، بل هو كفر وردة؛ لأن الإيمان جزم، والشك ينافيه، وليس الاستثناء في أصله عند السلف شكاً.

قال أبو بكر المروزي: قيل لأحمد بن حنبل: إن استثنيت في إيماني أكون شاكاً؟

---

(١) «السنة» للإمام أحمد (٦٨)، و«طبقات الحنابلة» (١/ ٢٤-٢٥).

(٢) «الإيمان» (ص:٣٧٤).

(٣) أخرجه عبد الله (٦٩٧)، وابن بطة (١١٨٧، ١١٩٤)، والآجري (٢٨٣).

قال: «لا»[1].

وقال الإمام الآجري ﷺ: «صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم: الاستثناء في الإيمان لا على جهة الشك -نعوذ بالله من الشك في الإيمان-، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من استكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟»[2].

٢- أن يكون الاستثناء واجباً إذا كان صادراً عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان المطلق بفعل جميع المأمورات واجتناب جميع المحظورات كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال:٢-٣]، وقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[الحجرات:١٥]، ومن شهد لنفسه بهذا فقد قطع لها بالجنة.

ولهذا قال الإمامان أبو زرعة وأبو حاتم: **(فَمَنْ قَالَ إِنَّه مُؤمِنٌ حقاً فَهُوَ مُبتَدِعٌ)**.

٣- أن يكون جائزاً إذا كان للتعليل أي: أنا مؤمن بمشيئة الله، بأن ما قام في قلبه من الإيمان فهو بمشيئة الله، وهذا التعليق بالمشيئة ليس للتردد والشك، فقد قال تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾[الفتح:٢٧].

---

(١) أخرجه الآجري (٤٨٤).

(٢) «الشريعة» (١/ ٢٩٧).

وقال النبي ﷺ حين وقف على المقابر:«وَإِنَّا -إِنْ شَاءَ اللهُ- بِكُمْ لاَحِقُونَ»[١].

وهذا استثناء في أمور محققة متيقنة الوقوع، فالتعليق بالمشيئة هنا لا ينافي تحقق المعلق.

سئل الحسن البصري رحمه الله: أمؤمن أنت؟ فقال:«الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والبعث والحساب؛ أنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قول الله ﷻ :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[الأنفال:٢-٤]، فوالله ما أدري أنا منهم أو لا»[٢].

قال الإمام البيهقي -معلقاً-:«فلم يتوقف الحسن في أصل إيمانه في الحال، وإنما توقف في كماله الذي وعد الله ﷻ لأهل الجنة بقوله: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[الأنفال:٤] »[٣].

وقال الإمام الآجري رحمه الله:«وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا: أمؤمن أنت؟ قال: آمنت بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وأشباه هذا، والناطق بهذا والمصدق بقلبه مؤمن وإنما الاستثناء في الإيمان لا يدري: أهو ممن يستوجب ما نعت الله ﷻ به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا؟

هذا طريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان عندهم أن الاستثناء في الأعمال

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩)، وأبو داود (٣٢٣٧)، والنسائي (١٥٠، ٢٠٩٣)، وابن ماجه (٤٣٠٦)، وانظر«إرواء الغليل»(٧٧٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «الاعتقاد» (ص:٢٣٤).

(٣) «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» (ص٢٣٤).

لا يكون في القول والتصديق بالقلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان»[١].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:«فإذا كان مقصوده: أني لا أعلم أني قائم بكل ما أوجب الله علي، وأنه يقبل أعمالي، ليس مقصوده الشك فيما في قلبه، فهذا استثناؤه حسن وقصده أن لا يزكي نفسه، وأن لا ينقطع بأنه عمل عملاً كما أمر فقبل منه، والذنوب كثيرة، والنفاق مخوف على عامة الناس»[٢].

(فَمَنْ قَالَ إِنَّه مُؤمِنٌ حَقاً فَهُوَ مُبتَدِعٌ، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ مُؤمِنٌ عِندَ اللهِ فَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ، وَمَنْ قَالَ: إِني مُؤمِنٌ بِاللهِ؛ فَهُو مُصِيبٌ):

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله :«ثلاث هن بدعة: أنا مؤمن مستكمل الإيمان، وأنا مؤمن حقاً، وأنا مؤمن عند الله -تعالى-»[٣].

وقال الإمام الآجري رحمه الله:«احذروا -رحمكم الله- قول من يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل، ومن يقول: أنا مؤمن عند الله، وأنا مؤمن مستكمل الإيمان، هذا كله مذهب أهل الإرجاء»[٤].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله:«قد ذهب المحققون في مسألة «أنا مؤمن» إلى هذا التفصيل بعينه فقالوا: له أن يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، ولا يقول: أنا مؤمن، لأن قوله: أنا مؤمن يفيد الإيمان المطلق الكامل الآتي صاحبه

---

(١) «الشريعة» (١/ ٢٩٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٤١).

(٣) أخرجه ابن بطة (١٢٤١)، والآجري (٣٤٤).

(٤) «الشريعة» (١/ ٣١٢).

بالواجبات، التارك للمحرمات، بخلاف قوله:«وآمنت بالله» فتأمله»[١] .

🗗 وقد خالف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة طائفتان:

١- **الجهمية والمرجئة والماتريدية:** قالوا بمنع الاستثناء في الإيمان، وأنه شك؛ بناءً على قولهم بأن الإيمان هو التصديق، وأنه لا يقبل الزيادة أو النقصان؛ فمن استثنى فقد شك، ومن شك في تصديقه فقد كفر.

وما بني على باطل فهو باطل.

قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله (ت:١٩٨):«ترك الاستثناء هو أصل الإرجاء»[٢].

وقال الإمام أحمد رحمه الله:«من لم ير الاستثناء في الإيمان فهو مرجئ»[٣].

ولهذا سمى المرجئة أهل السنة والجماعة -لقولهم بالاستثناء-: بالشكاكة، ومن ابتداع المرجئة: امتحان الناس بالسؤال عن الإيمان، وليس هذا من هدي السلف.

قال إبراهيم النخعي رحمه الله (ت:٩٦هـ):«سؤال الرجل الرجلَ: أمؤمن أنت؟ بدعة»[٤].

٢- **الكلابية والأشاعرة:** قالوا بوجوب الاستثناء في الإيمان، ولكن باعتبار الموافاة والعاقبة والمآل لا باعتبار الحال، فالإيمان هو ما مات عليه الإنسان، فلا

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ١١٤).

(٢) أخرجه ابن بطة (١١٨٨)، والخلال (١٠٦١)، وذكره الآجري (٢٨٣).

(٣) «السنة» (٦٨).

(٤) أخرجه عبد الله (٦٥٣، ٧١٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ٣٨)، والآجري (٣٢٤).

يستثنى في الإيمان الحالي لمعرفتهم بأنهم مؤمنون، ويستثنى في الإيمان المآلي الذي يوافي به العبد ربه لعدم الجزم به، فاستثناؤهم باعتبار العاقبة والمآل لا باعتبار الحال.

قال شيخ الإسلام ﷺ:«وأما الموافاة فما علمت أحداً من السلف علل بها الاستثناء، ولكن كثيراً من المتأخرين يعلل بها من أصحاب الحديث من أصحاب أحمد ومالك، والشافعي وغيرهم، كما يعلل بها نظارهم كأبي الحسن الأشعري وأكثر أصحابه، لكن ليس هذا قول سلف أصحاب الحديث»[1].



---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٣٩).

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المرجئة وعقائدهم السيئة

📖 ([٢٨] وَالْمُرْجِئَةُ مُبْتَدِعَةٌ ضُلاَّلٌ):

الإرجاء في اللغة على معنيين:

الأول: التأخير: ومنه قوله -تبارك وتعالى-: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾[الأعراف:١١١ والشعراء:٣٦]، وفي قراءة متواترة: ﴿ أَرْجِئْهُ ﴾ أي: أمهله وأخره.

وقوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:١٠٦]، تقرأ بالهمز وعدمه.

الثاني: بذل الرجاء.

وسميت المرجئة بذلك؛ لتأخيرهم الأعمال وإخراجها عن مسمى الإيمان.

أو لتغليبهم الرجاء والوعد على الخوف والوعيد بقولهم: لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا يعذب صاحب الكبيرة البتة.

واعتقادهم كلُّه فاسد وقولهم جميعه كاسد، وفهمهم باطل ورأيهم عاطل، نابع عن بدعة وضلال وسوء حال، نبرأ إلى الله من مقالاتهم كبيرها وصغيرها، جليها وخفيها.

وأول ما ظهرت بدعة الإرجاء بعد فتنة ابن الأشعث سنة (٨٣).

قال الإمام قتادة بن دعامة رحمه الله: «إنما حدث الإرجاء بعد فتنة ابن الأشعث»[١] وهو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الثائر على الحجاج بن يوسف الثقفي،

(١) أخرجه عبد الله (٦٤٤)، والخلال في «السنة» (١٢٣٠).

فحدثت بدعة الإرجاء بمقابل بدعة الخروج التي سادت وقتئذٍ.

وأول من نسب إليه القول بإرجاء العمل -وهو إرجاء الفقهاء-: هو ذر بن عبد الله المرهبي الهمذاني (ت: أواخر المائة الأولى).

قال إسحاق بن هانئ: سألت أبا عبد الله قلت: أول من تكلم في الإيمان من هو؟ قال: «يقولون: أول من تكلم فيه ذر»[(١)].

ثم ظهر القول بأن الإيمان قول، وأول من قال بذلك حماد بن أبي سليمان (ت١٢٠) شيخ الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله.

ومن أصول المرجئة التي قالت بها على تباين طوائفها ومقالاتها:

١- القول بأن الإيمان هو مجرد المعرفة أو التصديق في القلب فقط، أو: هو مجرد القول باللسان فقط، أو: هو اعتقاد القلب وقول اللسان فقط.

٢- القول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتبعض.

٣- القول بمنع الاستثناء في الإيمان.

٤- القول بأن أهل الإيمان لا يتفاضلون فيه.

قال شيخ الإسلام:«والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة لما أخرجوا العمل من الإيمان وقالوا: أن الإيمان يتماثل الناس فيه، ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ، بل لا يتساوى الناس في التصديق ولا في الحب ولا في الخشية ولا في العلم، بل يتفاضلون من وجوه كثيرة»[(٢)].

---

(١) «مسائل ابن هانئ» (٢/ ١٦٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٥٥-٥٥٦).

٥- القول بأن أعمال القلوب ليست من الإيمان:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :«لكنهم -أي: مرجئة الفقهاء- إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم، وإن أدخلوها في الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضاً، فإنها لازمة له»[١].

٦- القول بأن الإيمان يكون تاماً بلا أدنى عمل، فليست أعمال الجوارح عندهم داخلة ولازمة للإيمان؛ بل هي ثمرة من ثمار الإيمان.

٧- القول بأن الإيمان هو القول، وشرائع الإيمان هي الأعمال.

قال الإمام أحمد رحمه الله :«من زعم أن الإيمان هو القول، والأعمال شرائع: فهو مرجئي»[٢].

وقال القاضي أبو يعلى رحمه الله (ت:٤٥٨):«وأما قولك: إنها من شرائعه؛ فإن أردت به أنها من واجباته، فهو معنى قولنا: إنها من الإيمان وإنه بوجودها يكمل إيمانه وبعدمها ينقص، فيحصل الخلاف بيننا في العبارة، بين هذا أن شرائع الشيء منه، ولهذا يقال شريعة محمد ﷺ وشريعة موسى عليه السلام، وذلك عبارة عن جميع أوامره ونواهيه»[٣].

٨- القول بأن الأعمال وإن أدخلت في مسمى الإيمان فعلى سبيل المجاز:

قال شيخ الإسلام:«والمرجئة المتكلمون منهم، والفقهاء منهم يقولون: أن الأعمال قد تسمى إيماناً: مجازاً، لأن العمل ثمرة الإيمان ومقتضاه، ولأنها دليل

---

(١) «الإيمان» (ص١٥٥).

(٢) «السنة» (٦٨)، و«طبقات الحنابلة» (١/ ٢٥).

(٣) «مسائل الإيمان» (١٦٤).

عليه»(١).

٩- القول بأن ترك جميع الواجبات والطاعات، وفعل جميع المحرمات والكبائر والمنهيات لا تؤثر في الإيمان، بل يكون إيمان صاحبها تاماً كإيمان الأنبياء والصديقين، وهم بذلك فتحوا باباً عريضاً للفسق والفجور والمعاصي والمنكرات والفواحش، والإنحلال من الدين.

ما ضر شمس الضحى والشمس طالعةٌ أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصرِ

قال شيخ الإسلام:«وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم: لا تذهب الكبائر وترك الوجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان، إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء، فيكون واحداً يستوي فيه البر والفاجر»(٢).

١٠- القول بأن أهل الكبائر في الجنة بلا سابق عذاب فلا يعذبون ولا يدخلون النار ألبتة، وقد سبق ذكر ذلك.

١١- القول بأن الكفر هو التكذيب بالقلب أو الجحود أو الاستحلال فقط.

١٢- القول بأن الأعمال الكفرية غير المحتملة لغيره كالسب لله ولرسوله ﷺ، والاستهزاء والسجود للأوثان، دالة على التكذيب القلبي، وليست كفراً في ذاتها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«سب الرسل والطعن فيهم: ينبوع جميع أنواع الكفر، وجماع جميع الضلالات، وكل كفر تفرع منه، كما أن تصديق الرسل أصل جميع شعب الإيمان، وجماع مجموع أسباب الهدى»(٣).

---

(١) «الإيمان» (ص٧٣).

(٢) «الإيمان» (ص٢١٠).

(٣) «الصارم المسلول» (٢/ ٤٦١).

وقال:«وما كان كفراً من الأعمال الظاهرة كالسجود للأوثان وسب الرسول ونحو ذلك، فإنما ذلك لكونه مستلزماً للكفر الباطن»[١].

قلت: ولم يقل شيخ الإسلام رحمه الله:«مستلزماً لتكذيب القلب»، لأن هناك أنواعاً أخرى للكفر غير التكذيب والجحود، كما سيأتي بيانه.

١٣- القول بعدم طاعة السلطان، واستحلال السيف:

قال سفيان الثوري رحمه الله عن المرجئة:«وهم يرون السيف على أهل القبلة»[٢].

وسئل ابن المبارك رحمه الله: ترى رأي الإرجاء؟ فقال:«كيف أكون مرجئاً؛ فأنا لا أرى السيف»[٣].

وقال الإمام أحمد:«إن الخوارج هم المرجئة»[٤].

وقال أحمد بن سعيد الرباطي: قال لي عبد الله بن طاهر:«يا أحمد؛ إنكم تبغضون هؤلاء القوم -أي المرجئة- جهلاً، وأنا أبغضهم عن معرفة؛ إنهم لا يرون للسلطان طاعة»[٥].

☑ ومن لم يقل بهذه الأقوال فقد برئ من الإرجاء كله صغيره وكبيره.

❊ ومن أقوال السلف في ذم المرجئة والتحذير منها:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ١٢٠).

(٢) أخرجه اللالكائي (١٨٣٤).

(٣) أخرجه ابن شاهين في «الكتاب اللطيف» (١٧).

(٤) «السنة» (ص٧٤).

(٥) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» لأبي عثمان الصابوني (١٠٩).

قال سعيد بن جبير رحمه الله:«المرجئة يهود القبلة»[١].

وقال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب:«ما ليل بليل ولا نهار بنهار أشبه من المرجئة باليهود»[٢].

وقال الزهري :«ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على الملة من هذه»[٣].

وقال الأوزاعي:«قد كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان:«ليس من أهل الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء»[٤].

وقال إبراهيم النخعي:«لأنا لفتنة المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة»[٥].

وعن معن بن عيسى (ت:١٩٨) أن رجلاً بالمدينة يقال له أبو الحويرث يرى الإرجاء فقال مالك بن أنس:«لا تناكحوه»[٦].

وقال عبد الله بن نمير: سمعت سفيان وذكر المرجئة فقال:«رأي محدث، أدركنا الناس على غيره»[٧].

وقال حجاج بن محمد: سمعت شريكاً وذكر المرجئة فقال:«هم أخبث القوم،

---

(١) أخرجه عبد الله (٧٢٣)، واللالكائي (١٨٠٩).
(٢) أخرجه اللالكائي (١٨١٥).
(٣) أخرجه الآجري (٣٢٩).
(٤) أخرجه عبد الله (٦٤١)، والآجري (٣٣٧)، واللالكائي (١٨١٦).
(٥) أخرجه عبد الله (٦١٧)، والخلال (٩٥١)، واللالكائي (١٨٠٦).
(٦) أخرجه اللالكائي (١٨٢٧).
(٧) أخرجه عبد الله (٦١٠)، والخلال (٩٥٢)، والآجري (٣٣٦).

وحسبك بالرافضة خبثاً، ولكن المرجئة يكذبون على الله ﷻ»[١].

وقال البويطي: سألت الشافعي: أصلي خلف الرافضي؟ قال:«لا تصلي خلف الرافضي ولا القدري ولا المرجئ»، قلت: صفهم لنا قال:«من قال: الإيمان قول فهو مرجئ، ومن قال: أن أبا بكر وعمر ليس بإمامين فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري» [٢].

ولكن ومع تشنيع السلف على المرجئة وتبديعهم وتضليلهم فلم يكفروهم:

عن إسماعيل بن سعيد قال: سألت أحمد: هل تخاف أن يدخل الكفر على من قال: الإيمان قول بلا عمل؟ فقال:«لا يكفرون بذلك»[٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ثم إن السلف والأئمة اشتد إنكارهم على هؤلاء وتبديعهم، وتغليظ القول فيهم، ولم أعلم أحداً منهم نطق بتكفيرهم، بل هم متفقون على أنهم لا يكفرون في ذلك.

وقد نص أحمد وغيره من الأئمة على عدم تكفير هؤلاء المرجئة، ومن نقل عن أحمد أو غيره من الأئمة تكفيراً لهؤلاء، أو جعل هؤلاء من البدع المتنازع في تكفيرهم فيها فقد غلط غلطاً عظيماً.

والمحفوظ عن أحمد وأمثاله من الأئمة إنما هو تكفير الجهمية والمشبهة وأمثال هؤلاء»[٤].

---

(١) أخرجه عبد الله (٦١٤)، وابن بطة (١٢١٢)، والآجري (٣٣٩)، واللالكائي (١٨٢٤).

(٢) نقله في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٠).

(٣) أخرجه الخلال (٩٨٨).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٠٧).

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

القدرية وعقيدتهم الردية

📖 ([٢٩] وَالقَدَرِيةُ مُبتَدِعَةٌ ضُلاَّلٌ، وَمَنْ أَنكَرَ مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ يَعلَمُ مَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَافِرٌ):

إذا اطلق اسم«القدرية» فإنما يدل على طائفتين ابتداءً:

١ - **القدرية غير الغلاة:** وهم المتأخرون الضلاَّل، وهؤلاء أنكروا الخلق لأفعال العباد، ففعل العبد ليس لله فيه خلق مع إقرارهم بعلم الله بها، وقالوا بأن العبد يستقل بفعله ويفعل بإرادة وقدرة مستقلاً عن قضاء الله وقدره، ففعل العبد ليس داخلاً تحت مشيئة الله -تعالى-.

وعلى هذا عامة القدرية وهم: المعتزلة ومن وافقهم من متأخري الشيعة، وهم الذين عناهم النبي ﷺ بقوله:«**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ**»[١].

سئل الإمام مالك رحمه الله عن القدرية: من هم؟ فقال: «الذين يقولون: إن الله لم يخلق المعاصي»[٢].

وقال: «القدرية هم الذين يقولون: إن الاستطاعة إليهم؛ إن شاءوا أطاعوا، وإن شاءوا عصوا»[٣].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «تدري من القدري؟ الذي يقول: إن الله لم يخلق

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ذكره اللالكائي (١٣٠١).

(٣) «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (٢/ ٤٨).

الشيء حتى يُعْمل به»[١].

٢- **القدرية الغلاة وهم المتقدمون الكفار**: ظهروا أواخر عصر الصحابة -رضوان الله عليهم- بعد منتصف القرن الأول، أتباع سيسويه المجوسي وسوسن النصراني وتلميذهما معبد الجهني البصري وتلميذه غيلان بن مسلم الدمشقي، وقالوا بنفي القدر، وأن الله لا يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها، وأن الله لم يكتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل خلقهم.

وهؤلاء قد انقرضوا وبادوا أو كادوا، وهم الذين عنى الشيخان بقولهما: **(وَمَنْ أَنكَرَ مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ يَعلَمُ مَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَافِر)**.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما سئل عن هؤلاء:«إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء وهم مني براء، والذي يحلف به ابن عمر، لو أن لأحدهم أُحداً ذهباً فأنفقه ما قبله الله -تعالى- حتى يؤمن بالقدر خيره وشره»[٢].

وعن أبي الزبير أنه كان مع طاووس يطوف بالبيت، فمر معبد الجهني، فقال قائل لطاووس: هذا معبد الجهني، فعدل إليه فقال:«أنت المفتري على الله؟ القائل ما لا يعلم؟»، قال: إنه يكذب علي، قال أبو الزبير: فعدل طاووس حتى دخلنا على ابن عباس، فقال له طاوس:«يا ابن عباس، الذين يقولون في القدر؟»، قال: «أروني بعضهم»، قلنا: صانع ماذا؟ قال:«إذاً أضع يدي في رأسه فأدق عنقه»[٣].

---

(١) أخرجه اللالكائي (١٣٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨)، وأحمد (١/ ٢٧-٢٨، ٥٢)، وغيرهما.

(٣) أخرجه ابن بطة (١٦١٢، ١٦٢٩)، والآجري (٤٩٢) بإسناد صحيح.

وعن مجاهد قال: قلنا لابن عباس: إني أردت أن آتيك برجل يتكلم في القدر؟ قال: «لو أتيتني به لأستتب له وجهه، أو لأوجعت رأسه، لا تجالسهم ولا تكلمهم»[١].

وعنه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «لو رأيت أحدهم لأخذت بشعره، يعني: القدرية»[٢].

وقال الحسن البصري: «من كذب بالقدر فقد كفر بالإسلام»[٣].

وعن ابن عون رحمه الله قال: «لم يكن أبغض وأكره إلى محمد بن سيرين من هؤلاء القدرية»[٤].

وعن عكرمة بن عمار قال: «سمعت القاسم وسالماً يلعنان القدرية الذين يكذبون بقدر الله حتى يؤمنوا بخيره وشره»[٥].

قيل لنافع رحمه الله: «إن هذا الرجل يتكلم في القدر؛ قال فأخذ كفاً من حصى فضرب بها وجهه»[٦].

وقيل لأبي جعفر محمد بن علي رحمه الله: إن منهم من يقول: لا قدر، ومنهم من يقول: قدر الله الخير ولم يقدر الشر، ومنهم من قال: ليس شيء كائناً ولا شيء

---

(١) أخرجه الآجري (٤٩٥).

(٢) أخرجه عبد الله (٩٢٤)، واللالكائي (١١٦٣، ١٢٢٣)، والآجري (٤٩٤).

(٣) أخرجه الآجري (٥٠٣)، واللالكائي (١٢٥٥).

(٤) أخرجه الآجري (٥١٢).

(٥) أخرجه عبد الله (٨٤٨)، وابن بطة (٢٧٩)، الآجري (٥٣٣).

(٦) أخرجه الآجري (٥٣٥)، وابن بطة (٥٥١).

كان إلا جرى به القلم، فقال:«بلغني أن قبلكم أئمة يصلون بالناس مقالتهم المقالتان الأولتان، فمن رأيتم منهم إماماً يصلي بالناس، فلا تصلوا وراءه»، ثم سكت هنيهة فقال:«من مات منهم فلا تصلوا عليه، قاتلهم الله إخوان اليهود» قيل: قد صليت خلفهم، قال:«من صلى خلف أولئك فليعد الصلاة».

وقال الليث بن سعد رحمه الله في المكذب بالقدر: «ما هو بأهل أن يعاد في مرضه، ولا يرغب في شهود جنازته، ولا تجاب دعوته»[١].

وقال مالك بن أنس رحمه الله:«القدرية هم الذين يقولون: إن الله لا يعلم الشيء قبل كونه»[٢].

وقال الشافعي رحمه الله:«القدرية: الذين يقولون: إن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون»[٣].

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: «إذا جحد العلم، إذا قال: الله -جل وعز- لم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم، فجحد علم الله عز وجل فهو كافر»[٤]، وقال: «إذا جحد العلم فقال: إن الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون استتيب، فإن تاب وإلا قتل»[٥].



(١) أخرجه الآجري (٥٥٠).

(٢) ذكره اللالكائي (١٣٠١).

(٣) أخرجه اللالكائي (١٣٠٧).

(٤) أخرجه الخلال (٨٦٢).

(٥) أخرجه الخلال (٨٧٢).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الجهمية وعقائدهم الغوية

📖 ([٣٠] وَأَنَّ الجَهمِيةَ كُفَّارٌ):

الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز السمرقندي الترمذي (ت: ١٢٨هـ)، وقد ظهروا في أوائل القرن الثاني هم والمعتزلة.

وقد قام اعتقادهم على أصول:

١- جحد صفات الباري ﷻ كلها فلا يوصف تعالى إلا بالنفي المجرد عن الإثبات، وجحد أسمائه عز شأنه فليس هو بحي ولا بعليم ولا بقدير ولا بسميع ولا ببصير ولا غير ذلك، بل هذه أسماء لمخلوقاته أو مجاز.

وهذا هو التعطيل المفضي إلى العدم بدعوى التنزيه -زعموا-.

٢- القول بأن الله ﷻ ليس على العرش حقيقة، وأن استواءه هو الاستيلاء.

٣- القول بخلق القرآن مع نفي صفة الكلام عن الرحمان، وشاركهم في هذا القول المعتزلة فأخذوا حكمهم بالكفر.

٤- قول اللفظية الجهمية: لفظنا بالقرآن مخلوق.

٥- قول الواقفة الجهمية: لا ندري القرآن مخلوق أم غير مخلوق.

٦- القول بحلول الله -سبحانه- في الأمكنة كلها -تنزه عن ذلك-.

٧- القول بأن الإيمان هو المعرفة في القلب فقط؛ وإن تلفظ بالكفر، وأن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه، وكانوا بهذا القول غلاة المرجئة.

قال وكيع ﵀ :«أهل السنة يقولون: الإيمان: قول وعمل، والمرجئة يقولون:

الإيمان قول والجهمية يقولون: الإيمان: المعرفة»[(١)].

٨- القول بالجبر وأنه لا فعل للإنسان ولا استطاعة، بل كل الأفعال لله فقط، وتنسب للعبد على المجاز.

فأتباع الجهم بن صفوان فيهم ثلاث جيمات: جهمية، جبرية، مرجئة.

٩- القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن حركات أهلهما تنقطع بعد دخولهم فيهما وتنعم أهل الجنة بالجنة وتألم أهل النار بالنار.

١٠- القول بأن علم الله حادث لا في محل.

١١- القول بأن الله لا يعلم بالأشياء قبل وقوعها.

١٢- إنكار السمعيات كرؤية المؤمنين لربهم عياناً يوم القيامة والحوض والميزان والصراط والشفاعة وغيرها.

١٣- ابتداع ألفاظ الجسم، العَرَض، الجوهر، الحيز، الجهة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«وأن الخوض في الأعراض والأجسام كما خاض فيه المتكلمون كقولهم: ليس بجسم ولا عرض ونحو ذلك، فأول من ابتدعه في الإسلام: الجهمية وأتباعهم من المعتزلة»[(٢)].

وقال:«فالجهمية والمعتزلة أول من قال: إن الله ليس بجسم»[(٣)].

---

(١) أخرجه الآجري (٢٨٢)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٤٩٨).

(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٥٨).

(٣) «منهاج السنة» (٢/ ٢٢٠).

ويطلق أهل العلم والسنة اسم «الجهمية» إطلاقين:

١- إطلاق عام على نفاة الصفات المعطلة.

٢- إطلاق خاص على القائلين بأقوال جهم كلها أو أكثرها كنفي الصفات والقول بالجبر والقول بفناء الجنة والنار.

قال الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله:«أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطّل، ومقاتل مشبّه»[١].

وقال الخليفة هارون الرشيد رحمه الله:«طلبت أربعة فوجدتها في أربعة: طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث»[٢].

وقال الإمام ابن المبارك رحمه الله: «الجهمية كفار»[٣].

وقال:«إنا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستجيز أن نحكي كلام الجهمية»[٤].

قال الدارمي رحمه الله -معلقاً-: «وصدق ابن المبارك، فإن من كلامهم في تعطيل

---

(١) نقله الخطيب في «تاريخ بغداد»(١٣/ ١٦٤).

(٢) أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (١٠٤).

(٣) أخرجه عبد الله (١٥)، والدارمي في «الرد على المريسي» (٥٨٩)، والخلال (١٩٣٥)، وابن بطة (٢٥٤).

(٤) أخرجه عبد الله (٢٣)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١١)، والخلال (١٦٨٤)، والآجري (٦٢٠)، وصححه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص:١٣٥)، والذهبي، وشيخنا الألباني، انظر «العلو» (١٥٢- مختصره).

صفات الله ما هو أفحش من كلام اليهود والنصارى، فلذلك رأى أهل المدينة أن يقتلوا ولا يستتابوا»[(١)].

وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: «إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلم موسى، وأن يكون استوى على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم»[(٢)].

وقال الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٩) رحمه الله: «فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه وصفه بصفة: لا شيء»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله :«وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة، لكن ما كان يكفر أعيانهم»[(٤)].

ومن مصنفات أئمة أهل السنة والجماعة:«الرد على الجهمية» لنعيم بن حماد الخزاعي (ت٢٢٩هـ) -شيخ البخاري-، و«الصفات والرد على الجهمية» لعبد الله بن محمد الجعفي (ت٢٢٩هـ) -شيخ البخاري-، و«الرد على الجهمية» لعبد العزيز الكناني (ت٢٤٠)، و«الرد على الزنادقة والجهمية» للإمام أحمد بن حنبل، و«الرد على الجهمية» للبخاري (ت٢٥٦)، و«السنة والرد على الجهمية» للأثرم (ت ٢٦١هـ) -صاحب الإمام أحمد-، و«الرد على الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٢هـ)، و«الرد على الجهمية» لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)،

---

(١) «الرد على الجهمية» (ص:٩٥-٩٦).

(٢) أخرجه عبد الله (٤٤، ٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/٧-٨)، وأورده الذهبي في «السير» (٩/ ١٩٩-٢٠٠).

(٣) أخرجه ابن قدامة في «ذم التأويل» (١٣).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٣٤٨).

و«الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة»، و«اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» كلاهما لابن قيم الجوزية (ت٧٥١) رحمهم الله جميعاً.



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الرافضة والشيعة وعقائدهم الشنيعة المناقضة للشريعة

([٣١] وَالرَّافِضَةَ رَفَضُوا الإِسْلاَمَ):

سميت الرافضة بهذا الاسم لرفضهم إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ورفضهم زيد بن علي بن الحسين (ت١٢٢هـ) لعدم رفضه لإمامة الشيخين لما خرج على هشام بن عبد الملك فتبعه جماعة من الشيعة، وطلبوا منه أن يتبرأ من أبي بكر وعمر فأبى وذكرهما بخير، فانفضوا عنه وتركوه في وقت حاجته فقال لهم زيد: «رفضتموني؟»، قالوا: نعم، فسموا بذلك.

وهم فرقة من فرق الشيعة، وإذا أطلق اسم الشيعة اليوم فلا ينصرف إلا إلى الرافضة.

ويسمون بـ: الاثني عشرية والجعفرية والإمامية، وغير ذلك.

وقد اقترن نشوء هذه الفرقة الهالكة بنشوء فرقة الخوارج.

ويقوم (دين) الرافضة على أصول:

١- القول بأن القرآن الكريم -الذي تكفل الله بحفظه وتوارثه المسلمون خلفاً عن سلف- ناقص محرف، وهو ثلث القرآن المنزل الذي كان موجوداً عند علي رضي الله عنه وهو مصحف فاطمة رضي الله عنها وقد توارثه الأئمة وهو مع الإمام المنتظر الآن!!

٢- القول بأن القرآن صامت ما لم يفسره أحد الأئمة الإثنا عشر فيصبح ناطقاً.

٣- القول بتعطيل صفات الباري وأسمائه، فهم جهمية معطلة، وقد كان متقدموهم ممثلة مجسمة.

٤- القول بأن الإيمان هو معرفة الإمام وحبه!

٥- القول بنفي القدر؛ فهم قدرية غلاة.

٦- الفول بأن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب بعده.

٧- القول بأن الصحابة كفارٌ مرتدون إلا نفراً قليلاً منهم.

وفي مقدمة من يطعنون بهم: نقلة الدين والقرآن والحديث.

ورحم الله أبا زرعة الرازي القائل:«هؤلاء يريدون أن يطعنوا بشهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة؛ فإذا كان نقله الدين مرتدين ومنافقين فلم نقبل ما نقلوه؟!» ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِءُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[الصف:٨] .

«ومن زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضاً في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا؟! فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمران:١١٠]، وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام»[١] .

٨- القول بأن الأئمة المعصومين الاثني عشر يوحى إليهم، ولهذا عرفوا السنة بأنها: ما صدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير، أما سنة الرسول ﷺ فلا يُوصل إليها إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

---

(١) «الصارم المسلول» (ص:٥٨٦-٥٨٧).

٩- القول بأن إمامة المسلمين خاصة بالأئمة الاثني عشر والطعن في إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال الشافعي:«من قال: إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي»[1].

١٠- القول بأن الأئمة معصومون لا يخطئون ولا يسهون ولا ينسون ولا يجهلون، بل يعلمون ما كان وما سيكون.

١١- القول بأن الأئمة لا يموتون إلا باختيارهم.

١٢- القول بأن الأئمة يخرجون من قبورهم إذا شاءوا لبعض الناس، وهذا ما يسمى بـ«الظهور» عندهم.

١٣- القول بأن الأئمة والأولياء أفضل من الرسل والأنبياء.

١٤- القول بأن الأئمة بعد موتهم يرجعون هم وأهل السنة وعلى رأسهم الصحابة، فينتقمون منهم فيصلبون أبا بكر وعمر، ويقيمون حد الزنا على عائشة رضي الله عنها قاتلهم الله!! وهذا ما يسمى بـ«الرجعة» عندهم.

١٥- القول بأن أماكن قبور أئمتهم حرم مقدس.

١٦- القول بالبداء: وهو ظهور الشيء لله -تنزه عن ذلك- بعد أن كان عنه خافياً، فيرجع عن الشيء بعد أن قاله أو فعله لشيء بدا له.

١٧- القول بأن غير الشيعة كفار لا حظ لهم في الجنة.

١٨- القول بأن حسنات أهل السنة هي للشيعة، وموبقات الشيعة هي لأهل السنة، وهذا ما يسمى بـ«الطينة» عندهم.

---

(١) سبق.

١٩- القول بالتقية، وهي: أن يقول الشيعي قولاً مغايراً لاعتقاده، وأن يظهر خلاف ما يبطن لمخالفه، وهي واجبة على كل شيعي، ولا يجوز للشيعي أن يصلي خلف السني إلا تقية، وأن ما كان من أئمة آل البيت من مدح للصحابة واعتراف بفضلهم وتزاوج بينهم فهو من التقية.

٢٠- القول بأن الإمام الثاني عشر وهو -المدعو محمد بن الحسن العسكري- دخل سرداب سامراء (سنة٢٦٠هـ) وهو طفل وسيظهر، وهو الإمام منذ موت أبيه إلى اليوم، مع أن الحسن العسكري مات عقيماً.

٢١- القول باستباحة دماء أهل السنة وأموالهم وأعراضهم وغيبتهم وسبهم ولعنهم وقذفهم.

٢٢- القول بحل نكاح المتعة، بل هو عندهم أفضل من الصلاة والصوم والحج.

فهل بعد هذا كله يسوغ أن يقال: إن الشيعة إخواننا، إن الشيعة موحدون[1]؟ فيستحيل أن يكون اعتقادهم هذا إلا دينا لا مذهباً ومعتقداً، فللرافضة دين، ولأهل السنة الدين الذي جاء به رسول رب العالمين.

أنعى إلى المصطفى المختار شِرْعته ... تكاد تزول من الجهال للعدم

وعقائدهم هذه مسطورة في مصنفات أئمتهم ولا حاجة إلى تسويد صفحات في نقل كلامهم، الذي يضيق الصدر ويغم البال، ويمج سماعه أولوا العقول السليمة والألباب الصحيحة المستقيمة، فضلاً عن اتباع المحجة القويمة.

---

(١) لكننا لا نكفر عوام الشيعة، أما التكفير فهو منصرف إلى أولئك أصحاب العمائم قادة العميان؛ وهم أضل منهم وأشقى؛ لأنهم عرفوا وحَرَفوا.

وقد قيض الله من أهل السنة من يدحض شبهاتهم ويبدد ظلماتهم، ويكشف ضلالاتهم وجهالاتهم، ويرد افتراءاتهم، ويبين تلبيساتهم وتدليساتهم، ويفضح زيفهم وتحريفاتهم، ويبرأ صحابة نبينا ﷺ من كذبهم ومينِهم، ويهتك سترهم وشيْنهم[١]، فما برحوا إلقاء أكيالٍ من الشتائم، وسيولٍ من السخائم على أهل الصحبة والمكارم.

لقد هزلتْ حتى بدا من هُزالها ... كُلاها وحتى سامها كلُ مفلسِ

ولكن عزاءنا أن للعباد يوماً ﴿ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[النور:٢٤].

إلى الديّان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:«ليحبني رجال يدخلهم الله ﷻ بحبي النار، ويبغضني رجال يدخلهم الله ﷻ ببغضي النار»[٢].

قيل لابن عباس رضي الله عنهما: متى يبعث ذاك الرجل؟ فقال:«أي رجل؟»، قال: علي بن أبي طالب قال:«لا يبعث حتى يبعث من في القبور»، قال: «ألا أراك تقول كما يقول هؤلاء الحمقاء؟!»، قال:«أخرجوا هذا عني، لا يدخل عليّ ولا ضرْبه من الناس»[٣].

قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة

---

(١) وعلى رأس أولئك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله ورفع درجته في المهديين–.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم (٩٨٣)، وعبد الله (١٣٤٤)، والآجري (٢٠٨٧).

(٣) أخرجه الآجري (٢٠٧٢).

فقال:«كذبوا، -والله- ما هؤلاء بشيعة، ولو كان علي رضي الله عنه مبعوثاً ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله»[(١)].

وقال جعفر الصادق رحمه الله:«كنت في مجلس غير رهط من الشيعة فعاب بعضهم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقلت: على من يقول هذا؛ لعنه الله»، فقال رجل من القوم: من أبي جعفر أخذناه، قال -أي حكيم ابنه-: فلقيت أبا جعفر فقلت: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال:«وما يقول الناس فيهما؟»، فقلت: يقلونهما، فقال:«إنما يقول ذلك المراق، توهما مثل ما تتولى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[(٢)].

وقال الحسن بن الحسن رحمه الله لرجل من الرافضة:«والله لإن أمكن الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم، ولا نقبل منكم توبة».

وقال:«مرقت علينا الرافضة كما مرقت الحرورية على علي رضي الله عنه»[(٣)].

وقال الزهري رحمه الله:«ما رأيت قوماً أشبه بالنصارى من السبأية»[(٤)]، قال أحمد بن يونس:«هم الرافضة».

وقال يزيد بن هارون رحمه الله:«لا يصلى خلف الرافضي»[(٥)].

وقال البخاري رحمه الله:«ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ١٤٥)، والطبراني (٣/ ١٣)، والآجري (٢٠٧٠).

(٢) أخرجه الآجري (٢٠٧٤).

(٣) أخرجه الآجري (٢٠٦٩).

(٤) أخرجه الآجري (٢٠٨٢).

(٥) أخرجه الآجري (٢٠٨٢).

خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم، ولا يعادون، ولا يناكحون، ولا يشهدون، ولا تؤكل ذبائحهم»[١].

وقال أحمد بن يونس رحمه الله:«لو أن يهودياً ذبح شاة وذبح رافضي، لأكلت ذبيحة اليهودي، ولم آكل ذبيحة الرافضي؛ لأنه مرتد عن الإسلام»[٢].

وقال ابن قتيبة الدينوري رحمه الله:«إن غلو الرافضة في حب علي المتمثل في تقديمه على من قدمه رسول الله ﷺ وصحابته عليه، وادعائهم له شركة النبي ﷺ في نبوته، وعلم الغيب للأئمة من ولده وتلك الأقاويل والأمور السرية قد جمعت إلى الكذب والكفر: إفراط الجهل والغباوة»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«إنهم شر من عامة أهل الأهواء، وأحق بالقتال من الخوارج، وهذا هو السبب فيما شاع في العرف العام أن أهل البدع هم الرافضة، فالعامة شاع عندها أن ضد السني هو الرافضي فقط، لأنهم أظهر معاندة لسنة رسول الله ﷺ وشرائع دينه من سائر أهل الأهواء»[٤].

وقال رحمه الله :«وحال الجهمية والرافضة شر من حال الخوارج، فإن الخوارج كانوا يقاتلون المسلمين ويدعون قتال الكفار، وهؤلاء أعانوا الكفار على قتال المسلمين وذلوا للكفار، فصاروا معاونين للكفار أذلاء لهم، معادين للمؤمنين أعزاء عليهم، كما قد وجد مثل ذلك في طوائف القرامطة والجهمية النفاة والحلولية، ومن استقرأ

---

(١) «خلق أفعال العباد» (ص:١٢٥).

(٢) نقله شيخ الإسلام في «الصارم المسلول» (ص:٥٧٠).

(٣) «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة» (ص:٤٧).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٨٢).

أحوال العالم رأى من ذلك عبراً، وصار في هؤلاء شبه من الذين قال الله فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴾[النساء:٥١] (١).

وقال رحمه الله :

«والرافضة أشد بدعة من الخوارج، وهم يكفرون من لم تكن الخوارج تكفره كأبي بكر وعمر، ويكذبون على النبي ﷺ والصحابة كذباً ما كذب أحد مثله، ... لكن الخوارج كانوا أصدق وأشجع منهم وأوفى بالعهد منهم، فكانوا أكثر قتالاً منهم وهؤلاء أكذب وأجبن وأغدر وأذل»(٢).

وقال رحمه الله :

«وإنما كان هؤلاء شراً من الخوارج الحرورية وغيرهم من أهل الأهواء، لاشتمال مذاهبهم على شر مما اشتملت عليه مذاهب الخوارج، وذلك لأن الخوارج الحرورية كانوا أول أهل الأهواء خروجاً عن السنة والجماعة»(٣).



---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/١٣٨-١٣٩).

(٢) «منهاج السنة» (٥/ ١٥٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٨٩).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الخوارج المارقون وسوء اعتقادهم

📖 ([٣٢] وَالخَوَارِجَ مُرَّاقٌ):

سميت الخوارج بهذا الاسم لأمرين:

١- خروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وتكفيره:

قال شيخ الإسلام ﷺ:«وهاتان الطائفتان-أي: الخوارج والشيعة-حدثتا بعد مقتل عثمان، وكان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان في السنة الأولى من ولايته، متفقين لا تنازع بينهم، ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أموراً أوجبت نوعاً من التفرق، وقام قوم من أهل الفتنة والظلم، فقتلوا عثمان فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان، ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين، خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفارقوه، وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له: حروراء»[١].

٢- خروجهم على الجماعة ومفارقتهم للسنة:

قال شيخ الإسلام ﷺ :«ولهذا كان أول من فارق المسلمين من أهل البدع: الخوارج المارقون»[٢].

وهي أول البدع التي أطلت برأسها على أمة الإسلام، وبعدها بقليل ظهرت بدعة الرفض ثم بدعة القدر والإرجاء ثم انتهاءً بالخوض في ذات الله ببدعتي

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٢).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٣٤٩).

التجهم والاعتزال ثم استمرت البدع في ازدياد فأصبحت البدعة بِدَعاً والفرقة فِرَقاً، وتمادى أهل البدع بباطلهم، كما أخبر النبي ﷺ في حديث الافتراق المشهور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ :«وأول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج والشيعة حدثتا في أثناء خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فعاقب الطائفتين، أما الخوارج فقاتلوه فقتلهم، وأما الشيعة فحرّق غاليتهم بالنار، وطلب قتل عبد الله بن سبأ فهرب منه، وأمر بجلد من يفضله على أبي بكر وعمر»[(١)].

«فلما شاع في الأمة أمر الخروج تكلمت الصحابة فيهم ورووا عن النبي ﷺ الأحاديث فيهم، وبينوا ما في القرآن من الرد عليهم وظهرت بدعتهم في العامة»[(٢)].

وقد قام اعتقاد الخوارج على أصول فاسدة:

١- الحكم على أصحاب الكبائر بأنهم كفار، حلالٌ دمهم ومالهم في الدنيا، مخلدون في النار في الآخرة:

قال شيخ الإسلام ﷺ:«وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك»[(٣)].

٢- إنكار الشفاعة.

٣- القول بأن الإيمان وحدة واحدة، لا يتجزأ ولا يتبعض.

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٧٩).

(٢) المرجع السابق (٧/ ٤٨٣-٤٨٤).

(٣) المرجع السابق (٧/ ٤٨١).

٤- الخروج على الحاكم الظالم والفاسق بالسيف واعتقاد ذلك:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وغاية هؤلاء إما أن يَغلبوا وإما أن يُغلبوا، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة ... فلا أقاموا ديناً وما أبقوا دنيا، والله -تعالى- لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة»(١).

قلت: ومصداق هذا قول الصادق المصدوق ﷺ: «**جُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**»(٢).

٥- تكفير الحكام الظلمة بإطلاق.

☑ والذي عليه أهل السنة والجماعة: التفصيل في الحاكم بغير ما أنزل الله:

أ- إن ترك حكم الله مستحلاً لذلك أو شاكاً أو مكذباً، أو اعتقده جائزاً أو أنه مُخَيَّرٌ فيه، أو أنه لا يصلح وغيره أصلح، ونحو ذلك، فهو واقع في الكفر الأكبر والظلم الأكبر والفسق الأكبر المخرج عن الملة، ولا يوقع الحكم بالتكفير إلا العلماء الربانيون الراسخون المعتبرون لوجود الشروط وانتفاء الموانع، والمقدّرون للمصالح والمفاسد.

ب- إن تركه لهوى أو شهوة، أو مصلحة دنيوية، أو خوف، أو رشوة، أو تأويل الجاهلين له، وهو يعتقد تحريم ما فعل، مقرٌّ بخطئه واستحقاقه للعقوبة عند الله، فهو آثم واقع في الكفر الأصغر والظلم الأصغر والفسق الأصغر الذي لا يخرجه عن الملة.

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٥٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) بإسناد حسن، انظر «إرواء الغليل» (٥/ ١٠٩).

مع اعتقادنا أن من أعظم أسباب البلاء والفرقة والذل والضعف -الذي يعتري أكثر الأمة- ترك الحكم بما أنزل الله من الخاصة والعامة والولاة والرعية.

قال شيخ الإسلام ﷺ: «ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول ﷺ في كل ما شجر بين الناس في أمر دينهم ودنياهم في أصول دينهم وفروعه، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء ألا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما حكم ويسلموا تسليما»[(١)].

٦- معاملة المسلمين معاملة الكفار واستحلال دمائهم وأموالهم واعتبار دارهم دار حرب لرضاهم بالحكم الكافر -بزعمهم-.

٧- القول بأن من خالف القرآن بعمل أو رأي أخطأ فيه فهو كافر.

٨- القول برد الأحاديث الواردة من طريق عثمان وعلي ومعاوية -رضوان الله عليهم- ومن وافقهم وتكفير علي ومعاوية والحكمين، ومن رضي بحكمهما.

٩- القول برد أحاديث الآحاد، ورد ما زادته السنة على القرآن:

قال شيخ الإسلام ﷺ: «والخوارج لا يتمسكون من السنة إلا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم، فلا يرجمون الزاني، ولا يرون للرق نصاباً، وحينئذ فقد يقولون: ليس في القرآن قتل المرتد، فقد يكون المرتد عندهم نوعين»[(٢)].

١٠- القول بقطع السارق في القليل والكثير؛ ومن المنكب.

١١- القول بإسقاط حد الرجم للزاني المحصن.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٧-٣٨).

(٢) المرجع السابق (١٣/ ٤٨).

١٢- القول بوجوب قضاء الصلاة على الحائض.

١٣- القول بتجويز الظلم والجور على رسول الله ﷺ.

١٤- القول بعدم اشتراط القرشية في الخليفة وأن يكون عربياً بل بالشورى.

وقد قال النبي ﷺ:«**النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ، مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ**»[(١)].

فالخلافة مختصة بقريش، لا يجوز عقدها لغير القرشي، لكن هذا الشرط مختص بالإمامة العظمى في حال توحد الأمة، أما من تولى الحكم في بلد من بلاد الإسلام واستقر له ذلك فهو إمام شرعي تجب طاعته وتحرم معصيته، وإن لم يكن قرشياً.

قال شيخ الإسلام ؒ:«وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس عنهم، لم نقف لهم على كتاب مصنف، كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة، والزيدية، والكرامية، والأشعرية، والسالمية، وأهل المذاهب الأربعة، والظاهرية، ومذاهب أهل الحديث، والفلاسفة والصوفية ونحو ذلك»[(٢)].

وقد استفاضت الأحاديث بل تواترت [(٣)] في ذم الخوارج: فإليك شيئاً منها:

عن جابر بن عبد الله ؓ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ عند منصرفه من خيبر، وفي ثوب رسول الله ﷺ فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها فيعطي، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٥)، ومسلم (١٨١٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٤٩).

(٣) قال شيخ الإسلام:«وهذه النصوص المتواترة عن النبي ﷺ في الخوارج قد أدخل فيها العلماء لفظاً أو معنى من كان في معناهم من أهل الأهواء الخارجين عن شريعة رسول الله ﷺ وجماعة المسلمين»«الفتاوى» (٢٨/ ٤٧٦).

يا محمد؛ اعدل، فقال ﷺ:«وَيْلَكَ؛ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله؛ دعني فأقتل هذا المنافق، فقال:«مَعَاذَ اللَّهِ؛ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(١).

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه:«يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».

قال شيخ الإسلام رحمه الله:«وهذا نعت سائر الخارجين كالرافضة ونحوهم، فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة؛ لاعتقادهم أنهم مرتدون أكثر مما يستحلون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين، لأن المرتد شر من غيره»(٢).

قلت: ما أشبه اليوم بالبارحة !

وعن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:«سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلاَفٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ لاَ يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ»، قالوا: يا رسول الله؛ ما سيماهم؟ قال:«التَّحْلِيقُ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٣)، وأحمد (٣/ ٣٥٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٩٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٦٥)، وأحمد (٣/ ٢٢٤)، وانظر «صحيح أبي داود» (٣٩٨٧).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:«يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

وفي رواية:«لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلاَ صَلاَتُكُمْ إِلَى صَلاَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلاَ صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ»[2].

قال شيخ الإسلام رحمه الله:«فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة والزهادة أمر النبي ﷺ بقتلهم، وقتلهم علي بن أبي طالب ومن معه من أصحاب النبي ﷺ، وذلك بخروجهم عن سنة النبي ﷺ وشريعته، وأظن أني ذكرت قول الشافعي:«لأن يبتلى العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى بشيء من هذه الأهواء»[3].

فلما ظهر قبح البدع في الإسلام، وأنها أظلم من الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنهم مبتدعون بدعاً منكرة؛ فيكون حالهم أسوأ من حال الزاني والسارق وشارب الخمر»[4].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ، يَقْرَءُونَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١، ٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦)، وأبو داود (٤٧٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٦) (١٠٦٦).

(٣) سيأتي.

(٤) «مجموع الفتاوى»(١١/ ٤٧٣).

الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، فَمَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ»(١).

وعن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«الْخَوَارِجُ كِلاَبُ النَّارِ»(٢).

وعن أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه يقول:«شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوا، كِلاَبُ أَهْلِ النَّارِ، قَدْ كَانَ هَؤُلاَءِ مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّاراً»، قلت: يا أبا أمامة هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ(٣).

وعن عبيد الله بن أبي رافع مولى أم سلمة؛ أن الحرورية لما خرجوا وهم مع علي بن أبي طالب، قالوا: لا حكم إلا لله، فقال علي:«أجل؛ كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف أناساً، إني لأعرف صفتهم، يقولون الحق لا يجاوز هذا منهم -وأشار إلى حلقه- هم أبغض خلق الله إلى الله، فيهم أسود إحدى يديه طُبْي شاة، أو حلمة ثدي»، فلما قتلهم علي رضي الله عنه قال:«انظروا»، فنظروا فلم يجدوا شيئاً، فقال:«ارجعوا فوالله ما كَذبت ولا كُذبت» -مرتين أو ثلاثة-، ثم وجدوه في خربة، فأتوا به علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حتى وضعوه بين يديه؛ قال عبيد الله بن أبي رافع: أنا حضرت ذلك من أمرهم(٤).

وعن عبيد الله بن أبي يزيد قال: سمعت ابن عباس -وذكر له الخوارج، واجتهادهم وصلاتهم- قال:«ليس هم بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى، وهم

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٨)، وابن ماجه (١٦٨)، وهو في «صحيح الترمذي» (١٧٧٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٣)، وهو صحيح، انظر «ظلال الجنة» (٩٠٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٧٦)، وانظر «المشكاة» (٣٥٥٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٥٧) (١٠٦٦).

على ضلالة»[١].

وذكر لابن عباس الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن؟ قال:«يؤمنون بمحكمه، ويضلون عن متشابهه، وقرأ ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[٢] [آل عمران:٧] ».

وعن الحسن البصري -وذكر الخوارج- فقال:«حيارى سكارى، ليسوا بيهود ولا نصارى، ولا مجوس فيعذرون»[٣].

وقيل له: يا أبا سعيد، خرج خارجي بالخريبة، فقال:«المسكين رأى منكراً فأنكره، فوقع فيما هو أنكر منه»[٤].

(وَالخَوَارِجَ مُرَّاقٌ): المروق: الخروج، والمارق: المفارق لجماعة المسلمين ببدعة أو ضلالة، الخارج عن سنة النبي ﷺ بهوى أو جهالة.

ومع مروق الخوارج وضلالهم؛ فإنا لا نكفرهم، وإن ورد تكفير عن بعض علماء السلف [٥].

قال شيخ الإسلام رحمه الله :«لم يحكم علي رضي الله عنه وأئمة الصحابة فيهم بحكمهم في المرتدين، بل جعلوهم مسلمين»[٦].

---

(١) أخرجه الآجري (٤٨).

(٢) أخرجه الآجري (٤٧).

(٣) أخرجه الآجري (٤٩).

(٤) أخرجه الآجري (٥٠).

(٥) انظر «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٠٠).

(٦) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٧٩).

نسأل الله السلامة والعافية من جميع هذه الفرق الغاوية، وسائر أقوالها الواهية، المفضية بقائلها إلى الهاوية.

وقد اجتمعت جميع الفرق المخالفة للسنة الخارجة عن منهج الفرقة الناجية على الإدعاء بأنهم الصواب ومخالفهم ضال مبتدع بل كافر!

وما أحسن قول القائل:

تخالف الناسُ فيما رأوا ورووا ... وكلهم يدّعون الفوزَ بالظُّفرِ

فخذ بقولٍ يكون النصُ ينصره ... إما عن الله أو عن سيد البشر



رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

كفر القائل بخلق القرآن

📖 ([٣٣] وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْراً يَنقِلُ عَنِ المِلَّةِ، وَمَنْ شَكَّ في كُفْرِهِ مِمَّن يَفْهَمُ فَهُوَ كَافِرٌ):

📄 (وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْراً يَنقِلُ عَنِ المِلَّةِ):

قال سويد بن سعيد الهروي: سمعت مالك بن أنس، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض -وذكر أقواماً غيرهم إلى أن قال-: وجميع من حملت عنهم العلم يقولون: «القرآن كلام الله -تعالى- وصفة ذاته، غير مخلوق، من قال: أنه مخلوق كافر بالله العظيم»[(١)].

عن أحمد بن يونس قال: سمعت عبد الله بن المبارك قرأ شيئاً من القرآن ثم قال:«من زعم أن هذا مخلوق فقد كفر بالله العظيم»[(٢)].

وعن عبد الله بن نافع قال:كان مالك بن أنس يقول:«القرآن كلام الله»، ويستفظع قول من يقول: القرآن مخلوق، قال مالك: «يوجع ضرباً ويحبس حتى يموت»[(٣)].

وسئل الإمام أبو بكر بن عياش: يا أبا بكر، قد بلغك ما كان من أمر ابن علية في القرآن، فما تقول فيه؟ فقال:«اسمع إليَّ: ويلك، من زعم أن القرآن مخلوق فهو

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٣٨٥).

(٢) أخرجه الآجري (١٧٧).

(٣) أخرجه الآجري (١٧٩).

عندنا كافر زنديق عدو لله -تعالى- لا تجالسه ولا تكلمه»[(١)].

قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله:«من قال:إن ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص:١-٢] مخلوق فهو كافر»[(٢)].

وقال الإمام الشافعي:«من قال القرآن مخلوق فهو كافر»[(٣)].

وقال الإمام أحمد:«من قال: القرآن مخلوق فهو عندنا كافر»[(٤)].

وقال الإمام يزيد بن هارون:«من قال: القرآن مخلوق فهو كافر»[(٥)].

وقال الإمام علي بن المديني:«القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر»[(٦)].

وسئل الإمام عبد الرحمن بن مهدي: ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال:«لو أني على سلطان لقمت على الجسر فكان لا يمر بي رجل إلا سألته، فإذا قال: القرآن مخلوق، ضربت عنقه، والقيته في الماء»[(٧)].

وقال الإمام أبو يعقوب البويطي:«من قال: القرآن مخلوق فهو كافر»[(٨)].

---

(١) أخرجه الآجري (١٧٦)، وجوَّد إسناده شيخنا في «مختصر العلو» (ص:١٦٦).

(٢) أخرجه عبد الله (١٣).

(٣) أخرجه اللالكائي (٤١٩)، والآجري (١٩٠).

(٤) أخرجه عبد الله برقم (١).

(٥) أخرجه أبو داود في «مسائله» (ص:٢٦٨).

(٦) أخرجه اللالكائي (٤٥٣).

(٧) أخرجه أبو نعيم (٩/ ٧)، والآجري (١٨٠، ١٨١).

(٨) أخرجه أبو داود في «المسائل» (ص:٢٦٨).

قال رجل للإمام أبي بكر بن أبي شيبة: القرآن كلام الله وليس بمخلوق، فقال أبو بكر:«من لم يقل هذا فهو ضال مضل مبتدع»[(١)].

وهذا غيض من فيض أقوال السلف في تكفير القائلين بخلق القرآن.

(وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ مِمَّن يَفْهَمُ فَهُوَ كَافِرٌ):

اشترط الشيخان للتكفير: الفهم والعلم، لأنه ليس كل من وقع منه الكفر وقع الكفر عليه لوجود مانع يمنع من كفره.

قال شيخ الإسلام:«وحقيقة الأمر في ذلك: أن القول قد يكون كفراً؛ فيطلق القول بتكفير صاحبه: ويقال: (من قال كذا فهو كافر)، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر بتركها»[(٢)].

وللتكفير عند أهل السنة والجماعة شروط ثلاثة:

١- العلم، ويقابله الجهل:

واستمع أخي -سددني الله وإياك- لقول شيخ الإسلام وإمام أهل السنة أحمد ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة، الذين نفوا أن الله -تعالى- فوق العرش لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافراً، لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جهال.

وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم.

وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرؤوسهم، في قصور من معرفة المنقول

---

(١) أخرجه عبد الله (١٦٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٣٤٥).

والمعقول الصريح الموافق له»[١].

ويقول شيخ الإسلام في زمانه الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ﷺ:«وأما ما ذكر الأعداء عني أني أُكفر بالظن والموالاة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله»[٢].

ويقول:«وإذا كنا لا نكفر من عَبَدَ الصنم الذي على قبر «أحمد البدوي» لأجل جهلهم، وعدم وجود من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا»[٣].

ويقول:«وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته بعدما نبين له الحجة على بطلان الشرك»[٤]، «وكذلك من عبد الأوثان بعدما عرف أنها دين للمشركين، وزينه للناس، فهذا الذي أكفره»[٥].

ولا يتناول العذر بالجهل ما كان معلوماً من الدين بالضرورة، وهو ما يستوي في معرفته العالم والجاهل من المسلمين، وقد يختلف ضابطه باختلاف الزمان والمكان.

٢- قصد الفعل[٦] ويقابله: الذهول.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٤٩٤).

(٢) «مجموع مؤلفاته» (القسم الخامس/ ص:٢٥).

(٣) نقله العلامة سليمان بن سحمان في «منهاج أهل الحق والاتباع» (ص:٥٦).

(٤) «مجموع مؤلفاته» (القسم الخامس/ ص٦٠).

(٥) المرجع السابق (ص:٥٨).

(٦) قال ابن تيمية: «وبالجملة، فمن قال أو فعل ما هو كفرٌ؛ كَفَر بذلك، وإن لم يقصد أن

وقصة الرجل الذي قال من شدة الفرح:«اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ»[١] لا تخفى.

٣- الاختيار ويقابله: الإكراه.

وقد جمع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الشروط بقوله:«ولهذا كانت الأقوال في الشرع لا تعتبر إلا من عاقل يعلم ما يقول ويقصده..

فالمؤاخذة لم تقع إلا بما اجتمع فيه كسب القلب مع عمل الجوارح، فأما ما وقع في النفس؛ فإن الله تجاوز عن ما لم يتكلم به، أو يعمل.

وما وقع من لفظ أو حركة بغير قصد وعمل، فإنه لا يؤاخذ به.. وأما إذا كان يعلم ما يقول، فإن كان مختاراً، قاصداً لما يقوله فهذا يعتبر قوله..»[٢].

وللتكفير ثلاثة أسباب:

١- **القول:** كسَبِّ اللهِ أو رسوله ﷺ أو ادعاء النبوة أو الاستهزاء بآيات الله، وهذا كفر يستوي فيه الجاد والمازح والمستحل وغير المستحل.

٢- **العمل:** كالسجود للأوثان وإهانة المصحف وإلقائه في القاذورة، وهذا كفر يستوي فيه المستحل وغير المستحل.

٣- **الاعتقاد:** كاعتقاد الشريك لله أو الصاحبة والولد له، واستحلال الخمر،

= يكون كافراً، إذ لا يكاد يقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله» «الصارم المسلول» (٢/ ٣٣٩).

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ١١٥-١١٨).

واستباحة الزنا، ونحو ذلك مما أجمع عليه إجماعاً قطعياً.

◘ ولهذا ينقسم الكفر إلى قسمين:

١- **كفر اعتقادي:** وهو الكفر الأكبر المخرج عن الملة.

٢- **كفر قولي أو عملي:** وهو على ضربين:

أ- ما ليس مخرجاً من الملة، من الكفر العملي المحض، كالحلف بغير الله، وإتيان العرافين، ونحو ذلك.

ب- ما كان مخرجاً من الملة بذاته، وهو ما كان مضاداً للإيمان من كل وجه ولا يشترط لإيقاعه استحلال قلبي، لأنه بذاته كفر ظاهر مستلزم لكفر الباطن ودال عليه، ومثاله: ما سبق ذكره من سب الله، ورسوله ﷺ والسجود للصنم والاستهزاء بالدين.

وقد يطلق بعض أهل العلم والسنة بأن الكفر العملي غير مكفر، ولكن مرادهم بذلك الكفر الأصغر بلا شك، فكما يطلق الكفر الأصغر بمقابل الكفر الأكبر؛ يطلق بعض أهل السنة الكفر العملي بمقابل الكفر الاعتقادي، فعلم أن الكفر العملي يتناول الكفرين الأصغر والأكبر بحسبه.

والكفر الأكبر: هو ما كان مخرجاً من الملة مناقضاً لأصل الإيمان موجباً للخلود في النار.

أما الأصغر: فهو ما أطلق عليه الشرع اسم الكفر ولم يصل إلى حد الكفر الأكبر، وأوجب استحقاق الوعيد دون الخلود، لمنافاته كمال الإيمان.

وينقسم الكفر الأكبر عند أهل السنة والجماعة إلى ستة أقسام:

☑ **كفر التكذيب:** هو الكفر ظاهراً وباطناً بالقلب واللسان معاً، كما في قوله تعالى:﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[الزمر:٣٢].

☑ **كفر الجحود:** وهو التكذيب باللسان دون القلب المقترن بالعناد، ككفر فرعون، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[النمل:١٤].

وقد حصرت المرجئة الكفر بنوع واحد وهو كفر التكذيب والجحود، فكان قولاً من أقوالها الضلالية.

قال شيخ الإسلام:«وهذا لأن الكفر لو كان مجرد الجحد أو إظهار الجحد لما كان إبليس كافراً، إذ هو خلاف نص القرآن»(١).

☑ **كفر الإباء والعناد والاستكبار:** ككفر إبليس، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة:٣٤].

☑ **كفر النفاق:** وهو انقياد الجوارح الظاهرة لكن مع كفر الباطن وانتفاء عمل القلب، وهذا هو النفاق الأكبر، كما في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[المنافقون:٣].

☑ **كفر الشك:** وهو التردد والظن، كما في قوله تعالى:﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾[الكهف:٣٥].

☑ **كفر الإعراض:** هو الإعراض عن الحق ظاهراً وباطناً بلا تصديق أو

---

(١) «شرح العمدة» (ص:٨٦ -كتاب الصلاة).

تكذيب ولا موالاة أو معاداة ولا حب أو بغض، كما في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴾[الأحقاف:٣٦٦].

نعوذ بالمولى الحق من الكفر ما كَبُر منه ودق.



بطلان قول الواقفة في القرآن

([٣٤] وَمَنْ شَكَّ فِي كَلَامِ اللهِ فَوَقَفَ فِيهِ شَاكاً، يَقُولُ: لاَ أَدْرِي؛ مَخْلُوقٌ أَمْ غَيرَ مَخْلُوقٍ؛ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ وَقَفَ فِي القُرآنِ جَاهِلاً عُلِّمَ وَبُدِّعَ وَلَمْ يُكَفَّرْ):

انقسمت الجهمية في القرآن على ثلاث طوائف:

- القائلين بخلق القرآن.

- اللفظية القائلين: لفظنا بالقرآن مخلوق.

- الواقفة القائلين: لا ندري القرآن مخلوق أم غير مخلوق.

قال الإمام أحمد رحمه الله:«افترقت الجهمية على ثلاث فرق: فرقة قالوا: القرآن مخلوق، وفرقة قالوا: كلام الله وتسكت، وفرقة قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق»(١).

وقد قال بالشك في القرآن بعض الجهمية بعد انتصار السنة وظهورها، وانتهاء فتنة القول بخلق القرآن، تقية من باب التورع والتوسط بين قول أهل السنة، وبين قول الجهمية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن، لعدم استطاعتهم الافصاح ببدعتهم، بسبب انتشار السنة وانتصار أهلها وانحسار البدعة وخسار أهلها بفضل الله أولاً ثم بصبر إمام أهل السنة الإمام أحمد رحمه الله في المحنة العظيمة وانتقال الملك إلى المتوكل رحمه الله.

وقد كانوا أشر ممن قال: القرآن مخلوق، لأنهم فتحوا باباً من الشبهات والشك في كلام الله -تبارك وتعالى- باسم التورع.

---

(١) رواه صالح في «المحنة» (ص٧٢)، وانظر «السنة» (٧٦).

قال الإمام أحمد رحمه الله:«هم شر من الجهمية»[١].

وقال الإمام قتيبة بن سعيد:«هؤلاء -يعني الواقفة- شر منهم، ممن قال القرآن مخلوق»[٢].

وقال الإمام عثمان بن أبي شيبة:«هؤلاء الذين يقولون: كلام الله ويسكتون، شر من هؤلاء -يعني ممن قال: القرآن مخلوق»[٣].

(وَمَنْ وَقَفَ فِي القُرآنِ جَاهِلاً عُلِّمَ وَبُدِّعَ وَلَمْ يُكَفَّرْ):

لأنه وقف عن جهل وشبهة وغباوة، فلا يعدو حاله أن يكون مبتدعاً.

قال الإمام أحمد -تغمده الله برحمته-:«من كان يخاصم ويعرف بالكلام فهو جهمي، ومن لم يعرف بالكلام يُجانب حتى يرجع، ومن لم يكن له علم يسأل»[٤].

ومن أقوال السلف في ذم الواقفة وتكفيرهم:

سئل الإمام أحمد رحمه الله: هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله -تعالى- ثم يسكت؟ فقال:«ولم يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون؟»[٥].

قال الإمام الآجري رحمه الله :«معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى، يقول: لم

---

(١) رواه عبد الله رقم (٢٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في «مسائله» (ص:٢٧٠)، والآجري رقم (٢٠٥).

(٣) أخرجه أبو داود في «مسائله» (ص:٢٧١)، والآجري رقم (٢٠٥).

(٤) رواه عبد الله (٢٢٣)، والخلال (١٧٨٦، ١٨٢٤)، وابن بطة (٩٧).

(٥) أخرجه أبو داود في «مسائله» (ص:٢٦٣-٢٦٤)، والخلال في «السنة» (١٧٩٤)، والآجري (٢٠٣)، والأصبهاني في «الحجة» (١/ ٣٩٠).

يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله ﷻ ، فلما جاء جهم فأحدث الكفر بقوله: إن القرآن مخلوق، لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق بلا شك ولا توقف فيه، فمن لم يقل: غير مخلوق، سُمّي واقفياً شاكاً في دينه»[١].

وقال الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله : سمعت أحمد ذكر رجلين كان وقفا في القرآن، ودعوا إليه، فجعل يدعو عليهما، وقال لي:«هؤلاء فتنة عظيمة»، وجعل يذكرهما بالمكروه.

وقال: رأيت أحمد سلم عليه رجل من أهل بغداد -ممن وقف فيما بلغني- فقال:«أغرب، لا أرينك تجيء إلى بابي»، في كلام غليظ ولم يرد عليه السلام، وقال له:«ما أحوجك إلى أن يصنع بك ما صنع عمر بصبيغ»[٢].

وقال أبو طالب: سألت أبا عبد الله عمن أمسك فقال: لا أقول ليس هو مخلوقاً، إذا لقيني بالطريق وسلم علي أسلم عليه؟ قال:«لا تسلم عليه، ولا تكلمه، كيف يعرف هو أنك منكر عليه، فإذا لم تسلم عليه عرف الذل، وعرف أنك أنكرت عليه، وعرفه الناس»[٣].

وقال أبو داود: سمعت أحمد وقيل له: ما ترى في الصلاة خلف من يقول في القرآن: كلام الله ويقف؟ قال:«يعجبني أن يُجْفوا»[٤].

---

(١) «الشريعة» (١/ ٢٣٢).

(٢) رواه أبو داود في «المسائل» (ص:٢٦٤)، والآجري (٢٠٤).

(٣) أخرجه الآجري (٢٠٧).

(٤) رواه أبو داود في «المسائل» (ص:٢٦٤).

وقال مهنا أبو عبد الله السلمي: سألت أحمد بن حنبل بعد ما أخرج من السجن بسنتين: ما تقول في القرآن؟ فقال:«كلام الله غير مخلوق»، وقال:«من روى عني غير هذا فهو مبطل»، قلت له: إن بعض من ذكر عنك أنك قلت له: هو كلام الله، لا مخلوق ولا غير مخلوق، ولكن هو كلام الله، فقال أحمد: «أَبْطَلَ، ما قلت هذا، ولكنه هو كلام الله غير مخلوق»(١).

وقال سلمة بن شبيب: دخلت على أحمد بن حنبل فقلت: ما تقول فيمن يقول: القرآن كلام الله؟ فقال أحمد:«ومن لم يقل: القرآن كلام الله غير مخلوق فهو كافر».

ثم قال:«لا تشكن في كفرهم، فإن من لم يقل: القرآن كلام الله غير مخلوق فهو يقول: مخلوق: ومن قال: هو مخلوق فهو كافر بالله ﷻ».

قال سلمة: وقلت لأحمد: الواقفة كفار؟ فقال:«كفار»(٢).

وقال الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله :«من قال: لا أقول: القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، فهو جهمي»(٣).

وقال الإمام أبو خيثمة -وسأل يحيى بن معين- فقال: إنهم يقولون: إنك تقول: القرآن كلام الله، وتسكت، ولا تقول: مخلوق، ولا غير مخلوق، قال: «لا» فعاودته، فقال:«معاذ الله، القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله»(٤).

---

(١) رواه عبد الله (٥٢٩).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «المناقب» (ص:١٥٧).

(٣) رواه أبو داود في «المسائل» (ص:٢٧٠)، والآجري (٢٠٥).

(٤) أخرجه اللالكائي (٤٥٦).

وقال الإمام أبو الوليد الطيالسي رحمه الله: «من لم يعقد قلبه على أن القرآن ليس بمخلوق فهو خارج من الإسلام»[١].

وقال الإمام أبو داود: سألت أحمد بن صالح عمن قال: القرآن كلام الله، ولا يقول: ولا غير مخلوق؟ قال: «هذا شاك، والشاك كافر»[٢].

ورحم الله الإمام ابن قتيبة إذ قال: «الكلام لا يُعارض بالسكوت، والشك لا يُداوى بالوقوف»[٣].



(١) رواه أبو داود في «المسائل» (ص:٢٦٦).

(٢) رواه أبو داود في «المسائل» (ص:٢٧١)، والخلال (١٨١٠)، وابن بطة (٨٠)، والآجري (٢٠٥).

(٣) «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية» (ص: ٦١).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بطلان قول اللفظية في القرآن

📖 ([٣٥] وَمَن قَالَ: لَفْظِي بِالقُرآنِ مخلُوقٌ، أَو: القُرآنَ بِلَفظِي مخلُوقٌ؛ فَهُوَ جَهْمِي):

لما افتضح القائلون بخلق القرآن رأوا أن يدعوا إلى عقيدتهم هذه بطريق أخرى تلبيساً على العوام وتدليساً على الطغام، فقالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق، أو قراءتنا بالقرآن مخلوقة، أو تلاوتنا للقرآن مخلوقة.

وهذه الكلمة الموهمة تحتمل أمرين:

١- الفعل، وهو التلفظ المتمثل بحركة اللسان والشفاه، وصوت الإنسان وهذا مخلوق؛ فيكون على هذا المعنى اللفظ -و هو التلفظ بالقرآن وغير القرآن- مخلوقاً.

وحينئذٍ، إذا كان الملفوظ به هو القرآن يكون الصوت صوت القارئ، والكلام كلام الباري، والكلام إنما يضاف إلى من قاله ابتداءً لا إلى من قاله بلاغاً وأداءً.

وقد سبق قول الشيخين -يرحمهما الله-: (والقُرآنَ كَلاَمَ اللهِ غَيرُ مخلُوقٍ بجميعِ جِهَاتِهِ).

٢- الملفوظ والمتلو والمقروء المحفوظ وهو كلام الله، وهذا ليس مخلوقاً.

واللفظية إنما أرادوا هذا المعنى، ولذا حكم عليهم أئمتنا بأنهم جهمية بل شر منها ومن الواقفة، لأنهم أرادوا أن القرآن الذي يتلوه الناس بألسنتهم وأصواتهم مخلوق.

ولو فرض أن رجلاً قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وإنما أراد التلفظ وفعل العبد؛

فلا يجوز قوله هذا؛ لإيهامه، ويجب الكف عن أمثال هذه الأقوال.

وهذا لم يجهّم ويكفر الإمام أحمد من قال ذلك وهو يريد فعل العبد.

قال الإمام أحمد:«من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد القرآن فهو كافر»[١].

قال البيهقي رحمه الله -معلقاً-:«فإنما أنكر قول من تذرع بهذا إلى القول بخلق القرآن، وكان يستحب ترك الكلام فيه بهذا المعنى، والله أعلم»[٢].

وقال رحمه الله:«كل من يقصد إلى القرآن بلفظ أو غير ذلك، يريد به مخلوق فهو جهمي»[٣].

ومن أقوال أئمة السلف في تبديع هؤلاء وتكفيرهم:

قال عبد الله بن أحمد: سألت أبي رحمه الله، قلت: ما تقول في رجل قال: التلاوة مخلوقة، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة، والقرآن كلام الله عز وجل وليس بمخلوق؟ وما ترى في مجانبته؟ وهل يسمّى مبتدعاً؟ فقال:«هذا يجانب، وهو قول المبتدع، وهذا كلام الجهمية، ليس القرآن بمخلوق، قالت عائشة رضي الله عنها: تلا رسول الله ﷺ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧]، فالقرآن ليس بمخلوق»[٤].

وقال عبد الله: سألت أبي رحمه الله، قلت: إن قوماً يقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق فقال:«هم جهمية، وهم أشرّ ممن يقف، هذا قول جهم».

---

(١) أخرجه البيهقي في «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» (ص:١١٥) بإسناد صحيح.

(٢) «الاعتقاد» (ص:١١٥).

(٣) أخرجه عبد الله (١٨٣).

(٤) رواه عبد الله (١٧٨).

وعظم الأمر عنده في هذا، وقال:«هذا كلام جهم»[١].

وقال عبد الله: سمعت أبي يقول:«من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، هذا كلام سوء رديء، وهو كلام الجهمية».

قلت له: إن الكرابيسي يقول هذا، فقال:«كذب -هتكه الله- الخبيث».

وقال:«قد خلف هذا بشراً المريسي»[٢].

وقال صالح بن أحمد: قلت لأبي: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق يكلم؟ قال: «هذا لا يكلم، ولا يصلي خلفه، وإن صلى رجل أعاد»[٣].

وقال: سأل يعقوب بن إبراهيم الدورقي أبي عمّن قال: لفظه بالقرآن مخلوق، كيف يقول في هؤلاء؟ قال:«لا يكلم هؤلاء، ولا يكلم في هذا، القرآن كلام الله غير مخلوق على كل جهةٍ، وعلى كل وجه، وعلى أي حال»[٤].

وسئل الإمام أحمد بن حنبل: هؤلاء الذين يقولون: إن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة؟ فقال: «هم شرٌّ من قول الجهمية، من زعم هذا فقد زعم أنّ جبريل جاء بمخلوق، وأن النبي ﷺ تكلم بمخلوق»[٥].

وسئل عن الذي يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؟ فقال:«هذا كلام جهم، من كان

---

(١) رواه عبد الله (١٨٠).

(٢) رواه عبد الله (١٨٦).

(٣) رواه صالح في «المحنة» (ص:٧٠).

(٤) رواه صالح في «المحنة» (ص:٧٠).

(٥) رواه أبو داود في «المسائل» (ص:٢٧١)، وابن هانىء في «المسائل» (٢/ ١٥٣)، والخلال (٢١١٧)، وابن بطة (١٣٢).

يخاصم منهم فلا يجالس ولا يكلم، والجهمي كافر»[١].

وسئل عمن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، أيصلى خلفه؟ فقال:«لا يصلى خلفه، ولا يجالس، ولا يكلم ولا يسلم عليه»[٢].

قال الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله:«وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن، فلا أثر نعلمه عن صحابي مضى، ولا عن تابعي قضى، إلا عمن في قوله الشفا والغناء، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام الأئمة الأولى، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه»[٣].

وقال الإمام أبو بكر الآجري رحمه الله:«احذروا -رحمكم الله تعالى- هؤلاء الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، هذا عند أحمد بن حنبل ومن كان على طريقته منكر عظيم، وقائل هذا مبتدع، يجتنب، ولا يكلم، ولا يجالس، ويحذّر منه الناس»[٤].

وقال شيخ الإسلام:«أنكر بدعة اللفظية الذين يقولون: إن تلاوة القرآن وقراءته واللفظ به مخلوق، أئمة زمانهم، جعلوهم من الجهمية، وبينوا أن قولهم يقتضي القول بخلق القرآن، وفي كثير من كلامهم تكفيرهم»[٥].

أما من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فهو مبتدع، لأنه ابتدع قولاً لم يقل به السلف، «ولو كان خيراً لسبقونا إليه».

---

(١) رواه ابن هانىء «مسائله» (٢/ ١٥٤).

(٢) رواه ابن هانىء (٢/ ١٥٢).

(٣) «صريح السنة» (ص:٥٩).

(٤) «الشريعة» (١/ ٢٣٥).

(٥) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٢١).

قال الإمام أحمد:«من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومن قال: هو غير مخلوق؛ فهو مبتدع»(١).

ومن أراد الوصول إلى صحيح الاعتقاد والأصول، فما له غير سبيل الرسول ﷺ ومنهج صحابته العدول رضوان الله عليهم، ومن تنكب غير ذلك فهو ضال جهول، عن الحق والهدى معزول.

وهل يستنير بنور الهدى غويٌ أصار الهوى دينا



(١) أخرجه الطبري في «صريح السنة» (ص:٦٠)، واللالكائي برقم (٦٠٢).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

من علامات أهل البدع وفرق الضلال

(قَالَ أبو محمَّد: سمعتُ أَبِي رحمه الله يَقُولُ:

عَلامَةُ أَهلِ البِدَعِ: الوقِيعَةُ في أَهْلِ الأَثَرِ.

وَعلامَةُ الزَّنَادِقَةُ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ حَشْوِيةً، يُرِيدُونَ إِبطَالَ الآثَارِ.

وَعلامَةُ الجَهْمِيَّةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشبِّهَةً.

وَعلامَةُ القَدرِيةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُجْبِرَةً.

وَعلامَةُ المُرْجِئَةُ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُخَالِفَةً وَنقْصَانِيَةً.

وَعلامَةُ الرَّافِضَةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ نَابِتَة وَنَاصِبَةً.

وَلاَ يَلْحَقُ أَهْلَ السُّنَّةِ إلاَّ اسْمٌ وَاحِدٌ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمعَهُمْ هَذِهِ الأَسَامِي!):

(عَلامَةُ أَهلِ البِدَعِ الوقِيعَةُ في أَهْلِ الأَثَرِ):

من أظهر علامات أهل البدع -قديمهم وحديثهم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها-: الطعن والوقيعة في أهل الحق والسنة، فديدنهم الطعن والتجريح والذم والتقبيح والافتراء والاعتداء، والبهتان المصاحب للعدوان على من خالفهم، بل يصل إلى التبديع والتضليل والتكفير، لكنهم بذلك أحرى إن كانوا له أهلاً.

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله: «ليس من صاحب بدعة تحدثه عن رسول الله ﷺ

بخلاف بدعته بحديث إلا أبغض الحديث»(١).

وقال أحمد بن سنان القطان رحمه الله: «ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه»(٢).

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله: «وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم واستخفافهم بهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة، اعتقاداً منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ووساوس صدورهم المظلمة وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، وكلماتهم وحججهم العاطلة، بل شبههم الداحضة الباطلة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾[محمد:٢٣]، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨] (٣).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة في دينه، وفقهاً في سنة رسوله ﷺ، وفهماً في كتابه، وأراه ما الناس فيه من الأهواء والبدع، والضلالات، وتنكبهم عن الصراط المستقيم، الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط، فليوطن نفسه على قدح الجهال، وأهل البدع فيه، وطعنهم عليه وازرائهم به، وتنفير الناس عنه، كما كان

---

(١) أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص:١٤٤).

(٢) أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (١٤٥)، والصابوني في «عقيدة السلف» (ص:١٠٩).

(٣) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص:١٠٩).

سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ، فأما إن دعاهم إلى ذلك، وقدح فيما هم عليه، فهنالك تقوم قيامتهم، ويبغون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجْله»[(١)].

ورحم الله شيخ الإسلام القائل:«ومن المعلوم أن الأعتراض والقدح ليس بعلم، ولا فيه منفعة، وأحسن أحوال صاحبه أن يكون بمنزلة العامي، وإنما العلم في جواب السؤال»[(٢)].

ولو كفر البدعي السُّنّي فإنه لا يقابله بسوء صنيعه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:«ولهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه، وتزني بأهله، لأن الكذب والزنى حرام لحق الله -تعالى-، وكذلك التكفير حق الله، فلا يكفّر إلا من كفره الله ورسوله»[(٣)].

وقال:«وهذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدى حدود الله فيَّ بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية، فأنا لا أتعدى حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله، وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس حاكماً فما اختلفوا فيه»، إلى أن قال:«وذلك أنك ما جازيت

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٩٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٨).

(٣) «الرد على البكري» (٢/ ٤٩٣).

من عصى الله فيك، بمثل أن تطيع الله فيه»[١].

(أَهْلِ الأَثَرِ):

الأثر في اللغة: بقية الشيء.

وفي الاصطلاح: ما يروى عن الصحابي والتابعي.

وهو هنا ذاك المعنى العام الدال على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

ومنه قول الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله:

دين النبي محمدٍ أخبارُ ... نعم المطية للفتى الآثارُ

لا ترغبنّ عن الحديث وأهله ... فالرأي ليل والحديث نهارُ

وربّما جهل الفتى أثر الهدى ... والشمس بازغة لها أنوار[٢]

وأهل الأثر: هم المتمسكون بالمأثور من الكتاب وصحيح السنة وأقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين في القول والفعل والاعتقاد.

(وَعَلاَمَةُ الزَّنَادِقَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ حَشْوِيَةً، يُرِيدُونَ إِبطَالَ الآثَارِ):

(الزَّنَادِقَة): جمع زنديق، كلمة فارسية معربة.

والزنديق: هو من لا يؤمن بالآخرة والربوبية والوحدانية لله رب العالمين، ويطعن في الأديان والرسل، ويقول بدوام الدهر وأن الطبيعة هي الموجد المحدث، ويحصر العلم

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١٤٥٩).

بالمحسوس والمعقول فقط، وكل ذلك عن جحود ومكابرة.

ويطلق بعض الفقهاء اسم «الزنديق» على المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، ويطلقه آخرون على الذي لا ينتحل ديناً.

وقد أطلقه بعض أئمة السلف على بعض أصحاب المعتقدات الباطلة وأهل البدع.

ومنه: ما قاله شيخ الإسلام ﵀:«الذين يعيبون أهل الحديث، ويعدلون عن مذهبهم جهله زنادقة منافقون بلا ريب، ولهذا لما بلغ الإمام أحمد عن ابن أبي قتيلة أنه ذكر عنده أهل الحديث فقال: قوم سوء، قام الإمام أحمد وهو ينفض ثوبه ويقول:«زنديق، زنديق، زنديق» ودخل بيته[(١)]؛ فإنه عرف مغزاه»[(٢)].

وقال الإمام أحمد ﵀:«إذا رأيت الرجل ينتقص حماد بن سلمة أو يغمزه فاتهمه على الإسلام؟ فإنه كان شديداً على أهل البدع»[(٣)].

وقال أبو الحسن الهمداني ﵀ :«أحمد بن حنبل محنة، به يعرف المسلم من الزنديق»[(٤)].

---

(١) أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص:١٤٧)، وابن الجوزي في «المناقب» (ص:١٨٠)، والصابوني (ص:١٠٩)، والهروي في «ذم الكلام» برقم (٢٤١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٩٦).

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٢٩).

(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٨٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٢٢).

وقال نعيم بن حماد رحمه الله: «إذا رأيت العراقي يتكلم في أحمد بن حنبل فاتهمه في دينه، وإذا رأيت البصري يتكلم في وهب بن جرير فاتهمه في دينه، وإذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتهمه في دينه»(١).

وقال الربيع بن سليمان: قال الشافعي رحمه الله: «من أبغض أحمد بن حنبل فهو كافر»، فقلت: تطلق عليه اسم الكافر؟ فقال: «نعم، من أبغض أحمد بن حنبل عاند السنة، ومن عاند السنة قصد الصحابة، ومن قصد الصحابة أبغض النبي ﷺ، ومن أبغض النبي ﷺ كفر بالله»(٢).

وقال يحيى بن معين رحمه الله: «إذا رأيت أنساناً يقع في عكرمة وحماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام»(٣).

وقال الإمام الدارمي رحمه الله: «الجهمية عندنا زنادقة من أخبث الزنادقة، نرى أن يستتابوا من كفرهم، فإن أظهروا التوبة تركوا... وإن شهدت عليهم بذلك شهود فأنكروا، ولم يتوبوا قُتّلوا، كذلك بلغنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سن في الزنادقة»(٤).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «هذا مع العلم بأن كثيراً من المبتدعة منافقون النفاق الأكبر، وأولئك كفار في الدرك الأسفل من النار، فما أكثر ما يوجد في الرافضة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون، بل أصل هذه البدع هو من المنافقين

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٦/ ٣٤٨)، وكذا «ابن عساكر» (٨/ ١٣٢).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «المناقب» (ص:١٣٤-١٣٥).

(٣) ذكره الذهبي في «السير» (٧/ ٤٤٦-٤٤٧).

(٤) «الرد على الجهمية» (ص: ٢٠٩).

الزنادقة»[١].

ورحم الله ابن القيم القائل:

فإن كان تجسيماً ثبوت صفاته وتنزيهها عن كل تأويل مفتري

فإني بحمد الله كنت مجسماً هلمّوا شهودنا واملأوا كل محضر

ويقول غيره:

فإن كان تجسيماً ثبوت صفاته لديكم فإني اليوم عبد مجسّمُ

(حَشْوِيَّة): الحشْو: ما لا خير فيه ولا فائدة منه، وحشو الناس: أرذلهم.

ومنه قول القائل:

مصون الشعر تحفظه فيكفي وحشو الشعر يورثك الملالا

وأول من نبز السلف وأئمتهم بذلك: عمرو بن عبيد (ت:١٤٤) إمام المعتزلة الثاني، فإنه ذكر له عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما شيئاً يخالف قوله فقال:«كان ابن عمر حشوياً»[٢].

ويطلقها أهل البدع والضلال على أهل السنة والأثر ويريدون به معاني:

١- إثبات الصفات، لأن إثباتها عندهم تجسيم، والتجسيم حشو.

٢- إثبات صفة الفوقية والاستواء لله؛ لأن إثباتها فيه حشو لله -تعالى- في هذا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٩٧).

(٢) أنظر «منهاج السنة» (٢/ ٥٢٠)، و«درء التعارض» (٧/ ٣٥١)، و«نقض التأسيس» (١/ ٢٤٤)، و«مجموع الفتاوى» (١٢/ ١٧٦).

الكون.

٣- رواية أحاديث الصفات التي تستلزم التشبيه والتجسيم بزعمهم.

ويطلقونه على أهل السنة لاعتقادهم أنهم سفلة وأرذل الناس، ويطلقها الرافضة عليهم لأنهم الأكثرين، ويطلقها الزنادقة عليهم لإبطال الآثار والدين الذي يدعون إليه ويذبون عنه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآنِ

حشوية يعنون حشواً في الوجو ... د وفضله في أمة الإنسانِ

ويظن جاهلهم بأنهم حشوا ... رب العباد بداخل الأكوانِ

إذ قولهم فوق العباد وفي السما ... ء الرب ذو الملكوت والسلطانِ

ظنَ الحميرُ بأن في للظرف والر ... حمنُ محويٌ بظرفِ مكانِ

والله لم يُسمع بذا من فرقةٍ ... قالته في زمنٍ من الأزمانِ

لا تبهتوا أهل الحديث به فما ... ذا قولهم تباً لذي البهتانِ

بل قولهم إن السماوات العُلى ... في كفِ خالقِ هذه الأكوانِ

حقاً كخردلةٍ ترى في كف مُمـ ... ـسكها تعالى الله ذو السلطانِ

أترونه المحصورَ بعدُ أم السما ... يا قومنا ارتدعوا عنِ العدوانِ

كم ذا مشبهةٌ وكم حَشْويةٌ ... فالبهت لا يخفى على الرحمنِ

يا قوم إن كان الكتاب وسنة الـ ... ـمختار حشواً فاشهدوا ببيانِ

أنـــا بحمـــد إلهنـــا حشـــوية صِـــرفٌ بـــلا جحـــد ولا كتمـــان

تـــدرون مـــن سَمَّـــت شـــيوخكم بهـــ ـــذا الاســـم في الماضـــي مـــن الأزمـــان

سَمَّـــى بـــه ابـــن عبيـــد عبـــد الله ذا ك أبـــن الخليفـــة طـــارد الشـــيطان

فـــورثتم عَمْـــراً كمـــا ورثـــوا لعبـــ ـــد الله أنـــى يســـتوي الإرثـــان

تـــدرون مـــن أولى بهـــذا الاســـم وهـــ ـــو مناســـبٌ أحوالـــهُ بـــوزان

من قد حشا الأوراقَ والأذهانَ من هـذا بـــدع تخـــالفُ موجـــبَ القـــرآن

هـــو الحشْـــوي لا أهـــل الحديـــ ـــث أئمـــةُ الإســـلامِ والإيمـــان

وردوا عـــذاب مناهـــلِ الســـننِ الـــتي ليســـت زبالـــةَ هـــذه الأذهـــان

ووردتم القلُّـــوط مجـــرى كـــل ذي الـــ أوســـاخِ والأقـــذارِ والأنتـــان

وكســـلتم أن تصـــعدوا للـــورد مـــن رأس الشـــريعة خَيبـــةَ الكســـلان

(وَعَلامَةُ الجَهْمِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَة):

لأن إثبات الصفات عندهم يستلزم التشبيه، فمن أثبتها كما أثبتها الله لنفسه ورسوله ﷺ فهو مشبه، وتبعهم على ذلك المعتزلة والخوارج والرافضة والأشاعرة والماتريدية ونحوهم، وفي المقابل يسمون نفي الصفات وتعطيلها: توحيداً.

قال الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله: «علامة جهم وأصحابه: دعواهم على أهل السنة والجماعة -على ما أولعوا به من الكذب- أنهم مشبهة؛ بل هم المعطلة»[1].

(١) ذكره ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص:١٢١).

وقال الإمام قتيبة بن سعيد رحمه الله :«إذا قال الرجل: مشبهة؛ فاحذروه؛ فإنه يرى رأي جهم»[١].

ومن ذلك قول الزمخشري المعتزلي (ت:٣٥٨هـ) هاجياً أهل السنة لإثباتهم الرؤية:

لجماعة سموا هواهم سنة ... وجماعة حمر لعمري موكفة

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفة

والحمر الموكفة: هي التي عليها الوكاف وهي البرذعة التي تكون على الحمير.

والبلكفة: هي قول أئمة أهل السنة والجماعة:«أمروها كما جاءت بلا كيف».

وقد رد عليه أحد أهل العلم بقوله:

شبهت جهلاً صدر أمة أحمد ... وذوي البصائر بالحمير الموكفة

وزعمت أن قد شبهوا معبودهم ... وتخوفوا فتستروا بالبلكفة

ورميتهم عن نبعة سويتها ... رمي الوليد غداً يمزق مصحفه

وجب الخسار عليك فانظر منصفاً ... في آية الأعراف فهي المنصفة وأتى

أترى الكليم أتى بجهل ما أتى ... شيوخك ما أتوا عن معرفة

وقد سبق الرد على أمثاله من المعطلة الزائغين.

(١) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» برقم (١١٧٧).

(وَعَلاَمَةُ القَدرِيةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُجْبِرَةً) :

لأن إثبات القدر وعموم علم الله ومشيئته جبر عندهم، وفي المقابل يسمون إنكار القدر: عدلاً.

(وَعَلاَمَةُ المُرْجِئَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُخَالِفَةً وَنَقْصَانِيَةً):

لأنهم يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه، ويسمونهم كذلك «شكاكاً» لأنهم يستثنون في الإيمان.

(وَعَلاَمَةُ الرَّافِضَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ نَابِتَة وَنَاصِبَةً):

يسمونهم ناصبة، لأنهم لا يغلون في آل البيت، ويوالون أبا بكر وعمر كما يوالون آل البيت، وعندهم من والى أبا بكر وعمر فقد نصب العداوة لآل البيت، فلا ولاء لعلي وآل البيت إلا ببراء من أبي بكر وعمر -رضي الله عن آل النبي ﷺ وصحابته أجمعين ما دامت الأعصار وترادف الليل والنهار-.

والنابتة: هي الزرع النابت الصغير الذي لا خير فيه.

ويسمونهم «الجمهور» لأنهم الأكثر.

ورضي الله عن الإمام الشافعي إذ يقول:

إن كان رفضاً حب آل محمدٍ فليشهد الثقلان أني رافضي

وعن الإمام ابن تيمية إذ يقول:

إن كان نصباً حب صحب محمد فليشهد الثقلان أني ناصبي

(وَلاَ يَلْحَقُ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلاَّ اسْمٌ وَاحِدٌ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمَعَهُمْ هَذِهِ الأَسَامِي!):

يقول الإمام البربهاري رحمه الله:«وإذا سمعت الرجل يقول: فلان ناصبي فاعلم أنه رافضي، وإذا سمعت الرجل يقول: فلان مشبه أو فلان يتكلم بالتشبيه فاعلم أنه جهمي، وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد فاعلم أنه خارجي معتزلي، أو يقول: فلان مجبر أو يتكلم بالإجبار، أو تكلم بالعدل فاعلم أنه قدري، لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل البدع»[1].

ويقول الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله:«وكل ذلك عصبية، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد، وهو أصحاب الحديث.

قلت: أنا رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة -ولا يلحقهم شيء منها فضلاً من الله ومنة- سلكوا معهم مسلك المشركين -لعنهم الله- مع رسول الله ﷺ؛ فإنهم اقتسموا القول فيها: فسماه بعضهم ساحراً، وبعضهم كاهناً، وبعضهم شاعراً، وبعضهم مجنوناً، وبعضهم مفترياً مختلقاً كذاباً، وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيداً بريئاً، ولم يكن إلا رسولاً مصطفى نبياً، قال الله تعالى:﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[الإسراء:٤٨ والفرقان:٩].

وكذلك المبتدعة -خذلهم الله- اقتسموا القول في حملة أخباره، ونَقَلَة آثاره، ورواة أحاديثه، المقتدين به، المهتدين بسنته، المعروفين بأصحاب الحديث، فسماهم بعضهم (حشوية)، وبعضهم (مشبهة)، وبعضهم (نابتة)، وبعضهم (ناصبة)، وبعضهم (جبرية).

وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعائب بريئة نقية زكية، وليسوا إلا أهل

---

(١) «شرح السنة» برقم (١٤١).

السنة المُضيَّة، والسيرة المرضيَّة، والسبل السوية، والحججِ البالغةِ القويةِ، قد وفقهم الله ﷻ لاتباع كتابه، ووحيه، وخطابه، واتباع أقرب أوليائه، والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منهما، وأعانهم على التمسك بسيرته، والاهتداء بملازمة سنته، وجعلهم من أتباع أقرب أوليائه، وأكرمهم وأعزهم عليه، وشرح صدورهم لمحبته، ومحبة أئمة شريعته، وعلماء أمته، ومن أحب قوماً فهو معهم يوم القيامة بحكم قول رسول الله ﷺ:«**وَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[١] »[٢].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله :«وهذا نظير ما تحكي الرافضة عن أهل السنة من أهل الحديث والفقه والعبادة والمعرفة أنهم (ناصبة)، وتحكي القدرية عنهم أنهم (مجبرة)، وتحكي الجهمية عنهم أنهم (مشبهة)، وتحكي من خالف الحديث ونابذ أهله عنهم أنهم (نابتة، وحشوية)، و(غثاء وغثراً)، إلى غير ذلك من الأسماء المكذوبة.

ومن تأمل كتب المتكلمين الذين يخالفون هذا القول وجدهم لا يبحثون في الغالب أو في الجميع إلا مع هذا القول الذي ما علمنا لقائله وجوداً»[٣].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله :«لا نبغض أصحاب رسول الله ﷺ؛ لتسمية الروافض لنا (نواصب)، ولا نكذب بقدر الله، ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته، لتسمية القدرية لنا (مجبرة)، ولا نجحد صفات ربنا -تبارك وتعالى-؛ لتسمية

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٢) «عقيدة السلف» (ص:١١٠-١١١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٣/ ١٧١).

الجهمية والمعتزلة لنا (مجسمة مشبهة حشوية) »[1].

وأقول الآن: ولا ندع الفقه لتسمية الغامزين لنا ولعلمائنا: (فقهاء حيض ونفاس)، ولا نخرج على السلطان ولا نعصيه في المعروف لتسمية الخوارج المكفرة لنا ولعلمائنا (أتباع بغلة السلطان) أو (عبيد عبيد العبيد)، ولا ندع العلم والتصنيف لتسميتهم لنا (رهبان كتب) أو(لا يفقهون الواقع)، ولا نقول بالإرجاء -وإن قل- لتسمية البعض لنا (مرجئة)، ولا ندع التحذير من أهل البدع ورؤوسها لتسميتهم لنا (مفرقين لشمل الأمة)، و(معرقلين للمسيرة).

أعـوذ بـرب النـاس مـن كـل طـاعن ... علينـا بسـوء أو ملـحٍ بباطـل



---

(١) مقدمة «النونية» (ص:٣٨).

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الأمر بهجران أهل البدع وذم الرأي وعلم الكلام وأهلهما

(قَالَ أبو محمَّد: سَمِعْتُ أَبِي وأَبَا زُرْعَةَ: يَأْمُرَانِ بِهُجْرَانِ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالبِدَعِ، وَيُغَلِّظَانِ رَأْيَهُمَا أَشَدَّ التَّغْلِيظِ .

وَيُنْكِرَانِ وَضْعَ الكُتُبِ بِالرَّأْيِ في غَيْرِ آثَارٍ.

وَيَنْهَيَانِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الكَلاَمِ وَعَنْ النَّظَرِ في كُتُبِ المُتَكَلِّمِينَ وَيَقُولاَنِ: لاَ يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلاَمٍ أَبَداً):

(يَأْمُرَانِ بِهُجْرَانِ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالبِدَعِ، وَيُغَلِّظَانِ رَأْيَهُمَا أَشَدَّ التَّغْلِيظِ):

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب»[١].

عن أسماء بن خارجة قال: دخل رجلان على محمد بن سيرين رحمه الله من أهل الأهواء، فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: «لا»، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل ؟ قال: «لا، لتقومن عني أو لأقومن»، فخرجا، فقال بعض القوم: يا أبا بكر، ما كان عليك أن يقرآ عليك آية من كتاب الله تعالى؟ قال: «إني خشيت أن يقرآ عليَّ آية فيحرفانها، فيقر ذلك في قلبي»[٢].

وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: «لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم ولا

(١) أخرجه ابن بطة (٦١٩)، والآجري (١٣٩).

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (٣٩٧)، واللالكائي (٢٤٢)، وابن بطة (٣٩٨)، والآجري (١٢٧).

تسمعوا منهم»[١].

وقال يحيى بن أبي كثير رحمه الله :«إذا لقيت صاحب بدعة في طريق، فخذ في غيره»[٢].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله :«من جلس مع صاحب بدعة فأحذره، ومن جلس مع صاحب بدعة؛ لم يعط الحكمة، وأحبُّ أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصنٌ من حديد»[٣].

وقال:«أدركت خيار الناس كلهم أصحاب السنة، وينهون عن أصحاب البدع»[٤].

وقال:«من أتاه رجل فشاوره فدله على مبتدع فقد غش الإسلام، واحذروا من الدخول على أصحاب البدع، فإنهم يصدون عن الحق»[٥].

وقال أبو قلابة الرقاشي رحمه الله :«لا تجالسوا أهل الأهواء، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون»[٦].

وعن أيوب السختياني قال: قال لي أبو قلابة:«يا أيوب احفظ عني ثلاث

---

(١) أخرجه الدارمي (٤٠١) واللالكائي (٢٤٠).

(٢) أخرجه ابن بطة (٤٩٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٩)، والآجري (١٤٢)، واللالكائي (٢٥٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣).

(٤) أخرجه اللالكائي (٢٦٧).

(٥) أخرجه اللالكائي (٢٦١).

(٦) أخرجه الدارمي (٣٩١)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص٣١٩)، وابن بطة (٣٦٧)، والآجري (١٢٠).

خصال: إياك وأبواب السلطان، وإياك ومجالسة أصحاب الأهواء، والزم سوقك فإنه الغنى مع العافية»[١].

وقال الإمام أحمد رحمه الله :«أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين»[٢].

وقال:«من دل على صاحب رأي فقد أعان على هدم الإسلام»[٣].

سأل سفيان الثوري رحمه الله عن الربيع بن صبيح؟ فقال الناس له: ما مذهبه إلا السنة، فقال:«ومن بطانته؟» قالوا: أهل القدر، فقال:«هو قدري»[٤].

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله :«من صافح صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام»[٥].

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله في وصف عقيدة السلف:«ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢٥٧).

(٢) أخرجه اللالكائي (٣١٧).

(٣) ذكره ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٥٤)، والذهبي في «السير» (١٢/ ٤٨٥).

(٤) أخرجه ابن بطة (٢/ ٤٥٣) .

قلت: ومن كان اليوم من المنتسبين إلى السنة والسلفية بطانته: هم الحزبيون والحركيون أعداء أئمتنا ومشايخنا؛ فهو منهم، وإن تستر بلبوس السلفية، والله الموعد.

(٥) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٩٤٦).

آذانهم عن أباطيلهم»[(١)].

قال ابن عبد البر رحمه الله: «أجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، إلا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه، أو يولد به على نفسه مضرة في دينه أو دنياه، فإن كان كذلك فقد رخص له مجانبته، ورب صرم جميل خير من مخالطة مؤذية»[(٢)].

قال البغوي رحمه الله: «فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع، معتقداً، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره ويتبرأ منه، ويتركه حياً وميتاً»[(٣)]، ثم قال: «وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم»[(٤)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وأما إذا أظهر الرجل المنكرات، وجب الإنكار عليه علانية، ولم يبق له غيبة، ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره»[(٥)].

وليس الموقف تجاه أهل البدع موقوفاً عند حد الهجر بل يجوزه إلى الرد والتحذير والكشف والنكير.

عن عاصم الأحول قال: قال قتادة: «يا أحول؛ إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي

---

(١) «عقيدة السلف» (ص:١٠٧-١٠٨).

(٢) «التمهيد» (٦/ ١٢٧).

(٣) «شرح السنة» (١/ ٢٢٤).

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٢٧).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢١٧-٢١٨).

لها أن تذكر حتى تحذر»(١).

ويقول عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله:«مررت مع الثوري على رجل فقال: كذاب والله، لولا أنه لا يحل لي أن أسكت؛ لسكتُّ»(٢).

ويقول يحيى بن يحيى رحمه الله (ت: ٢٢٦هـ):«الذب عن السنة أفضل من الجهاد»(٣).

وقال كثير بن زياد رحمه الله :«يقال: أهل الأهواء لا حرمة لهم»(٤).

قال الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله:«أوجب الله على العلماء إعزاز الدين وإذلال المبتدعين، فسلاح العالم علمه كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه، فكما لا يجوز للملوك إغماد أسلحتهم عن الملحدين والمشركين، لا يجوز للعلماء إغماد ألسنتهم عن الزائغين والمبتدعين، فمن ناضل عن الله وأظهر دين الله كان جديراً أن يحرسه الله -تعالى- بعينه التي لا تنام، ويعزه بعزه الذي لا يضام»(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«وكذلك بيان من غلط في رأي رآه في أمر الدين من المسائل العلمية والعملية، فهذا إذا تكلم فيه الإنسان بعلم وعدل، وقصد النصيحة، فالله -تعالى- يثيبه على ذلك، لا سيما إذا كان المتكلم فيه داعياً إلى

---

(١) أخرجه اللالكائي (٢٥٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٣٥)، والخطيب في «تاريخه» (١٢/ ١٧٨).

(٢) أخرجه الهروي (٩١٨).

(٣) أخرجه الهروي (١٠٨٩)، ونقله شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٣).

(٤) أخرجه اللالكائي(٢٨١).

(٥) نقله مرعي الحنبلي في «شفاء الصدور ...» (ص:٢٣٣-٢٣٤).

بدعة، فهذا يجب بيان أمره للناس، فإن دفع شره عنهم أعظم من دفع شر قاطع طريق»[١].

وقال:«فالمرصدون للعلم: عليهم للأمة حفظ الدين وتبليغه، فإذا لم يبلغوهم علم الدين، أو ضيعوا حفظه، كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين ولهذا قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[البقرة:١٥٩]، فإن ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرهم فلعنهم اللاعنون حتى البهائم»[٢].

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله:«واشتد نكير السلف والأئمة للبدعة، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك بما لم يبالغوا في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد»[٣].

وقال:«وتبليغ سنته ﷺ إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله -تعالى- منهم بمنه وكرمه»[٤].

وقال الإمام ابن رجب رحمه الله:«ومن أنواع النصح لله -تعالى-، وكتابه، ورسوله ما يختص به العلماء رد الأهواء المضلة بالكتاب والسنة على موردها، وبيان

(١) «منهاج السنة» (٥/ ١٤٦).

(٢) «مجموع الفتاوى»(٢٨/ ١٨٧).

(٣) «مدارج السالكين» (١/ ٣٢٧).

(٤) «جلاء الأفهام» (ص:٥٨٢).

دلالتهما على ما يخالف الأهواء كلها، وكذلك رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها»[١].

وقال الشاطبي رحمه الله:«فإن فرقة النجاة -وهم أهل السنة- مأمورون بعداوة أهل البدع، والتشريد بهم، والتنكيل بمن انحاش إلى جهتهم بالقتل فما دونه.

وقد حذّر العلماء من مصاحبتهم ومجالستهم، وذلك مظنة إلقاء العداوة والبغضاء.

لكن الدرك فيها على من تسبب في الخروج عن الجماعة بما أحدثه من اتباع غير سبيل المؤمنين، لا على التعادي مطلقاً، فكيف ونحن مأمورون بمعاداتهم، وهم مأمورون بموالاتنا والرجوع إلى الجماعة»[٢].

وقال في الرد على المخطئين والمبتدعين:«فمثل هؤلاء لا بد من ذكرهم والتشريد بهم، لأن ما يعود على المسلمين من ضرر إذا تركوا أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم والتنفير عنهم إذا كان سبب ترك التعيين الخوف من التفرق والعداوة.

ولا شك أن التفرق بين المسلمين وبين الداعين للبدعة وحدهم -إذا أقيم عليهم-، أسهل من التفرق بين المسلمين وبين الداعين ومن شايعهم واتبعهم، وإذا تعارض الضرران، فالمرتكب أخفهما وأسهلهما، وبعض الضر أهون من جميعه، كقطع اليد المتآكلة، إتلافها أسهل من إتلاف النفس.

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص:٥٨).

(٢) «الاعتصام» (١/ ١٢٠).

وهذا شأن الشرع أبداً: يطرح حكم الأخف، وقاية من الأثقل»[١].

وقال العلامة ابن الوزير ﷺ:«ولو أن العلماء ﷺ تركوا الذب عن الحق خافوا من كلام الخلق لكانوا قد أضاعوا كثيراً وخافوا حقيراً»[٢].

وقال الإمام الشوكاني ﷺ:«وإنما التصنيف الذي يستحق أن يقال له: تصنيف، والتأليف الذي ينبغي لأهل العلم الذين أخذ الله عليهم بيانه وأقام لهم على وجوبه عليهم برهانه هو أن ينصروا فيه الحق ويخذلوا به الباطل، ويهدموا بحججه أركان البدع، ويقطعوا به حبائل التعصب، ويوضحوا فيه للناس ما نزل إليهم من البينات والهدى، ويبالغوا في إرشاد العباد إلى الأنصاف، ويحببوا إلى قلوبهم العمل بالكتاب والسنة، وينفروهم من اتباع محض الرأي، وزائف المقال، وكاسد الاجتهاد»[٣].

وقال الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي ﷺ (ت:١٣٧٧):«الجهاد نوعان: جهاد يُقصد به صلاح المسلمين، وإصلاحهم في عقائدهم، وأخلاقهم، وجميع شؤونهم الدينية والدنيوية، وفي تربيتهم العلمية والعملية، وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه، وعليه يتأسس النوع الثاني، وهو جهاد يقّصد به دفع المعتدين عن الإسلام والمسلمين، من الكفار والمنافقين والملحدين، وجميع أعداء الدين ومقاومتهم»[٤].

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٢٩).

(٢) «العواصم والقواصم» (١/ ٢٢٣).

(٣) «أدب الطلب ومنتهى الأرب» (ص:٨١).

(٤) «وجوب التعاون بين المسلمين» (ص:٧-٨).

و«لولا حملة المحابر وأصحاب الدفاتر لخطبت الزنادقة على المنابر».

ورحم الله القائل:

من الدين كشف العيب عن كل كاذب وعن كل بدعي أتى بالمصائب

ولولا رجالٌ مؤمنون لهدِّمت معاقل دين الله من كل جانب

والله المسؤول أن يعلي السنة وكلماتها، ويخمد البدعة وظلماتها.

(وَيُنْكِرَانِ وَضْعَ الكُتُبِ بِالرَّأْيِ فِي غَيْرِ آثَارٍ):

قال الصدِّيق أبو بكر رضي الله عنه: «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إن قلت في آية من كتاب الله برأيي أو بما لا أعلم»(١).

وعن مسروق قال: كتب كاتب لعمر بن الخطاب: هذا ما رأى الله ورأى عمر، فقال: «بئس ما قلت، قل هذا ما رأى عمر، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمن عمر»(٢).

وقال رضي الله عنه: «إياكم والرأي، فإن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلتت منهم أن يحفظوها، فقالوا في الدين برأيهم»(٣).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي؛ لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه»(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٨٣٣).

(٢) أخرجه البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١١٦)، والهروي في «ذم الكلام» (٢٦٦).

(٣) أخرجه ابن عبد البر (٢٠٠٥)، والهروي (٢٦٧، ٢٦٨).

(٤) أخرجه أبو داود (١٦٢)، وابن أبي شيبة (١/ ١٨١)، وصحح إسناده الحافظ في

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «من أحدث رأياً ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ، لم يدر على ما هو منه إذا لقي الله عز وجل»(١).

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «من كان عنده علم فليعلم الناس، وإن لم يعلم فلا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين ويمرق من الدين»(٢).

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «فإنه قد بلغني أن رجالاً فيكم يتحدثون بأحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ؛ فأولئك جُهالكم»(٣).

وقال الشعبي رحمه الله: «لعن الله أرأيت!»(٤).

وقال: «إن أخبرتك برأيي فبل عليه»(٥).

وقال: «ما جاءكم به هؤلاء عن أصحاب رسول الله ﷺ فخذوه، وما كان من رأيهم فاطرحوه في الحش»(٦).

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كتب إلى الناس: «إنه لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ»(٧).

= «التلخيص الحبير» (١/ ١٦٠)، وكذا شيخنا -رحمهما الله-.

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٥٧)، والبيهقي في «المدخل» (ص: ١٩٠)، والهروي برقم (٢٨٠).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٠٩- ١١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٠٠، ٧١٣٩).

(٤) أخرجه البيهقي في «المدخل» (٢٢٦)، وابن عبد البر (٢٠٩٥)، وابن بطة (٦٠٥).

(٥) أخرجه ابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٥٢).

(٦) أخرجه ابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٥٤)، والدارمي (١/ ٦٧)، والهروي (١٤١٩).

(٧) أخرجه ابن عبد البر (١٤٥٦)، وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٥٣).

وقال أبو وائل شقيق بن سلمة رحمه الله :«إياك ومجالسة من يقول: أرأيت، أرأيت!»[١].

وسأل رجل سالم بن عبد الله بن عمر عن شيء فقال:«لم أسمع في هذا شيئاً»، فقال له الرجل: فأخبرني أصلحك الله برأيك، فقال:«لا»، ثم أعاد عليه فقال: أرض برأيك، فقال سالم:«إني لعلي إن أخبرتك، برأيي ثم تذهب فأرى بعد ذلك رأياً غيره فلا أجدك»[٢].

وقيل لأيوب السختياني رحمه الله : مالك لا تنظر في الرأي؟ فقال أيوب:«قيل للحمار مالك لا تجتر؟ قال: أكره مضغ الباطل»[٣].

وقال الأوزاعي رحمه الله :«عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول»[٤].

وقال القعنبي: دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه، فسلمت عليه ثم جلست، فرأيته يبكي، فقلت له يا أبا عبد الله؛ ما الذي يبكيك؟ فقال لي:«يا ابن قعنب ومالي لا أبكي؟ ومن أحق بالبكاء مني؟ والله لوددت أني ضربت بكل مسألة أفتيت فيها بالرأي سوطاً، وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت إليه، وليتني لم أفت بالرأي»[٥].

---

(١) أخرجه ابن حزم (٦/ ٥٥)، والدارمي (١/ ٦٦)، والبيهقي في «المدخل» (٢٢٩)، والهروي (٣٦٨).

(٢) أخرجه ابن حزم (٦/ ٥٥)، وذكره ابن عبد البر (١٤٤٢).

(٣) أخرجه ابن عبد البر (٢٠٨٥)، وابن حزم (٦/ ٥٣).

(٤) مضى.

(٥) أخرجه ابن عبد البرفي «الجامع» برقم (٢٠٨١).

وقال الشافعي رحمه الله :«مثل الذي ينظر في الرأي ثم يتوب منه مثل المجنون الذي عولج حتى برأ فأعقل ما يكون قد هاج به»[١].

وقال أحمد رحمه الله :«لا تكاد ترى أحداً ينظر في الرأي إلا وفي قلبه دَغَل»[٢].

وقال :«لا تقربن من رأي أحد»[٣].

وقال سلمة بن شبيب: سمعت أحمد يقول:«رأي الشافعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة؛ كله عنده رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار»[٤].

وما أحسن قول القائل:

تجنب ركوب الرأي فالرأي ريبةٌ عليك بآثار النبي محمدِ

فمن يركب الأراء يَعم عن الهدى ومن يتبع الآثار يهدى ويُحمدِ

والرأي المقصود فيما سبق من أقوال هو:«إعمال النظر العقلي مع طرح السنن إما قصداً أو غلطاً وجهلاً»[٥]؛ فهو ميل إلى الخرص والتخمين وعدول عن الحق واليقين والبرهان المبين.

(وَيَنْهَيَانِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الكَلامِ وَعَنْ النَّظَرِ في كُتُبِ المُتَكَلِّمِينَ وَيَقُولاَنِ: لاَ يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلاَمٍ أَبَداً):

---

(١) أخرجه ابن عبد البر (٢٠٣٤).

(٢) أخرجه ابن عبد البر (٢٠٣٥).

(٣) أخرجه الهروي (٤١٥).

(٤) أخرجه ابن عبد البر (٢١٠٧).

(٥) «الاعتصام» (٢/ ٣٣٥).

علم الكلام: هو محاولة إثبات العقائد الفاسدة بطرق عقلية جدلية وأصول فلسفية منطقية.

ويطلق أهل الكلام هذا الاسم على علم الاعتقاد، وهي تسمية باطلة لأن زبالات الأفهام ونخالات الأوهام، وأوساخ الظنون ودركات الجنون لا ترقى إلى العقيدة الصحيحة المتلقاة من الوحيين ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾[الرعد:١٦].

فعلمُ كلامهم هذا له من اسمه نصيب؛ فهو مجرد كلام لا يفيد بل يضر القلوب ويُمرضها.

☑ وفرق الكلام وأهله هم:

١- الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان (ت١٢٨).

٢- المعتزلة: أتباع واصل بن عطاء (ت١٣١) وعمرو بن عبيد (ت:١٤٤).

٣- الكُلاَّبية: أتباع عبد الله بن كُلاَّب (ت٢٤٣).

٤- الأشاعرة: اتباع أبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤) قبل رجوعه إلى اعتقاد السلف -في الجملة-.

٥- الماتريدية: أتباع أبي منصور الماتريدي (ت٣٣٣).

عن محمد بن الحسن الشيباني أن أبا حنيفة رحمه الله قال:«لعن الله عمرو بن عبيد، فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا ينفعهم من الكلام»[1].

---

(١) أخرجه الهروي (١٠٢٩).

وقال محمد بن الحسن رحمه الله: «وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام»(١).

وقال الإمام أبو يوسف رحمه الله: «من طلب الدين بالكلام تزندق»(٢).

وقال: «العلم بالخصومة والكلام جهل، والجهل بالخصومة والكلام علم»(٣).

وقال الإمام مالك رحمه الله: «لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء».

قال ابن خويز منداد -معلقاً-: «أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع -أشعرياً كان أو غير أشعري- ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادى عليها استتيب منها»(٤).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء، والله ما ظننت مسلماً يقول به، لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه خلا الشرك خير له من أن يبتلى بالكلام»(٥).

وقال: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على

---

(١) نقله شيخ الإسلام في «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٥٦١).

(٢) أخرجه الهروي (١٠٠٩)، والتيمي الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (١/ ١٠٦).

(٣) أخرجه الهروي (١٠١٠).

(٤) أخرجه ابن عبد البر (٢/ ٩٦).

(٥) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص: ١٨٢).

الكلام»[١].

وقال:«حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ»[٢].

وقال:«من ارتدى الكلام لم يفلح»[٣].

وقال الإمام أحمد رحمه الله :«لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله عز وجل ، أو في حديث عن النبي ﷺ أو عن أصحابه أو التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود»[٤].

وقال:«عليكم بالسنة والحديث؛ وينفعكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمراء، فإنه لا يفلح من أحب الكلام، وكل من أحدث كلاماً لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة، لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، وعليكم بالسنة والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا، وتجانبون أهل الكلام، وعاقبة الكلام لا تؤول إلى خير، أعاذنا الله وإياكم من الفتن، وسلمنا وإياكم من كل هلكة»[٥].

وقال:«من تعاطى الكلام لم يفلح، ومن تعاطى الكلام لم يخل أن يتجهم» [٦].

---

(١) أخرجه الهروي (١١٤٢)، ونقله ابن الجوزي في«تلبيس إبليس» (ص:٦٥)، وشيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٢/ ٦١٠)، و«درء التعارض» (١/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه الهروي (٧٢٠).

(٣) أخرجه الهروي (١١٥٢).

(٤) أخرجه عبد الله (١٠٨).

(٥) أخرجه ابن بطة (٢/ ٥٣٩).

(٦) أخرجه ابن بطة (٢/ ٥٣٩).

وقال الإمام البغوي رحمه الله:«واتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه»[1].

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله:«أجمع أهل الفقه من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«إن الشافعي من أعظم الناس ذماً لأهل الكلام ولأهل التغيير، ونهياً عن ذلك، وجعله من البدعة الخارجة عن السنة، ثم إن كثيراً من أصحابه عكسوا الأمر حتى جعلوا الكلام الذي ذمّه الشافعي هو السنة وأصول الدين الذي يجب اعتقاده وموالاة أهله، وجعلوا موجب الكتاب والسنة الذي مدحه الشافعي هو البدعة التي يعاقب أهلها»[3].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:«تجد أضعف الناس بصيرة أهل الكلام الباطل المذموم الذي ذمه السلف؛ لجهلهم بالنصوص ومعانيها وتمكن الشبه الباطلة من قلوبهم، وإذا تأملت حال العامة الذين ليسوا مؤمنين عند أكثرهم رأيتهم أتم بصيرة وأقوى إيماناً وأعظم تسليماً للوحي وانقياداً للحق»[4].

وقال الإمام الذهبي رحمه الله:«بل قلَّ مَن أمعن النظر في علم الكلام إلا أداه

---

(١) «شرح السنة» (١/ ٢١٦).

(٢) «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٥).

(٣) «الاستقامة» (١/ ١٥).

(٤) «مدارج السالكين» (١/ ١٢٥).

اجتهاده إلى القول بما يخالف محض السنة، ولهذا ذم علماء السلف النظر في علم الأوائل، فإن علم الكلام مولّد من علم الحكماء الدهرية، فمن رام الجمع بين علم الأنبياء عليهم السلام، وبين علم الفلاسفة بذكائه لا بد أن يخالف هؤلاء وهؤلاء، ومن كف ومشى خلف ما جاءت به الرسل من إطلاق ما أطلقوا ولم يتحذلق ولا عمق -فإنهم صلوات الله عليهم أطلقوا وما عمقوا- فقد سلك طريق السلف الصالح، وسلم له دينه ويقينه، نسأل الله السلامة في الدين»[١].

فأهل الكلام: لا الحق نصروا، ولا طاغوت الباطل كسروا، بل السنة خسروا والبدعة ركبوا ونشروا.

.... نسأل الله السلامة.

ورحم الله الشيخ أبا محمد القحطاني إذ يقول:

لا تلتمس علم الكلام فإنه ... يدعو إلى التعطيل والهيمان

لا يصحب البدعي إلا مثله ... تحت الدخان تأجج النيران

علم الكلام وعلم شرع محمد ... يتغايران وليس يشتبهان

---

(١) «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٤٤).

الخاتمة

📖 (وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالِمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا محمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّم تَسْلِيماً).

(قَالَ أبو محمَّدٍ: «وَبِهِ أَقُولُ»).

قال شارحه أبو أنس: وبه أقول.

وهـــذا اعتقـــاد للأئمـــة قبلنـــا ذوي العلـم والتحقيـق مـن كـل مهتـد
كمثـــل الشـــافعي وأحمـــدٍ ومالـــك والنعمـــان مـــن كـــل ســـيد
وأصـــحابهم مـــن كـــل حـــبرٍ وجهبـــذٍ وأتبـــاعهم أهـــل التقـــى والتجـــرد
ونحـــن علـــى منـــهاجهم واعتقـــادهم نســـيرُ ولا نـــألوا اجتـــهاداً ونقتـــدي
بحـــول إلـــه العـــرش جـــل جلالـــه وتوفيقـــه، والله بـــالخير يبتـــدي

وكان هذا آخر ما أردنا، وإليه قصدنا، وقد وقع الفراغ من كتب هذا الشرح وتعليقه -بعون الله وتوفيقه- ليلة يوم الجمعة بعد منتصف الليل، لثلاث خلون من جمادى الأولى عام ستة وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة المحمدية -على صاحبها أتم صلاة وأزكى تسليم وتحية- الموافق للعاشر من الشهر السادس لعام خمسة وألفين افرنجية.

قاله بلسانه وفمه، ورقمه ببنانه وقلمه: العبد الفقير إلى الغني القدير: محمد بن موسى بن حسين بن حسن بن أحمد بن نصر آل نصر الأثري السَّلفي -عقيدة ومنهجاً وسلوكاً بإذنه تعالى- غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وأهل الحقوق عليه وذريته وإخوانه والسلفيين من أهل زمانه وتلاميذه وأحبابه والمسلمين، ونفع

بكتابه هذا من قرأه ونظر فيه ليستفيد من جواهره ولآليه لا للبحث عن عيوبه ومساويه.

والحمد لله على جزيل الإنعام وبلوغ التمام على تعاقب الشهور والأعوام والسنين والأيام، وله الحمد والمنة على العقيدة الصحيحة والسنة ومنهج سلف الأمة.

۞ تَمّ الكتابُ بحَمدِ اللهِ وَعَمَّ بالنفعِ بإذنِ اللهِ ۞

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفهارس

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس الآيات القرآنية

حسب ترتيب المصحف

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا... ﴾	١٢١-١٢٢	٢٢٢
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾	١٢٦	١٩٥
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾	١٣٤	٢٠٣
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ... ﴾	١٤٥	٢٣٢
﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾	١٦٤	٧٤، ١٩٧
﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾	١٦٦	٥٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾	١٦٨-١٦٩	٢٢٨
﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ﴾	١٧١	١٠٠
المائدة		
﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ... ﴾	٦	١٢٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾	٤١	٣٧، ٤٤
﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾	٤١	١٢٢
﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ... ﴾	٥٤	١٣٢
﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ... ﴾	٧٢	٢٣١
﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾	١١٧-١١٨	٢٧٠
الأنعام		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ...﴾	١	٩٨
﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾	١٨	١٦٩، ١٧٦
﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً... ﴾	١٩	٩٥

الأعراف

الآيـــة	رقمها	الصفحة
هود		
﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾	٨	١٣٨
﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ... ﴾	١٨	٢٦٧
﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ﴾	٣٤	١٢٢
﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾	٤٤	١٧٨
﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾	٤٦	٢٠٩
﴿ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾	٩٢	١٩٥
﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ... ﴾	٩٨	٢٣٨
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾	١٠٦	٢٣٢
﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ.. ﴾	١٠٨	٢٢٧
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾	١١٨	١٢٤
﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ... ﴾	١١٨-١١٩	٣٠٨
يوسف		
﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾	١٧	٣٥، ٣٦
﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾	٤٥	١٣٨
﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾	٥٤	١٩٧
﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ﴾	٨٠	٢١٠
﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾	١٠٠	١٧١

الآيــة	رقمها	الصفحة
الرعد		
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا... ﴾	٢	١٧٧
﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ...﴾	٥	٢٧٣
﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ...﴾	١١	٢٦٣
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ...﴾	١٦	٤٠٣
﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾	٣٥	٢٢٧
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا... ﴾	٣٧	٧٢
إبراهيم		
﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾	٢٣	١٩٧
﴿ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾	٣٩	٢٠٣
الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	٦٥، ٦٨، ١٧٧
﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ...﴾	٢٣-٢٥	٢٦٨
﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ...﴾	٣٦-٣٨	٢٦٨
﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ...﴾	٤٣-٤٦	٢٢٢
﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾	٤٧	١٦٦
﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾	٤٨	٢٢٧

الآيـــة	رقمها	الصفحة
النحل		

الأنبياء

الحج

المؤمنون

النور

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس الأحاديث النبوية

القولية والفعلية

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

طرف الحديث	الصفحة

حرف الألف

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

حرف الباء

حرف التاء المثناة الفوقة

حرف الثاء المثلثة

حرف الجيم

حرف الحاء المهملة

طرف الحديث	الصفحة

حرف الخاء المعجمة

حرف الذال المعجمة

حرف الراء المهملة

حرف الزاي المعجمة

حرف السين المهملة

حرف الشين المعجمة

حرف الطاء المهملة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

حرف الياء المثناة التحتية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس الآثار السلفية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

طرف الأثر	الصفحة

حرف الألف

طرف الأثر	الصفحة
استوى علا وارتفع	١٧١
استوى كما ذكر لا كما يخطر للبشر	١٩٠
اصبر نفسك على السنة	٣٠٧
أصول السنة عندنا التمسك	٣٩٣
أفاعيل العباد مخلوقة	١٢٩
افترقت الجهمية على ثلاث فرق	٣٦٧
اقتصاد في سنة خير من اجتهاد	٢٢
الله عز وجل في السماء وعلمه في	١٩٣
ألجأهم الضيق مما دخل عليهم	١٠٧
الذين يقولون: إن الله لم يخلق	٣٣٢
أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي	١٦٥
أمروها كما جاءت بلا كيف	١٨٨، ٣٨٦
أمرنا خير من بقي ولم نأل	١٤٨
إن أخبرتك برأيي فبل عليه	٤٠٠
إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة	٦٣
إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون	٣٣٩
إن الخوارج هم المرجئة	٣٢٩
إن الرجل ليمشي في السوق	١١٨
إن العبد إذ هوى شيئاً	٢٤٢
إن الناس يصيرون يوم	٢٤٨
إن الله نظر في قلوب العباد	١٣٦

طرف الأثر	الصفحة

حرف الميم

حرف الهاء

حرف الواو

طرف الأثر	الصفحة

حرف اللام ألف

حرف الياء

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس الأعلام

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإسم	الصفحة

(أ-ز)

الإسم	الصفحة
سويد بن سعيد الهروي	٣٥٩
صالح بن أحمد بن حنبل	٥١، ٣٧٤
طاوس	١١٨، ٣٣٣
طلحة بن عبيد الله	١٥٧
(ع-ل)	
عبد الله بن أحمد	١١، ٣٧٣
عبد الله بن عباس	٢٩، ١١١، ١١٤، ١١٨، ١٨١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٥٢، ٢٧٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٩١، ٤٠٠
عبد الله بن عمر	١٣٦، ١٤٠، ٢٨٢، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٣٣، ٣٨٣، ٢٤٨
عبد الله بن المبارك	٨٥، ١٣٧، ١٧٤، ١٨٨، ٢٩١، ٣٢٩، ٣٣٨، ٣٥٩
عبد الله بن مسعود	٢٢، ٦٣، ١٣٦، ١٤٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٨٢، ٢٩٤
عبد الحميد بن باديس	٢٧
عبد الرحمن السعدي	٣٩٨
عبد الرحمن بن عوف	١٣٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٦
عبد الرحمن القزاز	٧٣
عبد الرحمن بن مهدي	٣٢٣، ٣٣٩، ٣٦٠، ٣٩٥

(الأبناء)

الأنساب

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس الفرق والطوائف والنحل والجماعات

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس المصطلحات والألفاظ والحدود

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس المصادر والمراجع والمصنفات

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المرجع	المؤلف
آثار ابن باديس	عبد الحميد بن باديس
آداب الشافعي ومناقبه	ابن أبي حاتم
الإبانة	ابن بطة العكبري
الإبانة الصغرى	ابن بطة
إبطال التأويلات	القاضي أبو يعلى
إثبات العلو	ابن قدامة
اجتماع الجيوش الإسلامية	ابن القيم
أجوبة العلماء عن حكم كتب البكري	–
الإحسان ترتيب صحيح ابن حبان	ابن بلبان
الإحكام	الآمدي
الإحكام في أصول الأحكام	ابن حزم
أحكام القرآن	ابن العربي
اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن	الضياء المقدسي
الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة	ابن قتيبة
اختيارات الإمام أبي عبيد بن قاسم بن سلام ومنهجه في القراءة	المصنف
أدب الطلب ومنتهى الأرب	الشوكاني
إرشاد الفحول	الشوكاني
إرواء الغليل	الألباني
الاستقامة	ابن تيمية

المرجع	المؤلف
الاستيعاب في معرفة الأصحاب	ابن عبد البر
الأسماء والصفات	البيهقي
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر
أصول السنة	ابن أبي زمنين
أصول السنة	الحميدي
الاعتصام	الشاطبي
الاعتقاد	البيهقي
اعتقاد أئمة أهل الحديث	أبو بكر الاسماعيلي
إعلام الموقعين	ابن القيم
أقاويل الثقات	مرعي الكرمي
اقتضاء الصراط المستقيم	ابن تيمية
الانتقاء في فضل الثلاثة الأئمة الفقهاء	ابن عبد البر
الإيمان	ابن أبي شيبة
الإيمان	ابن مندة
الإيمان	أبو عبيد
الإيمان الأوسط	ابن تيمية
الإيمان الكبير	ابن تيمية
الباعث على إنكار البدع والحوادث	أبو شامة المقدسي
البحر المحيط	الزركشي
بدائع الفوائد	ابن القيم
البداية والنهاية	ابن كثير

المرجع	المؤلف
البدايات لمريد علم القراءات	المصنف
بيان تلبيس الجهمية	ابن تيمية
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
تاريخ دمشق	ابن عساكر
تأويل مختلف الحديث	ابن قتيبة
التبصير في الدين	الطبري
تذكرة الحفاظ	الذهبي
ترتيب المدارك	القاضي عياض
تعظيم قدر الصلاة	المروزي
التعليق على المشكاة	الألباني
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
تلبيس إبليس	ابن الجوزي
التلخيص الحبير	ابن حجر
التمهيد	ابن عبد البر
التوحيد	ابن خزيمة
الجامع	معمر بن راشد
جامع البيان	الطبري
جامع بيان العلم وفضله	ابن عبد البر
الجامع الصحيح المسند	البخاري
الجامع الصحيح المسند	مسلم بن الحجاج
جامع العلوم والحكم	ابن رجب

المرجع	المؤلف
الجرح والتعديل	ابن أبي حاتم
جلاء الأفهام	ابن القيم
حادي الأرواح	ابن القيم
الحجة في بيان المحجة	قوام السنة الأصبهاني
حلية الأولياء	أبو نعيم الأصبهاني
الحيدة	الكناني
خلق أفعال العباد	البخاري
درء تعارض النقل والعقل	ابن تيمية
الدرر السنية	مجموعة من علماء الدعوة
ذم التأويل	ابن قدامة
ذم الكلام	الهروي
الرد على الجهمية	الدارمي
الرد على الزنادقة والجهمية	أحمد بن حنبل
الرد على من أنكر الحرف والصوت	أبو نصر السجزي
الرد على من يقول (الم) حرف	ابن مندة
الرسالة التدمرية	ابن تيمية
الرسالة الصفدية	ابن تيمية
روح المعاني	الآلوسي
روضة الناظر	ابن قدامة
السلسلة الصحيحة	الألباني
السنن	ابن ماجه

المرجع	المؤلف
السنن	أبو داود
السنن (الجامع)	الترمذي
السنن	النسائي
السنن الكبرى	النسائي
السنة	ابن أبي عاصم
السنة	أبو بكر الخلال
السنة	أحمد بن حنبل
السنة	حرب الكرماني
السنة	عبد الله بن أحمد بن حنبل
السنة	المروزي
السياسة الشرعية	ابن تيمية
سير أعلام النبلاء	الذهبي
شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة	اللالكائي
شرح جوهرة التوحيد	إبراهيم البيجوري
شرح حديث «لا يزني الزاني...»	ابن تيمية
شرح السنة	البربهاري
شرح السنة	البغوي
شرح السنة	المزني
شرح صحيح مسلم	النووي
شرح العقيدة الأصفهانية	ابن تيمية
شرح العقيدة الطحاوية	ابن أبي العز

المرجع	المؤلف
شرح العمدة	ابن تيمية
شرح الكوكب المنير	الفتوحي
شرح النونية	الهراس
شرف أصحاب الحديث	الخطيب البغدادي
الشريعة	الآجري
شعب الإيمان	البيهقي
الشفا في حقوق المصطفى	القاضي عياض
الصارم المسلول	ابن تيمية
صحيح الجامع	الألباني
صحيح سنن أبي داود	الألباني
صحيح سنن الترمذي	الألباني
الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم	ابن قدامة
صريح السنة	الطبري
الصواعق المرسلة	ابن القيم
صون المنطق والكلام	السيوطي
طبقات الحنابلة	ابن أبي يعلى الفرّاء
الطبقات الكبرى	ابن سعد
الطليعة في الرد على غلاة الشيعة	مقبل الوادعي
ظلال الجنة	الألباني
العدة	أبو يعلى
العقل ومنزلته في الإسلام	المصنف

المرجع	المؤلف
عقيدة السلف أصحاب الحديث	أبو عثمان الصابوني
عقيدة عبد الغني المقدسي	المقدسي
العلم	أبو خيثمة
العلو للعلي العظيم	الذهبي
عمدة القاري	العيني
العواصم والقواصم	ابن الوزير اليماني
فتاوى محمد بن إبراهيم	محمد بن إبراهيم آل الشيخ
فتح الباري	ابن حجر
فتح المغيث	السخاوي
الفتوى الحموية	ابن تيمية
الفتوحات المكية	ابن عربي الصوفي
فتيا في ذكر الاعتقاد	أبو العلاء الهمذاني
الفرق بين الفرق	الخطيب البغدادي
الفرقان بين الحق والباطل	ابن تيمية
فضائل الصحابة	أحمد بن حنبل
الفقه الأكبر	المنسوب لأبي حنيفة
القاموس المحيط	الفيروز آبادي
قواعد التحديث	القاسمي
الكتاب اللطيف	ابن شاهين
الكفاية	الخطيب البغدادي
لوامع الأنوار	ابن رجب

المرجع	المؤلف
ما انفرد به القراء	المصنف
مجموع الفتاوى	ابن تيمية
مجموع مؤلفات محمد بن عبد الوهاب	-
المحرر الوجيز	ابن عطية
مقالات الإسلاميين	أبو الحسن الأشعري
المقنع	أبو عمرو الداني
الملل والنحل	الشهرستاني
المناظرة في القرآن الكريم	ابن قدامة
المنافقون في الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح	المصنف
مناقب أحمد	ابن الجوزي
محنة الإمام أحمد	حنبل بن إسحاق
محنة الإمام أحمد	صالح بن أحمد بن حنبل
مختصر الصواعق المرسلة	الموصلي
مختصر العلو	الألباني
مختصر كتاب الحجة على تارك المحجة	نصر المقدسي
مدارج السالكين	ابن القيم
المدخل إلى السنن الكبرى	البيهقي
المرشد الوجيز	أبو شامة
مرعاة المفاتيح	المباركفوري
المسائل	ابن هانيء
المسائل	أبو داود

المرجع	المؤلف
المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة	عبد الإله الأحمدي
المستدرك	الحاكم
المسند	أحمد بن حنبل
المسند	إسحاق بن راهويه
المصباح المنير	الفيومي
المصنف	عبد الرزاق
معارج القبول	حافظ الحكمي
المعجم الأوسط	الطبراني
المعجم الكبير	الطبراني
المعرفة والتاريخ	الفسوي
مفتاح دار السعادة	ابن القيم
المفهم	القرطبي
مناقب الشافعي	البيهقي
منهاج أهل الحق والاتباع	سليمان بن سحمان
منهاج السنة النبوية	ابن تيمية
الموطأ	مالك بن أنس
ميزان الاعتدال	الذهبي
النقض على بشر المريسي	الدارمي
نقض المنطق	ابن تيمية
النهاية في غريب الحديث والأثر	ابن الأثير
الوابل الصيب	ابن القيم

المرجع	المؤلف
وجوب التعاون بين المسلمين	عبد الرحمن السعدي

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس الفوائد

الواردة في الكتاب

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس الموضوعات

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرس الفهارس

صفٌّ وتنسيقٌ وتدقيقٌ

مؤسسة الربيع

للطباعة والحاسوب

عمّان ـ الأردن ٢٩٦ ٣٧٧ ٧٨٨ - ٣٣ ٧١٨ ٦٦ ٧٧ / ٠٠٩٦٢

Al_Rabea_Est@Yahoo.Com

الدَّعْوَةُ السَّلَفِيَّةُ

بَيْنَ

الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ وَالدَّعَاوَى الصَّحَفِيَّةِ!

وَكَشْفُ الصِّلَةِ بَيْنَ التَّصَوُّفِ وَالأَفْكَارِ الشِّيعِيَّةِ

مُنَاقَشَةٌ عِلْمِيَّةٌ

لِدَعَاوَى تَجْذِيرِ (الصُّوفِيَّةِ!)، وَتَهْمِيشِ (السَّلَفِيَّةِ)

-فِي دِيَارِنَا الأُرْدُنِّيَّةِ-

كتبه

عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الحَمِيدِ

الحَلَبِيُّ الأَثَرِيُّ